د. أحمد طحان

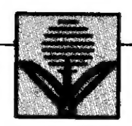
عولمة الإرهاب

إسرائيل - أمريكا والإسلام

دار المعرفة
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى :1424 هـ 2003 م
ISBN 9953-429-21-9

دار المعـــرفـــة
للطباعـــة والنشـــر والتـــوزيـــع



DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

جسر المطار- شارع البرجاوي - ص ب:٧٨٧٦ ,هاتف: ٨٣٤٣٠١ - ٨٥٨٨٢٠ ، فاكس ٨٣٥٦١٤، بيروت - لبنان
Airport Square, P.O.Box :7876,Tel : 834301 , 858820, Fax : 835614 , Beirut - Lebanon
http: // www.marefah.com/ E.mail: info@marefah.com

عولمة الإرهاب

إسرائيل - أمريكا والإسلام

عولمة الإرهاب
إسرائيل - أمريكا والإسلام



الإهـــداء

إلى أرواح الشهداء الأحياء...

وإلى الأموات الأحياء... العالة على التاريخ

علّهم ينتفضون!!



المقـدمـات

مَنْ هُمُ الإرهابيون؟!

هناك منظمة عالمية إرهابية يهودية تحكم العالم، وتخطط لتثبيت النظام الصهيوني في فلسطين، وتحطيم الأنظمة التي تعاديه. هذه المنظمة من السرية والضبط بحيث أنك قد تنتسب إليها لخدمة البشرية ومساعدة الضعفاء، وفجأة تجد أمامك رسالة صغيرة توجهك إلى الرئيس الأعلى في القدس أو في واشنطن..

هذه المنظمة استمدّت أساطيرها وأفكارها من الحقد اليهودي على العالم، وهي التي نظمت ورعت بل ونفذّت معظم الأحداث العالمية، وهي التي تصنع الزعامات، وهي التي تصنع المخططات الإرهابية على شكل كوارث وانتفاضات وانقلابات وأزمات وحروب وصراعات...

هذه المنظمة هي التي تُدير منظومة الإرهاب العالمي، وهي التي تنسج من أوهام السبي البابلي ومن محارق هتلر ثقافة أسطورية تتراوح بين الماسونية وعبدة الشيطان وشعب الله المختار، بهدف تدمير الأخلاقية العالمية والأديان وإزالة المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان على أنقاضه. هذه

المنظمة قد تكون من بقايا دولة يهود «الخزر» التي بقيت حتى بداية القرن العاشر الميلادي، وقد تكون من هؤلاء الذين انتظموا لاحقاً بالماسونية الكونية التي تحكم العالم اليوم، وقد تكون من زعماء الشركات متعددة الجنسيات المتعاقدين مع هذه المنظمة بهدف الربح والسيطرة والاحتكار والانتشار باسم النظام العالمي.الجديد.

هذه المنظمة استمدّت من التشتت أفكار التجذر في الأديان والمجتمعات والمنظمات والمناصب والوظائف والمراكز الفعّالة في المجتمع، لتتمكن لاحقاً من القضاء على الدينَين الإسلامي والمسيحي لصالح الديانة اليهودية الملفقة والهادفة إلى إرهاب العالم تمهيداً لحكمه والتحكم فيه.

هذه المنظمة الإرهابية تُدير عملياتها في العالم كله، وغايتها تبرر وسيلتها، فهي تستخدم الدعارة والتهريب والمخدرات والأبحاث الجرثومية والنووية وأسلحة الدمار الشامل، كما تستخدم المثقفين الراغبين بالشهرة والمال لاستعمالهم في الفصل بين الدين والدولة، والدعوة للحرية المطلقة في الحياة كالشذوذ والهيجات، وعدم الارتباط بالأخلاق، واعتبارها عائقاً في وجه التقدم والحضارة.

هذه المنظمة الإرهابية أدخلت عناصرها في الاقتصاد والفن والقضاء والسياسة والأحزاب والجيش... في كل أنحاء العالم، فهي مسيطرة على الولايات المتحدة الأمريكية وعلى روسيا وأوروبا وعلى العديد من البقع

المتوترة في العالم، وهي التي تُشكل وتنفذ معظم الانقلابات والصراعات في الدول الفقيرة، سواء بشكل عسكري مباشر أو غير مباشر، عبر الديون الخارجية والشركات العملاقة، والمشاريع الضخمة الفاشلة على المدى البعيد.

هذه المنظمة الإرهابية تعمل ضمن قاعدة دينية قوامها التميز عن البشر، وأنه يحق لأفرادها ما لا يحق لبقية البشر وأن أفرادها لا يُسألون عن أي جريمة يقترفونها، مهما كانت عظيمة كحرق الأطفال في فلسطين أو تجويعهم في العراق أو دفنهم أحياء في أفغانستان، أو تنظيم دمار إرهابي شامل كما حدث في ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية.

من أهم أعضاء هذه المنظمة: رؤساء الشركات البترولية والفنية والصناعية في العالم، رؤساء البنوك والشركات المالية الروتشيلدية، رؤساء المحافل والجمعيات السرية، كبار جنرالات العديد من الجيوش في العالم،العديد من كبار رجال الدين، العديد من مشاهير العلماء وأساتذة الجامعات ورؤساء الأحزاب...

أسس هذه المنظمة رجل الأعمال المصرفي الحاخام اليهودي الشهير (أمشيل ماير) المولود في ألمانيا عام ١٧٤٣، الذي عاش في زمن وبلاط الامبراطور فريدريك الثاني المشهور بالرشوة والفساد. تزوج ماير من يهودية

وأنجب عشرة أبناء انتشروا في العالم، ضمن المنظمة الإرهابية التي تحولت لاحقاً إلى الحكومة الخفية التي حكمت العالم وتتألف كما يلي:

- شارلوت ماير، ولدت سنة ١٧٧٠ وتزوجت من بيندكت موسى ورمز.
- انسيلم، ولد سنة ١٧٧٣ وتوفي سنة ١٨٨٥ وتزوج من ايفاهانو. وقد اختير عضواً في المجلس الخاص البروسي المشرف على التجارة وقنصلاً لبافاريا وعضواً في محكمة المصارف.
- سالومون، ولد سنة ١٧٧٤، وتزوج من كارولين ستيرن، وتوفي سنة ١٨٥٥، وكانت له علاقات متينة مع الأمير ميترنيخ ديكتاتور النمسا.
- ناثان، ولد سنة ١٧٧٧ وتزوج من جوهانا ليفي بارنت كوهين، توفي سنة ١٨٣٦.
- أزابيلا، ولدت سنة ١٧٨١ وتزوجت من بيرنهارد جودا سيشل.
- بابيت، ولدت سنة ١٧٨٤ تزوجت من ليوبولد بيفس.
- كارل، ولد سنة ١٧٨٨ وتزوج من اديلايد هيزتز، توفي سنة ١٨٥٥، وبعد ضم نيبلس إلى إيطاليا توقف مصرفه هناك سنة ١٨٦٠ وانتقل أبناؤه إلى فرانكفورت.
- جيمز (جاكوب) ولد سنة ١٧٩٢، تزوج من بنت أخيه

سالومون وتوفي سنة ١٨٦٨.

- جوليا، وقد تزوجت من مثير ليفي بيفس.
- هنريت وقد تزوجت من أبراهام مونفيور (*).

يذكر مؤلف كتاب «حكومة العالم الخفية» أن أبناء أمشيل شكلوا منظمة إرهابية لا تُنافس، وقسموا العالم بيهم: انسيلم وسالومون وناثان وكارل وجيمز وبيلمونت، في ألمانيا والنمسا وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية بالترتيب، وأن أمشيل دعا أبناءه إلى فرانكفورت قبل وفاته، وقرأ عليهم من التلمود ثم قال لهم: «تذكروا يا أبنائي أن الأرض جميعها تنبغي أن تكون ملكاً لنا نحن اليهود، وأن غير اليهود حشرات يجب أن لا يملكوا شيئاً... وعلى هذه النصحية سار الأبناء بكل حرص ودقة، فعاثوا في الأرض فساداً، غير آبهين بغير هدفهم الجوهري الأساسي: إرهاب العالم بخطط تتناسب مع الزمان والمكان...

كانت خطة إقامة الدولة اليهودية في فلسطين هي المحور الأساسي للمنظمة، وقد نجحت في ذلك فعلاً عبر وسائلها الشيطانية الإرهابية المحكمة في إنجلترا أولاً ثم في بقية دول العالم ذات العلاقة بالقضية اليهودية. وكان لا بدّ

(*) حكومة العالم الخفية ـ شيريب سبيريدوفيتش ـ ترجمة مأمون سعيد ـ دار النفائس بيروت ١٩٩٧.

للمنظمة، للمحافظة على الدولة اليهودية في فلسطين من التأكد من وجود دول ومنظمات وشخصيات فكرية ومالية وسياسية داعمة للوجود الصهيوني في فلسطين، بل ولتوسعه في المنطقة والعالم، وهكذا تسلسلت الأحداث، حتى تمخضت عن الأنظمة الحالية وعن الواقع الثقافي والسياسي المعاصر، الذي تبنى أطروحات كثيرة معادية للحضارة الإسلامية، والتي كان آخرها ربط الإسلام بالإرهاب، تبريراً لضربه وعزله ومبرراً لاحتلال بلاده بحجة الأمن العالمي ومكافحة جذور الإرهاب.

مارست المنظمة أشد حملات الإرهاب في فرنسا عام ١٧٨٩، حتى عرفت تلك الفترة من حياة فرنسا بعهد الإرهاب... وقد امتد إرهابها إلى روسيا والنمسا وألمانيا، فقادت الانقلابات وكونت العصابات واعتمدت على زمرة يهودية فائقة القدرات لاختراق المجتمعات السياسية والعسكرية. أهمهم آنذاك ديزرائيلي (١٨٠٥) ونابليون الثالث (١٨٠٨) وبسمارك (١٨١٥) وغامبيتا ـ غامبيرل (١٨٣٨)، والمارشال سلت وكارل ماركس... والمنظمة الإرهابية «الأم» التي نتحدث عنها، هي التي قتلت الإسكندر الأول سنة ١٨٢٥، وهي التي قتلت نابليون الثاني عام ١٨٣٢، منهكاً من الجنس الأحمر مع الراقصة اليهودية الفاتنة (فاني إلسنر) التي سخّرتها المنظمة للدخول في حياة نابليون وقتله... كانت المنظمة تحارب الدين وتحارب

الدولة وتحارب الأمن وتحارب المؤسسات الأخلاقية أينما كانت، بواسطة المال والنساء والفساد والسلاح والإرهاب... وقد نجحت المنظمة فعلاً في إشعال الثورات في فرنسا وألمانيا وروسيا كما سنرى بالتفصيل، وهي الثورات التي ظهرت وكأنها لصالح الإنسانية والعدالة والأخوة والمساواة ولكنها في الجوهر كما أقرّ المؤرخون المنصفون، لم تكن في جوهرها، وبخاصة الثورة الفرنسية، إلا ثورات إرهابية نظمها اليهود في المنظمة الإرهابية الروتشيلدية التي أسست الإرهاب المنظّم في العالم (*).

للتأكد من استمرار سيطرة الدولة الصهيونية ـ الروتشيلدية في إسرائيل، كان لا بدّ من قطع عدّة أشواط، مرّت في تاريخ المنظمة في السابق، وحققتها بنجاح منقطع النظير، وعلى رأسها القضاء على سلطة الدين المسيحي، وكذلك قررت المنظمة الأم القضاء على الدين الإسلامي الذي أصبح العائق الوحيد، بعد تخطي العقبات الوهمية، في وجه التمدد الصهيوني المتطرف. ولذلك جيّشت المنظمة العالم ضد الإسلام، وجعلته العدو الحقيقي بعد

(*) يقول رينان عن أحداث الثورة الفرنسية الإرهابية: إن قتل الملك لويس السادس عشر من أشنع أعمال النظرية المادية وينم عن عدم عرفان بالجميل، وهو عمل يجلله العار والخسّة والنذالة والتنكر للماضي: (Ernest Renan, La Monarchie Constitutionelle en France).

زوال الشيوعية من الاتحاد السوفيتي السابق. وبدأت الحملة الشعواء على الإسلام من داخله عبر المأجورين من أبنائه، ومن خارجه، عبر القوى التي تشترك مع المنظمة بمصلحة القضاء على الإسلام القوي لاستمرار هيمنتها على العالم... لقد كان الإرهاب هو التُهم الجاهزة، المعدّة سابقاً، ضد الإسلام، ومِنْ مَنْ؟ من المنظمة الإرهابية الأم في العالم!! إن هذه التهمة مما يُقال فيه: شر البلية ما يُضحك والضحك هنا دليل على الاشمئزاز أيضاً.

أسامة بن لادن، مع كل علامات الاستفهام حوله، يُشبه إلى حد كبير (روبسبير) خطيب الثورة الفرنسية، الذي استعمله الإرهابيون للقضاء على أعدائهم الملكيين، ثم قرروا إعدامه بعد ذلك، لأن ضميره قد صحا وعاد إلى جوهره، وندد بجرائم الإرهابيين اليهود الذين جنّدوه. فقد حارب بن لادن الاحتلال السوفييتي لأفغانستان عبر المجاهدين من كل أنحاء العالم الإسلامي وأصبح الزعيم الحقيقي والممول الحقيقي للمجاهدين بعد وفاة مؤسس حركة الجهاد الإسلامي الشيخ عبد الله عزام، وتمكن عبر نجاحات عسكرية وتنظيمية وتعاون عربي ودولي، من دحر القوات الروسية خارج أفغانستان، والنظر إلى قضايا أخرى تتعلق بوضع المسلمين في العالم، وبخاصة قضية تواجد القوات الأمريكية في العديد من البلاد العربية ودعم الأنظمة الاستبدادية في المنطقة... ومن التعاون والتمجيد إلى

القصف الأمريكي لمقره بالصواريخ بعيدة المدى في منتصف التسعينات، إلى تنصيبه زعيماً مطلقاً للإرهاب العالمي، وأشهر المطلوبين في العالم(*).

والسؤال الآن، لماذا تحوّل الحليف إلى عدو؟ ولماذا تكوّنت القاعدة وهل هي حقيقية أم مجرد سيناريو دولي؟ فلا أحد يعرف على وجه التحديد كل التفاصيل أو كل الحقائق، فقضايا الحركات السريّة غالباً ما تظل غامضة وغير مكشوفة تماماً، وقد تنتهي الحركة بكاملها دون معرفة حقيقتها، لأن المستور لا تكشفه التحليلات ولا التصورات، وإنما تكشفه الحقائق وهي غائبة حتى الآن... لذلك لن تُقبل الاتهامات من طرف واحد دون محاكمة علنية يُعرف منها كل التفاصيل، وحتى ذلك الحين، فتهمة الإرهاب الملصوقة جبراً بالإسلام هي مجرد تهمة لا تُغني من الحق شيئاً، وقد تكون أو غالباً ما تكون، استمراراً لنشاطات المنظمة الإرهابية الأم التي تأسست منذ مئات السنين ومارست آلاف الجرائم الإرهابية على مساحة العالم كله، وقد تكون جريمة تفجيرات ١١ سبتمبر في أمريكا من نشاطاتها، التي تبتغي من ورائها خلط الأوراق والوصول إلى أهدافها الإجرامية في بلاد العرب والمسلمين.

(*) راجع نص كلمة أسامة بن لادن صفحة ٣٧٢.



إرهاب أم ماذا؟!

حتى الآن ومنذ ربع قرن من الزمان على الأقل، والعالم لا يعرف تماماً حقيقة ما يجري داخل الجماعات الإسلامية، التي أصبح العالم يُناديها بالجماعات الإرهابية أو بالجماعات الأصولية الإرهابية، أو على الأقل بالجماعات المسلحة. وهي، على مساحة العالمين العربي والإسلامي وربما في العديد من الدول الأخرى تفسح بالمجال للإعلام وللرأي العام العالمي ولأجهزة المخابرات بأن تشكّ في أمرها، ولذلك فمن الشائع أن نقرأ أو نسمع في وسائل الإعلام عن اعتقال عناصر من الجماعات الإسلامية، ثم لا نعرف حقيقة أسباب الاعتقالات ولا المحاكمات ولا الأحكام الصادرة بحقهم. وقد يكن مفهوماً أن تعتقل إسرائيل عناصر حماس أو الجهاد على أنهم إرهابيون، وقد يكن مفهوماً أن تعتقل الهند عناصر من الجماعات الكشميرية على أنهم إرهابيون. . . ولكن الغريب أن تعتقل الدول العربية والإسلامية العشرات من الشباب المتدينين وربما المئات في كل يوم أو في كل يوم ويوم،

ثم تفرج عنهم أو لا تفرج عنهم، وتبقى ملفاتهم مفتوحة، وتبقى الدول قادرة على اعتقال من تريد وقتما تريد تحت طائلة العمل في الجماعات الإسلامية المحظورة، فلماذا هي محظورة ولماذا تُصنف على أنها إسلامية أصلاً؟

ونحن كمراقبين نهيب بهذه الجماعات للدفاع عن نفسها بعلمية وواقعية وأن تعرض قضيتها بكل يسر ووضوح أمام الرأي العام وأمام المؤسسات القضائية وجمعيات حقوق الإنسان؛ لأن لصق الإرهاب بالإسلام لا يمسّ بالجماعات الإسلامية فحسب، وإنما يمسّ بالإسلام وبالحضارة الإسلامية وبالزمن الإسلامي كله...

كل الإعلام العربي والعالمي يعتبر ابن لادن إرهابياً، وهو المطلوب الأول في العالم... عندما سأله جمال إسماعيل مراسل الجزيرة سابقاً عن أهداف تكوينه للجبهة الإسلامية العالمية لمقاتلة اليهود والصليبيين، (القاعدة لاحقاً(*))، رد ابن لادن بمعلومات مغايرة تماماً عما نسمعه ونراه في وسائل الإعلام وملفات التحقيق المخابراتية فلماذا؟! وأين الحقيقة؟!

يقول ابن لادن: نحن نطالب بتحرير أرضنا من الأعداء والأمريكان، فنحن نسعى لتحريض الأمة على الجهاد

(*) انظر نص بيان الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين صفحة ٣٦٧ وكذلك بيان سليمان أبو غيث باسم القاعدة صفحة ٣٧٥.

ليحكم الشرع وتكون كلمة الله هي العليا. ويدعم ابن لادن مواقفه بالآيات القرآنية التالية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥١].

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٢].

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [سورة النساء، الآية: ٧٧].

ويردّ ابن لادن على مُتهميه بأنه ليس صنيعة أمريكية، وأن الأمريكان كانوا عالة على المجاهدين وأن الأمريكان سعوا لتحقيق مصالحهم ضد الاتحاد السوفييتي السابق ولم يقدموا لنا المعونات كمجاهدين. ويقول: عندما قاتل المسلمون الروم في غزوة مؤتة هل كانوا عملاء للفرس؟ فتقاطع المصالح لا يعني العمالة. ويرى ابن لادن أن الأمريكان يسرقون البترول العربي والإسلامي، وأنهم سرقوا

ما قيمته ٢٥ تريليون دولار خلال الـ ٢٥ سنة الماضية، وأن هذه المبالغ لو وزعت على مسلمي العالم (١،٢ مليار نسمة) لكان نصيب الفرد المسلم الواحد حوالي ثلاثين ألف دولار، ولما بقي في العالم الإسلامي فقير أو محتاج (*)...

في المقابل نجد العشرات بل المئات من المؤلفات والتقارير التي تعرض ابن لادن على أنه المجرم والإرهابي الأول في العالم، وأنه كان مهرّباً للمخدرات، ويستخدم العبيد في حركته الإرهابية، وأنه كان على وشك تنفيذ القنبلة النووية لإرهاب القوى العظمى وابتزازها (**)، فأين هي الحقيقة؟ إن المحاكمات العلنية هي التي تكشف الحقيقة!!.

(*) بتصرف من كتاب «بن لادن والجزيرة وأنا» لجمال عبد اللطيف إسماعيل: ٢٠٠١: ١٣٨ ـ ١٥٦.

(**) راجع كتاب: القاعدة الإخوة الإرهابيون.

الإرهاب الفكري

عندما دخل العرب إلى إسبانيا في بداية القرن الثامن الميلادي فاتحين حاملين الحضارة القرآنية، نظر إليهم الغرب على أنهم أمة متوحشة، كافرة إرهابية، ورأى مفكروها ورجال الدين خصوصاً، بأن العرب هم التنين الذي ورد ذكره في سفر دانيال، وأن انتصارهم في الفتح وتكوين الدولة العربية في أوروبا هو إمارة لظهور المسيح ونهاية العالم. وقد ظهر هذا الحقد الدفين تجاه العرب وحضارتهم بأنشودة «رولان» (*) التي تفننت في جعل العرب كالأبالسة مقابل الملائكة المسيحيين وضرورة إخضاعهم واحتوائهم طبعاً أو سحقهم وقتلهم... وهذا ما حدث فعلاً فقد جيّشت الكنيسة المغامرين الأوروبيين لغزو الشرق في الحروب الصليبية ضمن عقلية جاهلة حاقدة نظرت إلى الآخر على أنه مضلل وكافر وملعون وعابد للشيطان (**).

(*) جان جبور ـ النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي ـ دار النهار ـ بيروت ٢٠٠١، ص: ٣٧.

(**) المصدر السابق، ص ٦٥.

في الكوميديا الإلهية وفي تجواله في الجحيم يُعاين (دانتي) النبيَ محمداً ﷺ في الدائرة التاسعة من الجحيم (الدرك الأسفل) قرب الشيطان، حيث حُشر مثيرو الصدامات والانشقاقات الدينية والسياسية (*).

يُقدّم «تيفينو» صورة قاتمة عن الشرق عموماً، ويرى أن الإنسان المصري متلازم في صفاته مع الخسّة والدناءة والكسل والانحراف الخلقي، ويخلص بأن المصريين يستحقون العبودية وهم لا يتمايزون بشيء عن الكلاب... ويرى د. جبور أن هذا التجذر بالنظرة إلى الشرق هو الذي دفع إلى استعمار الشرق، وهو الأمر الذي أقنع نابليون للقيام بحملته على مصر والشام في نهاية القرن الثامن عشر (**).

وهكذا امتدت جذور العداء الغربي للشرق على مستويين: مستوى التشويه للحضارة الإسلامية عندما كان الغرب ضعيفاً محتلاً، ومستوى الإخضاع للشرق عندما تحوّل الغرب إلى كيانات ودول قوية وفاعلة (***).

في مسرحية ڤولتير: «التعصب أو محمد الرسول» التي

(*) جان جبور ـ النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي ـ دار النهار ـ بيروت ٢٠٠١، ص ٨٣.

(**) المصدر السابق، ص ١٢٣.

(***) يقول اللورد كرومر حاكم مصر في زمن الاحتلال البريطاني: «جئت إلى مصر لأمحو ثلاثاً: القرآن والكعبة والأزهر».

عرضت عام ١٧٤١م يجمع ڤولتير، وهو من يُسمّى بفيلسوف الأنوار، كل النقائص والرذائل ويضعها في النبي محمد ﷺ، كوسيلة على ما يبدو للمساهمة في إرهاب العالم عبر التضليل الذي مارسته الماسونية، وكطريق غير مباشر للقضاء على الأديان لصالح الفساد والمنظمة الإرهابية العالمية التي حكمت العالم من وراء ستار.

لنسمع جيداً ما كتبه ڤولتير عن النبي محمد ﷺ في رساله إلى ملك بروسيا عام ١٧٤٢:

«إن أي إنسان عاقل يرفض الاقتناع بأن تاجر إبل ادعى أن الملاك جبريل يتجلى له فيدخله في حالة انخطاف توحي له السماء بكتاب مبهم لا تخلو صفحة من صفحاته مما يتعارض مع العقل والمنطق، استطاع أن يحوّل فتنة صغيرة أثارها في دسكرة إلى حدث كبير اجتمع حوله بعض القريشيين، وأنه استطاع أن يفرض كتابه بالحديد والنار فيذبح الآباء ويخطف البنات ويجبر المغلوب على اعتناق دينه. إنها أمور لا يقبلها أحد، اللهم إلا إذا كان تركيا وأعمت الشعوذة قلبه وحُجبت عن أبصاره نور الحقيقة».

وهذا المحتوى «الحاقد» للإسلام وللنبي هو ما صوره ڤولتير في مسرحيته الشهيرة (!!) مُحدّداً مسار شخصية النبي الكريم على أنه: مهووس مخادع، يعبد الأوثان، متعصب، يتقن فن التضليل، محتال، قاسي القلب، متوحش، يهوى الاحتيال والحرب، وقح، وحش مضلِّل، ظالم، لص، منشق حقير،

سائق جمال فظ، غاوٍ للنساء، خائن، الطاغية الأكثر إجراماً، يمتلك سادية الانتقام(*)... وباختصار فمحمد ﷺ تجسيد مطلق للشر بنظر ڤولتير... والإسلام كذلك رديف الجهل والتعصب والإرهاب. وهو المفهوم الذي امتد من فلاسفة وأدباء القرون الوسطى وعصر الأنوار حتى يومنا هذا، حيث عاد الغرب(**) إلى جذوره وعاد إلى طبائع الكراهية للإسلام وللحضارة الإسلامية(***) وللشرق وهذا ما فصلناه في الجزء الأول من هذا الكتاب.



(*) حاشا لرسول الله أن يكون كذلك.

(**) راجع تعريفنا «للغرب» في كتاب عولمة الكراهية ٢٠٠٣: ٢٤٤.

(***) يُمثل العالم الإسلامي ٥٥ دولة، لكل منها خصوصياتها وهي قد تحارب بعضها بعضاً كما حدث بين العراق وإيران، ولذلك فالمقصود هنا هو واقع الحال الإسلامي لا المثال فقط...

الجزء الأول

أمريكا والإسلام

حشاشو اليوم

تشير المعلومات التاريخية إلى أن (ريتشارد) قلب الأسد، طلب من حسن الصباح زعيم الحشاشين، التعاون السّري معه للقضاء على منافسيه الأوروبيين، وبخاصة (الكونت كوزاد دي مونت)، فمدَّ قلب الأسد الصبَاح بالمال والجواسيس والنساء والمخدرات، وقامت بين الطرفين شراكة إرهابية أوصلت قلب الأسد إلى عسقلان، كما أوصلت الصباح إلى الشهرة والنشوة!!

فيما بعد نظمّ الحشاشون للصليبيين، بعد عام ١١١٨م، منظمة «فرسان الهيكل» التي بقيت المنظمة الإرهابية بامتياز في الشرق والغرب على السواء. فليس للإرهاب من دين أو حدود ولا يمكن ربطه إلّا بالإرهابيين أنفسهم.

هذا التنظيم يُشبه إلى حد بعيد التعاون العسكري بين حركة طالبان وابن لادن من جهة، وبين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من جهة ثانية، للقضاء على النفوذ الروسي في أفغانستان، حيث كانت أمريكا تهدف إلى جعل أفغانستان وإيران وتركيا جداراً في وجه الدب الروسي

الحالم بالمياه الدافئة.

وما أكبر فرحة الرئيس الروسي (بوتين) اليوم، بلسع النار الإرهابية لأمريكا، فعلى شاكلة عصابة (الخصيان) الإرهابية، التي أرهبت روسيا والبلقان لعشرات السنين، عاد ابن لادن لإرهاب الأمريكان بعد أن انتهى دوره في إرهاب الروس. هذا الإرهاب ليس بعيداً من حيث الجوهر عن إرهاب الراهب (سيروانا نجياركو) صاحب العصابة الإرهابية الأوروبية الشهيرة التي نقلت عنها الأحزاب الهتلرية والموسيلينية واليمينية المتطرفة معظم فنون القتل والتدمير والإرهاب فيما سمي أيضاً بالألوية الثورية والمافيا وما شابه.

وبالمثل فالأسترالي (مايكل روهان) الذي أحرق المسجد الأقصى في ١٩٦٩/٨/٢١م، وذلك الشاب الأشقر الذي نفذ مجزرة الحرم الإبراهيمي المروّعة ومجازر عصابة الهاجانا التي تحولت فيما بعد إلى الجيش الإسرائيلي، الذي يقصف أعمار الأبرياء كل ثانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بقيادة الإرهابي شارون دون حياء من شيء... هؤلاء جميعاً، ومَن قتل فرج فودة ومَن حاول قتل نجيب محفوظ، وكل من أرهب آمناً بالقتل أو بالتهديد أو بالتحقيق والتعذيب، هؤلاء جميعاً هم الإخوة الإرهابيون في العالم، الذين لا يعرفون الحدود ولا الأوطان ولا القوانين ولا الأديان. هدفهم الإرهاب للتلذذ والسيطرة

وتعويض الرهاب النفسي لديهم، وهم ليسوا عرباً فقط، وليسوا أوروبيين فقط (*)، هم إرهابيون فقط. من هنا لا بد من العمل الجاد عبر وسائل الإعلام الداخلي والخارجي لإلغاء شبهة ربط الإرهاب بالعرب أو بالمسلمين وبخاصة بعد الأحداث الدامية التي أسقطت الأبرياء في نيويورك وواشنطن في نهاية التاريخ الأمريكي في ١١/ ٩/ ٢٠٠١، ولا بد أيضاً من توجيه تهمة الإرهاب إلى الدول الاستدمارية التي تمارس الإرهاب تحت مظلة قوتها وسيطرتها على العالم وبخاصة أمريكا، قبل توجيه تُهم الإرهاب للفقراء المضطهدين الذين كانوا دائماً وقود الإرهاب ومادته.

(*) يربط بعض المفكرين من عرب وأجانب الإرهاب بالمفاهيم الإسلامية الأصولية. ويُحدرونه من أحمد بن حنبل إلى ابن تيمية إلى محمد بن عبد الوهاب إلى القاعدة بمفهومها العالمي المضاد للمصالح الأمريكية والصليبية!

WANTED!!

تكاد لا تخلو وسيلة إعلامية عربية صدرت بعد أحداث ١١ سبتمبر المشؤومة، من صور وأخبار عن عرب ومسلمين تطاردهم أجهزة المخابرات الأمريكية بتهمة الإرهاب، وتظهرهم كديناصورات فلتت من عقالها، وأنها ستبيد البشرية باجتماعاتها السرية وخلاياها النائمة والقائمة والقاذفة، على طول العالم وعرضه، وبخاصة في الدول العربية والإسلامية. أشهر تلك التقليعات الإعلامية التي لا تخلو من براءة الأطفال وقصر نظرهم، خبر اعتقال رمزي بن الشيبة في كراتشي مع ستة آخرين من رفاقه، منهم عمر الغريب، شقيق أحد المتهمين بتنظيم الهجوم على المدمرة الأمريكية «كول» في أكتوبر عام ٢٠٠٠م في اليمن، وقد انتشر هذا الخبر في الإعلام العربي انتشار النار في الهشيم، طبعاً مع التوابل والبهارات، فأين الفائدة الإعلامية من التركيز على مثل هذه الأخبار وتحويل الاهتمام العربي والرأي العام العالمي، عن مجازر «شارون» في فلسطين، وعن تهديده لكل العرب بالويل والثبور وعظائم الأمور، إن هم حاولوا الاستفادة من مياه أنهارهم، أو هم طالبوا بالأمن العربي أو بحماية الشعب الفلسطيني من الإبادة اليومية؟!

في الفترات الحرجة من المفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية ألهت المخابرات الإسرائيلية العقل العربي والعالمي بقميص مونيكا الأزرق والسيجار المبلول وبالصفات الجنسية للرئيس الأمريكي «كلينتون»، وعندما انتهت الفترة الحرجة، انطفأت محاكمة الرئيس وعادت مونيكا إلى كتابة مذكرات وبطولات بملايين الدولارات.

وهذه الأيام، ومنذ أن استلم «شارون» مقاليد المجازر في الأرض المحتلة، والإعلام العربي والعالمي، بدعم من المخابرات العالمية ومن المنظمات الإرهابية، يحاول جاهداً اختراع القصص والمؤامرات، ويركز على الإرهاب، وعلى محاور الشر، وعلى ضرورة تخليص النظام العالمي من الشوائب المتمثلة بالقاعدة ومؤيديها ومموليها ومنظميها، وآخر القضايا أو اللهايا، هي قضية العراق والحرب على صدام حسين ونزع أسلحة الدمار الشامل. . . وتحت غبار هذه المعارك الإعلامية والقرار ١٤٤١، كان ولا يزال «شارون» يقصف أرواح أبنائنا في فلسطين، ويدمر كل شيء فلسطيني يتمكن من تدميره، فلماذا نحن بهذا الغباء والسطحية؟!

قالت شبكة «أي.بي.سي» التلفزيونية الأمريكية، نقلاً عن مصادر مخابرات أمريكية أن السفينة الحربية الأمريكية بيليو وود تقف قبالة سواحل اليمن وستستخدم كقاعدة عائمة لقوة العمليات الخاصة التي تتجمع حالياً في دولة جيبوتي.

وقالت الشبكة: «تقول المصادر أن أكثر من ٨٠٠ جندي أمريكي وعشرات من طائرات الهليكوبتر المتخصصة تجمعت الآن في جيبوتي ومن بينها فرقة من قوة دلتا السرية المتخصصة في اختطاف المشتبه بهم من أراضي دول أخرى. وأضافت أن مخاوف المسؤولين الأمريكيين تنامت من أن اليمن الذي عاش فيه من قبل أسامة بن لادن المشتبه به الرئيسي في الهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة قد أصبح ملاذاً آمناً لمقاتلي القاعدة الهاربين».

مادة هذا الخبر الوارد في جميع وسائل الإعلام العربية والعالمية، والأصح الوارد في جميع وكالات الأنباء الغربية، والمنقول إلى الإعلام العربي بشيء من براءة الأطفال وسطحيتهم، مادة هذا الخبر كافية لتسويد وسائل الإعلام العربي حتى نهاية مخطط شارون في القضاء على خلايا حماس والجهاد الإسلامي في غزة والضفة الغربية وكافية أيضاً لحشد ربع مليون جندي أمريكي في الخليج وحول العراق... إلى الأبد.

اعتقال خمسة شباب يمنيين في بافالو ـ بنيويورك وشريك سادس لهم في البحرين هو مختار بكري، على أنه أحد أهم أعضاء تنظيم القاعدة الإرهابيين. هذا الخبر تكرره الصحافة العربية بنفس الألفاظ على العشرات من الأسماء، وتكرر عرض خطورة المعتقلين بنفس العقلية، وبنفس الإخراج أحياناً كثيرة.. وهذا يكفي لتوريط البحرين

ولتوجيه الاتهام لنظامها، فهل يساهم الإعلام العربي في توريط البلاد العربية والشباب باتهامات قد لا تكون سوى بالونات مخابراتية لكسب التعاطف العالمي لمشروع أمريكي قادم للسيطرة على المنطقة؟. وما قصة دعم حرم الأمير بندر بن سلطان لمنفذي هجمات ١١ سبتمبر إلّا ألعوبة مخابراتية أخرى، ولكن من الوزن الثقيل هذه المرّة...

يعلم الإعلاميون العرب جيداً، أنهم يُشاطرون العديد من الجهات الخارجية، بالإساءة لبلادهم، سواء بتكرير مادة وكالات الأنباء العالمية، أو بقبول الأطروحات المخابراتية حول العديد من القضايا الجوهرية والاستراتيجية للمنطقة، وهم بذلك يساهمون في طعن الجمل الذي قال المثل فيه: «إذا وقع الجمل كثرت السكاكين في عنقه»!!

ثم تحول الإعلام إلى ماليزيا: المباحث الأمريكية تستجوب منسق اجتماعات القاعدة «يزيد صوفات» في كوالالمبور، بالأمس القريب كان زكريا الموسوي الفرنسي المغربي هو المادة الإعلامية وغداً ستكتشف المخابرات المركزية بطلاً جديداً، ربما أميراً أو رئيساً أو شيخاً وها هو صدام حسين على رأس المتهمين، وهكذا حتى متى؟! ألا يستحق هذا الموضوع المركزي تحليلاً إعلامياً عربياً أكثر نضجاً من مجرد التسويد الذي نراه الآن في إعلامنا البريء؟!

إذا ما استمر الإعلام العربي في التطبيل والتزمير لأخبار وكالات الأنباء العالمية، ولتسريبات إدارات

المخابرات العالمية، فإننا إزاء ظاهرة في غاية الخطورة وهي الاعتراف بالدونية والإرهاب، وهي القضايا التي وُجد الإعلام أصلاً لنفيها عن أصحابه لا لإثباتها دون أدلة!!

على الإعلام العربي في المرحلة الحرجة الراهنة أن يركز اهتمامه على أربعة محاور أساسية:

أولاً: التركيز على العمق الثقافي الإسلامي وعلى المنهج الإنساني المتفرد فيه، وعلى القضايا اليومية التي تمس الإنسان العربي من حريته إلى حقوقه إلى نظمه إلى تعليمه وطبابته وطفولته وشيخوخته... على غرار ما فعله رواد النهضة العرب في القرن التاسع عشر، وما قام به رواد النهضة الأوروبيون قبلهم بقرنين من الزمان. ولا بد من الاعتراف بأن الثقافة العربية اليوم هي في أحط أطوارها وأن المثقفين العرب عموماً لم يشاركوا فعلاً في النهضة العقلية للأمة، بقدر انبطاحهم في سلطات السلاطين والحكام، وبقدر انحيازهم لمصالحهم الشخصية، المرضية أحياناً كثيرة. وأكبر دليل على غياب الفاعلية الثقافية وأنوار العقل العربي، ما نراه اليوم من ضياع وتشتت وسخف إعلامي وثقافي (*) إزاء الهجمة الغربية على العرب عموماً

(*) هناك من المفكرين العرب من يُبرر للغرب ولأمريكا خصوصاً وصم المسلمين بالإرهاب (راجع ص ١٧٥ للحديث عن كتاب «أوهام الإسلام السياسي» تأليف عبد الوهاب المؤدب).

وعلى العراق والجزيرة وعلى المسلمين وربطهم بالإرهاب والتخلف والدونية.

ثانياً: التركيز على القيم الحضارية الإسلامية، وعلى الرصيد التاريخي للإنسان العربي، والانطلاق منها، ضمن نظرة نقدية واعية، لرفض الإرهاب والتعصب، وللاندماج في حركة التاريخ الكوني، الإبداعية والعلمية والمنتجة، ضمن أفكار وفلسفات ومؤسسات هي أصل القيمة الحضارية لأية أمة فاعلة في التاريخ، على أن تكون المرأة العربية كالرجل العربي في القيمة والمحورية ورفض النظر للمرأة كدمية ومادة إغراء ومتعة.

ثالثاً: النقد الواعي للمشروع الصهيوني، وتحديد طبائع الصراع العربي الإسرائيلي وأبعاده، والالتزام بأهدافه الاستراتيجية، والاتفاق على المعاني الجوهرية للحرب والسلام والتعاون الدولي، وعلى مفهوم السامية والصهيونية وما يتعلق بكل ذلك من مسالك والتزامات.

رابعاً: مع التسليم بضرورة الاندماج مع الزمن في تطوره وسرعته، لا بد من كشف عورات النظام العالمي الجديد، المادي الجشع، الذي يخطط بكل صلف وتعنّت للسيطرة على العالم، انطلاقاً من العالمين العربي والإسلامي وصولاً إلى بقية أرجاء المعمورة حتى سيبيريا، وبالأخص الشبق الأمريكي للسيطرة والقرصنة.

وعلى العاملين في الوسط الإعلامي العربي التنبه للقضايا الجوهرية في بنائه وأساليبه ومنها على سبيل المثال لا الحصر المواد الإعلامية الساخنة التالية:

* - سخافة وتهاوي الفكر الرأسمالي الحديث، الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية وتناقضه المستمر، وتعارضه مع المفهوم الإنساني للكون.

* - حتمية سقوط وتفتت ذلك النظام، وقد بدأت إرهاصات سقوط النظام الأمريكي، بعزلته وانفراده بالقرارت التي تخص الدول الأخرى وتخطيه للشرعية الدولية وللمبادىء الإنسانية السامية وبالأخص انحيازه للإجرام الصهيوني، ودعمه لأنظمة الاستبداد في العالم. وما ظهور التحالف الألماني الفرنسي الروسي ضد الحرب على العراق وضد التفرد الأمريكي إلاّ الومضة الأولى. وعلى الإعلام العربي أن يذكّر العرب والعالم على سبيل المثال بدور الولايات المتحدة في تنصيب الديكتاتور «بينوشيه» في تشيلي عام ١٩٧٣م على جماجم عشرات الآلاف من القتلى وعلى رأسهم الرئيس سلفادور إليندي، وكذلك بتحويل دول أمريكا الجنوبية إلى دول متهاوية مفلسة متناحرة. أما مآسي هيروشيما ونجازاكي وفيتنام وكوريا وأفغانستان والعراق والصومال وفلسطين ولبنان، وعشرات المناطق التي التهبت بفضل سياسة رعاة البقر، فهي المادة التي على

الإعلام العربي إظهارها بكل أبعادها موثقة وجريئة، حتى لا يجرؤ الإعلام الغربي في المقابل على اتهام العرب بالإرهاب، بينما هو الذي يصنع الإرهاب وينفذه ويصدّره لنا ثم يُعاقبنا عليه، ومن المؤسف أن الكثير من الأنظمة العربية تحسّ بالحرج من عرض سوءات النظام الأمريكي لأن سقوفها من زجاج!!

يُقال أن قصف اليابان للأسطول الأمريكي في بيرل هاربر، كان بمعرفة الرئيس الأمريكي وقد تغاضى عنه لأسباب تشبه تغاضي الرئيس بوش الابن عن التخطيط لأحداث ١١/٩/ ٢٠٠١م في أمريكا. وأن الحرب الفيتنامية كانت بادّعاء ملفق من الرئيس جونسون عام ١٩٦٤م، بأن مدمرة أمريكية تعرّضت لهجوم فيتنامي وهو أمر لم يحدث مطلقاً، وإن كيسنجر هو الذي اخترع التدخل في كمبوديا عام ١٩٧٥م بتلفيق حادثة احتجاز الثوار الكمبوديين لسفينة أمريكية عملاقة لم تُحتجز على الإطلاق، وأن الحرب العراقية ضد إيران كانت بإيعاز أمريكي، وكذلك الحرب العراقية ضد الكويت، وأن السلطات المخابراتية الأمريكية لم تمنع أحداث ٩/١١ عمداً، للوصول بالعالم إلى الحالة التي نراها اليوم.

على الإعلام العربي التركيز على الممارسات الأمريكية في الوسط الدولي أيضاً: لماذا لم توقع أمريكا على اتفاقية كيوتو ولم تلتزم بتخفيض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون من

مصانعها، وهي التي تلوث الكون من ٢٥٪ من مجمل هذه السموم؟ لماذا انفردت بتأييد إسرائيل في مؤتمر ديربان، وعارضت التوجه الدولي المناوىء للعنصرية والهيمنة واحتقار الإنسان؟ لماذا لم توقع على مؤتمر «يوكوهاما» لمناصرة أطفال العالم ضد الاستغلال، ولماذا تمصلت من التزاماتها العالمية، المتناسبة مع كونها تملك أكثر من ٤٠٪ من ثروات الكون، في قمة الأرض في «جوهانسبيرج» للتنمية المستدامة؟!

ولنا أن نسأل: هل تخشى الولايات المتحدة الأمريكية من الادعاء عليها بممارسة التعذيب، وعدم التزامها بحقوق الإنسان، في جوانتانامو مثلاً، لتمتنع عن التوقيع على معاهدة منع التعذيب التي أقرّها العالم كله؟ ولماذا ترفض الموافقة على الإجماع الدولي بإنشاء محكمة الجزاء الدولية..

لو سألنا الآخر، والآخر هنا هو الولايات المتحدة الأمريكية، كل هذه الأسئلة، ألا تصبح ملزمة، ولو لزمن رغم عجرفة وعنجهية «الصقور» فيها، بالبحث عن الإجابات والمبررات؟! ألا نوجه اهتمامها لتضميد جراحها، وترك العرب وشأنهم، لفترة على الأقل؟!

أنياب الغرب

انطلاقاً من أن التاريخ هو ما يحتاجه الناس من أحداث الماضي، لا ما في الماضي من أحداث، فإننا وفي هذا الوقت بالذات، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وبعد أن كشّر الغرب عن أنيابه، وبعد أن فوضت إسرائيل بالعبث بأرواح وتراث العرب في الشرق العربي، لا بد لنا من الالتفات إلى مجموعة من الحقائق، وهي الحقائق التي نحتاجها من التاريخ:

١ ـ بعد حرب الخليج الثانية أو ما عُرف بحرب تحرير الكويت عام ١٩٩٠، التي دمرت العراق وحاصرته، واستنفدت ثروات الخليج والجزيرة العربية وجعلت أغنى دولة مديونة بمئات المليارات من الدولارات، وأرجعت المناطق العربية ألف سنة للوراء، على الأقل، وأدّت إلى تمركز مكثف للقوات الأجنبية في الأرض العربية، والتي فرض هيمنة سياسية واقتصادية لا مثيل لها في العالم، تشبه إلى حدٍّ بعيد حركة استعباد أفريقيا. بعد سنوات على عاصفة الصحراء العاصفة،

صرح بطلها الرئيس الأمريكي بوش، أن تلك الحرب كانت استمراراً لحرب بين الإسلام والغرب دامت أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

٢ ـ بعد بوش الأب جاء بوش الابن بالتهديد والوعيد لكل العرب ولكل المسلمين مصنفاً مؤكداً أنه من ليس معنا فهو مع الإرهاب، وأنه في مكان التقرير نيابة عن شعوب الأرض، وبخاصة الشعوب الحرّة، وأنه سيخوض الحروب أينما شاء ومتى شاء، للقضاء على الإرهاب على حد تعبيره. ويُدرك المؤرخون أن مثل هذه السلوكيات المراهقة هي الإرهاب الدولي بعينه، وهي صورة زمنية مستنسخة لزعماء قدماء، خاضوا حروباً مشابهة، إن لم تكن متطابقة، لحروب بوش ـ بوش، ضد العرب وضد المسلمين بل وضد العالم الذي ليس من توابع بوش، وهو الذي اتضح من رفض بوش لزعامة الرئيس الفنزويلي، وتصنيف إيران وكوريا والعراق في محور الشر، والعمل الدائب على تصفية الأفغان وبخاصة الأفغان العرب المحصورين في معتقل غوانتانامو الشبيه بكل أنواع حدائق الحيوان في العالم.

٣ ـ هذه الصورة المفزعة للمشهد الكوني اليوم تشبه ـ وربما تتطابق ـ مع المشهد الكوني، في فترات القوة العلمية والحضارية العربية، عندما كان للعرب والمسلمين حضارة قوية أثّرت في نفوس وعقول الأوروبيين

فأخذوها مشدوهين وتحولوا إلى رشديين وإلى ابن سينا ـ لاتين وإلى أرسطو عربي، وعندما ظهر كتاب «الأقسام الفلسفية» في أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي، ظهرت الفضائح للعيان، فأوروبا كلها لا تعرف إلا علوم العرب ونظريات العرب وسلوكيات العرب، وهناك في القرن الثالث عشر الميلادي بدأ الصراع الأوروبي الحقيقي ضد الثقافة الدينية، وتبنت الكنيسة ذلك الصراع، تماماً كما تبنت الحروب الصليبية الإجرامية في قبل، فأشرفت على مناهج جامعة باريس حتى لا تُسيطر عليها الثقافة العربية، وأصدرت فرماناً عام ١٢١٠ بتحريم الأخذ بآراء ابن سينا وابن رشد وابن جبيرول، وأصدر رئيس المجمع الكنسي الفرنسي آنذاك بيار كورباي فرماناً من الكنيسة للمخالفين، المؤيدين والموالين للثقافة العربية، ثم جدد البابا غريغوار التاسع ذلك التحريم عام ١٢٣١، وتبعه بذلك خلفه البابا أنوسان الرابع عام ١٢٤٥، وخلفه البابا أوريانوس الرابع عام ١٢٦٣. أثناء هذه المعارك الثقافية بين الشرق والغرب، كانت المعارك العسكرية على أشدها أيضاً، فها هي معركة قرطاجة عام ١٢٧٠، تحرق تونس، يقودها لويس التاسع باسم الحملة العسكرية الصليبية الثامنة للانتقام من المغاربة الذين ساندوا عرب الأندلس في صراعهم مع الأوروبيين، لا سيما وأن قتلى معركة الزلاقة من

الأوروبيين عام ١٠٨٦م وانهزامات أوروبا في معركة الأرك عام ١١٩٥م لا تزال ماثلة في قلب لويس التاسع تُشغله وتخيفه.

٤ ـ مثل شعور لويس التاسع قد ينتاب الرئيس بوش اليوم، وهذا ما أقنعه به فوكوياما، الذي يرى أن الإسلام هو العدو الجديد لأمريكا بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، ولذلك ففي خطط بوش القادمة تنفيذ برامج العولمة بالشكل الذي يحقق الهيمنة الأمريكية بغض النظر عن مصالح بقية شعوب العالم، وفي خططه أيضاً تقوية الوضع العسكري لبلاده، وتقليص المساعدات الإنسانية للخارج، مما سيعيد حتماً النزعة الإمبراطورية للعالم، وسيزيد من الهوة والفجوة بين الأغنياء في العالم، وهذا السلوك سيقلص من الدور القطري لبلاد العالم بسبب تحرير التجارة وتقليص القوانين الوطنية الكفيلة بحماية الوضع الخاص لكل بلد لصالح الهيمنة التجارية الممثلة بالشركات العملاقة متعددة الجنسيات.
هذا الوضع ليس بالبعيد عن وضع العالم منذ ألف عام عندما كانت الدولة الإسلامية هي التي تسيطر على معظم المناطق الرئيسية في العالم، مع فارق أساسي، وهو التزام الدولة الإسلامية بالأبعاد الأخلاقية للحكم والانتشار، بينما لا تلتزم الولايات المتحدة اليوم إلاّ بالمصالح والرغبة بالربح والهيمنة والتفرد.

٥ ـ عند التأمل في تاريخ الصراعات بين الشرق والغرب، يحلم بل يأمل الحكماء بالعودة عن النزعة التوسعية، والاتجاه نحو المعنى الإنساني للعلاقات الدولية مدخلاً لإدارة الصراع، إن لم يكن بالإمكان تحويله اليوم إلى تمازج حضاري منتج، لاسيما وأن البابا في الفاتيكان قد أعلن رفضه المطلق للهيمنة الأمريكية وللمجازر الشارونية وللحرب ضد العراق!!.





جذور الإرهاب

بحسب موقف الحركات الإسلامية من إسرائيل صنّف الغرب هذه الحركات، فالإخوان المسلمون مثلاً صُنفوا من الإرهابيين لأنهم حاربوا الإنجليز في القناة، وحاربوا الصهاينة في فلسطين باسم حماس، ومن رحمهم انبثقت الحركات الإحيائية في معظم العالم الإسلامي. وقد كان الغرب من الذكاء والدهاء، بحيث تمكن من اختراق هذه الجماعة في بعض المواقع، وساعد على تفريخ العديد من الجماعات المشبوهة من كوادر الإخوان الأساسية، إما بالشكل المباشر أو بالشكل الإيحائي، وذلك عبر الإعلام وعبر المراكز البحثية، بل وعبر بعض الأنظمة الباحثة عن الشرعية في صفوف الشعب، وما تنظيم «شباب محمد» إلاّ الخطوة الأولى على طريق التشظي الإخواني الذي بدأ يناقش تعاليم المؤسس حسن البنا، وبدأ يطالب بالانقلاب بدلاً عن الإصلاح، وبالحرب بدلاً عن السلم، وبالانعزال بدلاً من الدعوة.. الأمر الذي أدى إلى تخصيص الجهاز الخاص للقضايا الجهادية في فلسطين والذي تلاه حنق

الدولة على سياسة الإخوان، وانطلاق مرحلة الاغتيالات السياسية التي بدأت باغتيال النقراشي رئيس الوزراء المصري آنذاك، ورد القصر الملكي المصري باغتيال الشيخ حسن البنا. بعدها كرّت المسبحة نحو العنف والعنف المضاد. ويمكن القول بأن فكر أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان، وفكر سيد قطب منظم الإخوان، كانا وراء التعاطي العنيف مع السلطة والمجتمع، ونحو السلطة والمجتمع في تاريخ الإخوان المسلمين. كما ويمكن النظر إلى هذا التحول من منطق السلطات ذاتها، التي فرضت العنف على هذه الجماعة، لتَصَيُّدها في حلقات العنف المرتدة..

الخطوة الأخرى نحو العنف كانت بتأسيس نبيل برعي عام ١٩٥٨م لتنظيم الجهاد، وانبثاق العديد من الجماعات والقيادات من ذلك الفرع، أمثال جماعة إسماعيل الطنطاوي، أيمن الظواهري (*)، صالح سرية، مصطفى شكري وعبد السلام فرج. والأسماء هنا ليست للحصر التاريخي، ولكنها للتمثيل فقط. ولئن كان السبب الرئيسي للتشظي الإخواني غير معروف على وجه التحديد كحقيقة تاريخية، إلّا أن هناك العديد من الأمور الموضوعية التي لا

(*) أسس أيمن الظواهري مع أسامة بن لادن الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، عرفت لاحقاً بالقاعدة.

بد من النظر إليها كروافد للعنف، وهي متجددة وباقية ومؤثرة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: فساد الأنظمة الحاكمة، الانهزامات العربية مقابل إسرائيل، سوء الوضع الاقتصادي، تركز الثروات بيد مراكز القوى السياسية والاقتصادية، الفساد في إدارات الدولة، قمع الحريات، واعتقال المعارضين وتعذيبهم بشكل عشوائي، فرض حالات الطوارىء، وتقلب التشريعات بما يتناسب مع مصالح القوى الحاكمة.

لقد تمعنت هذه الجماعات بالمجتمع المصري، مثلاً، فوجدته في أسوأ حالاته الاقتصادية والوطنية السياسية: الإقطاع في عهد الملكية، الديكتاتورية والانهزام المشين في حزيران ١٩٦٧ في عهد عبد الناصر، الانفتاح الاقتصادي العشوائي في عصر السادات، إضافة إلى استهلاك قوى وثروات المجتمع في حرب تحريكية تمهيداً للصلح مع إسرائيل عام ١٩٧٧م. ورأت تلك الحركات والجماعات أن كل ذلك مما يخالف الشريعة الإسلامية، كما نظرت الجماعات المنشقة، وكما عبّرت بالسلاح والانعزال، ومما زاد من حنق تلك الجماعات أن كل ذلك المخالف للإسلام يحدث في العصر الإسرائيلي. إذن لا بد من العنف طريقاً لاستخلاص الحقوق المشروعة. هكذا فكرت الجماعات المنبثقة من رحم الإخوان المسلمين في مصر.

أما في فلسطين فقد تحولت الحركات الإسلامية

الجهادية إلى العمل العسكري ضد الاحتلال الصهيوني، فحماس على سبيل المثال ترفض المفاوضات مع إسرائيل، وتعتبر الجهاد بأشكاله هو الحل الأوحد للقهر والظلم والاحتلال، ومما ورد في ميثاق حماس الصادر في ١٨/ ١٩٨٨/٨ ما يشير إلى نقلة نوعية في تفكير الإحيائيين المسلمين:

«تعتقد حركة المقاومة الإسلامية حماس أن أرض فلسطين وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط بها أو بجزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ملك أو رئيس، أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواء كانت فلسطينية أو عربية، لأن فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة ومن يملك النيابة الحقة عن الأجيال الإسلامية إلى يوم القيامة؟!...» وهو ذاته الموقف الذي وقفته حماس في مفاوضات التقريب بين المنظمات الفلسطينية في أوائل عام ٢٠٠٣ في القاهرة. وليس بخافٍ على أحد مدى تأثير قضية فلسطين المركزية بالنسبة للعالمين العربي والإسلامي، على مجمل أحداث الشرق الأوسط والعالم الإسلامي. وبهذا أصبح موقف إسرائيل وموقف أمريكا والغرب عموماً من الفكر الإحيائي الجهادي، هو العداء المطلق لا لحماس وحدها كمثال

للحركات الإسلامية الإحيائية، بل ولكل الحركات الإسلامية التي أصبحت هي الأخرى تنظر إلى قضاياها بشكل عالمي شامل، وتترابط فكرياً وأخلاقياً وربما واقعياً وتنظيمياً على المستوى العالمي، تحت اعتبارات الأخوة الإسلامية ووحدة الأمة ومحاربة الظالمين، وهي الاعتبارات التي أدت بهذه الحركات إلى طرح قضايا مركزية مثل شرعية الحكام، ومحاولة استبدال الأنظمة الظالمة، من وجهة نظرها، بأنظمة إسلامية لا سيما وأن الإسلام هو الدين الخاتم للبشرية جمعاء الذي بإمكانه أن يتعامل مادياً ومعنوياً مع كل قضايا الإنسانية برحمة وحضارة وشمول... وما وجود الآلاف من الشباب الإسلامي الرافض للواقع حول ابن لادن في أفغانستان أو حول المجاهدين في الشيشان أو في إيران، إلا ترجمة واقعية عالمية لهذا الرفض الإحيائي الجديد. مع التأكيد على أن الفكر الإسلامي الحضاري يرفض الكثير من الأطروحات العنيفة المستترة بالإسلام وهي ضده في العمق.

لقد ساهمت الولايات المتحدة بشكل مباشر أو غير مباشر، في تطوير الانجراف نحو العنف الإحيائي في العالم الإسلامي، وبالأخص عبر أدوارها المشبوهة في كل من لبنان وتركيا ومصر وإيران والعراق والجزائر وأفغانستان والفلبين وغيرها من الدول الإسلامية، وعبر محاولاتها الفاعلة غالباً في القضاء على حركات الإسلام الإحيائي،

باعتبارها الخطر الأساسي على مصالحها ووجودها النافر في البلاد الإسلامية. فبينما كانت الولايات المتحدة تمدّ إسرائيل بالسلاح المتطور الفتاك، كانت إسرائيل تعربد عسكرياً في لبنان وفي الداخل الفلسطيني، تقتل دون رحمة وتهدم دون أدنى حياء، ودون أن تضع في حساباتها فورة الشعب وغضبه وثورته لكرامته، وعندما انطلقت طلائع حزب الله في لبنان لصد الاحتلال الإسرائيلي وإيقاف مجازره، سميّ هذا العمل إرهاباً، بينما يوصف الاجتياح الإسرائيلي بالحركة الوقائية. وعندما تحرك الفلسطينيون منادين بالجهاد للحفاظ على الكرامة والوجود، سميّ ذلك إرهاباً أيضاً، وظل السلاح الأمريكي هو أداة الإرهاب الرئيسية للبلاد العربية والشعوب العربية ناهيك عن القوات الأمريكية المحتلة للعديد من المناطق العربية، وعن العديد من الاتفاقيات المهيمنة على الاقتصاد فيها...



الملك الأشوري

منذ آلاف السنين حتى اليوم، والطاغوت هو الطاغوت بأشكاله وأعماله وتطلعاته وحتى بفكره ومكره. . .

في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، أراد الملك الأشوري ناصير بال الثاني أن يعاقب المدينة المتمردة عليه، فأصدر فرمانه التالي:

«لقد بنيت عموداً تجاه بوابة المدينة، وسلخت جلود كل رؤساء المتمردين، وغطيت العمود بجلودهم، وعلقت بعض الجلود في العمود والبعض ألقيتها فوقه وعلى العصي، والبعض عُلقت على الأسياج من حوله، وسلخت الكثيرين داخل حدود أرضي، ونشرت جلودهم على الجدران، وقطعت أطراف الضباط الذين تمردوا، أما قائدهم فقد أخذته إلى نينوى وسلخته هناك وعلقت جلده على جدران المدينة».

واليوم يرغب وزير الدفاع الأمريكي بقتل جميع «طالبان»، فهو لا يحب الأسرى، وليس لديه آلية

للمحاكمة، ولا يحب أن يسأله أحد عن سبب كثرة الضحايا بين المدنيين الأفغان، فالعقاب بنظره، هو ما تفعله العسكريتاريا الأمريكية بدون نقاش... تماماً كما فعل نابليون بآلاف الجنود الأتراك والعرب المستسلمين في حيفا إبان الحملة الفرنسية على فلسطين، قتلهم بالسلاح الأبيض، ونشر جثثهم في الصحراء. ومن عدل الله أن الكوليرا قد انبعثت من تلك الجثث المترامية، فقتلت أكثر من نصف جيش الجنرال المجرم، أو أكبر المجرمين في العصر الحديث (*).

فوّض الكونغرس الرئيس الأمريكي باستخدام القوة العسكرية وكل ما يتعلق بها، ضد الذين نفذوا الهجمات على الولايات المتحدة يوم ٢٠٠١/٩/١١. ثم تمَّ تفويض مجلس الأمن الدولي يوم ٢٠٠١/٩/٢٩ بالقرار ٣٧٣، الولايات المتحدة بفعل كل ما هو ضروري لمكافحة الإرهاب العالمي، فبدأ الرئيس بوش يتقمّص شخصية الملك باصير بكل جوانبها الهامة.

ثم بدأت المطاردات، وبدأت الخطط لمكافحة الإرهاب وبدأت لوائح الأسماء بالظهور على وسائل

(*) يحترم المؤلف رأي آلاف المفكرين الذين يعتبرون نابليون عبقري عصره وربما العصور اللاّحقة، ولكنه يُصرّ دائماً على أنه عبقري مجرم!!

الإعلام، وبدأت الأسماء تزيد وتتطور: مأمون دركزنلي، بلال بن مروان، سعد الشريف، د. أمين الحق، عبد المناف آغا، محمد الحماتي، صقر الجدوي، أحمد سعيد القدر، ياسين القاضي، عيادي بن محمد، رياض حجازي، الشيخ رشيد لادهيانوي، عمر محمد عثمان، طهير يولداشيف، محمد ضياء، عبد الرحمن ياسين، خالد شيخ محمد(*)، أحمد المغاسيل، علي الحوري، إبراهيم اليعقوب، أحمد سويدان، أحمد غيلاني، عبد الأحمد عبدالله، أنس الليبي، أحمد محمد أحمد، مشين متولي، عماد مغنية، حسن عزالدين، علي عطوي، محمد عاطف، سيف العدل، مصطفى محمد أحمد، أبو حفص المريتاني، أبو زبيدة، عبد الهادي، أيمن الظواهري، ثروت شحاتة، طارق أحمد، محمد صلاح...

بعد نشر الأسماء بكل ما في النشر من تشهير وتحقير، وانتهاك لحقوق المتهمين، وتعريضهم وذويهم للمزيد من الويلات... ظهرت في حيثيات الخطة على الإرهاب

(*) أعلنت السلطات الباكستانية أنها ألقت القبض عليه في الأول من مارس ٢٠٠٣، وكانت قد أعلنت سابقاً أنه اعتقل وقتل، ثم أعلنت بعد ذلك أنه اعتقل وقتل، وهذه هي المرّة الثالثة. والشيخ من أبرز المطلوبين لمكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكي، الذي رفع قيمة المكافأة المرصودة لمن يدلي بمعلومات تؤدي للقبض عليه إلى خمسة وعشرين مليون دولار.

أسماء المنظمات:

الكفاح، الوفا، الرشيد، المأمون، الحماتي، النور، الشفاء، جيش محمد، التعاون، رابطة ترست...

ثم ألحقت بالأسماء أسماء جديدة لمنظمات جديدة غير القاعدة: أبو سياف في الفلبين، الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، المجاهدون في كشمير، الجهاد في مصر، الحركة الإسلامية في أوزبكستان، الأنصار وحزب الله في لبنان، حماس والجهاد في فلسطين، المجموعة السلفية في الجزائر، القتال في ليبيا، الاتحاد في الصومال، الجيش الإسلامي في اليمن... وبعد الأسماء والأسماء، أعدت المخابرات المركزية الأمريكية لدول العالم، المتعاونة معها في عمليات ضرب الإرهاب، أعدت لهذه الدول قوائم جديدة بالإرهابيين من مؤسسات ومنظمات وأفكار وتوجهات، حتى أصبح العالم الإسلامي كله، تقريباً، متهماً بالإرهاب...

لقد أصبح بحوزة أجهزة المخابرات العالمية قدراً كبيراً من الأسماء، الأسماء المركبة والأسماء البسيطة، الرمزية والحركية، الخاصة والعامة...

وأصبح بحوزة أجهزة المخابرات أيضاً صوراً للأسماء ووصفاً للشخصيات، وأصبح الشكل العربي التقليدي مطلوباً بشكل من الأشكال، كما أصبح الاسم العربي مطلوباً...

وتغيرت الأحوال التي عهدناها قبل ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فدول العالم ما عادت تبتسم للعرب، بل أصبحت تكشر للعرب، وتنظر في وجوههم شزراً، فهل أدرك أصحاب الأسماء، أن الأفعال كانت سيئة وعادت على الأسماء باللعنة؟!

من الأسماء: أسامة بن محمد بن عوض بن عوض بن عبود بن علي بن علي بن عوض بن عبود بن عوض بن عبود بن يحيى بن راصع بن جعفر بن بدر بن علي بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن راصع بن علي بن أبو بكر بن سعيد بن محمد بن سالم بن عبيد بن لادن، الذي يلتقي مع جده امرؤ القيس بن الحارث بن معاوية بن مالك بن راشد بن سلمة بن القيوم بن عُدي بن أشرس الأصغر، بن نسيب بن السكون بن أشرس الأكبر من كندة.



بين أسرى غوانتانامو
والأمير عبد الله الأحمر!!

نسأل الآن عن قضية طال التحدث عنها دون جدوى: لماذا دمّرت الولايات المتحدة أفغانستان؟ أين الدليل الدولي القانوني على شرعية ذلك التدمير الهائل، ومثله تدمير العراق ويوغوسلافيا؟ ثم نسأل أين المبرر القانوني الدولي لنقل ١٥٨ من الأفغان العرب الأسرى ومعظمهم من الخليج والجزيرة العربية، ممن اتهموا دون دليل بالضلوع في أحداث ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة، أين المبرر القانوني الدولي لنقلهم إلى غوانتانامو ولمعاملاتهم بهذه الطرق اللاإنسانية واللاحضارية واللاقانونية وكأن الدنيا خالية من كل قوة إلا قوة القوة؟!

أين معاهدة جنيف حول حقوق الأسرى؟ أين تشدّق النظام الأمريكي بحقوق الإنسان؟ أين القضاء الأمريكي من هذا الأمر الغريب العجيب؟ ولن نقول أين الدول التي ينتمي إليها هؤلاء الأسرى، فهذا السؤال ممنوع والجواب عنه مشفوعٌ بالتأجيل، إلاّ أن بريطانيا الأم الحنون لأمريكا

قد تمكنت من زيارة البريطانيين الثلاثة المعتقلين في القاعدة العجيبة الغربية في كوبا!!

إن نظرة متفحصة لمنظر الأسرى وهم يرتدون الزي الأحمر الفاقع في المعتقل الأمريكي الذي أصبح شهيراً، يدل دلالة واضحة على موت القانون لصالح القوة، وعلى موت الإنسانية لصالح المصالح، وهو الأمر الذي لا يُبشّر بخير عالمياً، ولا يأمل باستمرار السلم الأهلي العالمي، فالشدة في الباطل لن تولد غير الشدة في الثورة والرفض، وهذا ما تُعوّل عليه إسرائيل، على ما يبدو، كمبرر لطرد بقية الفلسطينيين من فلسطين، وهو الذي يُعوّل عليه اليمين الأوروبي أيضاً لطرد المهاجرين العرب في أوروبا أو تقييدهم إلى حد محاكم التفتيش التي نظمت للعرب وللموريسكيين بعد سقوط الأندلس، وهي المحاكم التي يدفع العالم كله ثمنها غالياً من الصراع والعداء والاستمرار في الصراع والعداء!!

وللتاريخ: هناك شبه كبير بين شكل أسرى غوانتانامو، وشكل الأمير عبد الله الأحمر آخر ملوك الأندلس، وهو يُسلّم مفاتيح قصره للمنتصر الإسباني.. الصورة الأولى (اليوم) توضح عشرات الأسرى، وهم مكبلون بالسلاسل الثقيلة، أياديهم مربوطة خلف ظهورهم، حليقو الرؤوس، يُطلب منهم النظر إلى الأرض لإذلالهم، لا يسمعون، لا يتكلمون، مقيدون إلى الأسلاك الشائكة في الأقفاص

المصنعة لاحتجاز الحيوانات المفترسة، ممنوع عليهم التحدث لبعضهم البعض أو لأحد من العالمين... الصورة الثانية (القرن الخامس عشر الميلادي) توضح الأسير العربي وحاشيته، مكبلين بالسلاسل الثقيلة ذليلي الرؤوس، ينظرون إلى الأرض كالأذلاء، لا يتكلمون ويقدمون مفاتيح المدينة للإسبان.

بين المعركة الأولى في الإندلس والمعركة الأخيرة في أفغانستان حوالى ألف وثلاثمائة عام، فلماذا لم تختلف طبائع الصراع بين الشرق والغرب؟!

يبدو أن الغرب يبحث دائماً عن عدو، وهو إن لم يجد عدواً يُعاديه، فإنه يفرض هذه العداوة على أحد يختاره بأفضل المواصفات، ليقوي به مجتمعه الداخلي، الذي لا يحتوي على عناصر التماسك الحقيقي، وعلى رأسها عناصر الحضارة واللغة والدين والأعراف والتراث. هذا ما حدث فعلاً في المجتمعات الأوروبية المتفسخة في القرن العاشر الميلادي، حيث جاءت إلى الشرق لتعيث به الفساد بالحملات الصليبية المشهورة، وفي هذا الشرق توحدت الحملات الأوروبية، ثم تفككت بفعل طبائع اختلافاتها، التي قد تختفي لفترة، ولكنها لا تلبث أن تظهر وتفعل.

وهذا ما حدث فعلاً مع أوروبا مجتمعة وهي تصارع الغرب في الأندلس والعرب في المغرب العربي والمسلمين في آسيا الوسطى، حتى تمكنت أوروبا من السيطرة على

العالمين العربي والإسلامي في نهاية الحرب العالمية الأولى. لم يكن ذلك نهاية المطاف، فقد كان من الضروري لأوروبا أن تجد عدواً توحد نفسها أمامه، فكانت الشيوعية، وعندما سقطت الشيوعية بسقوط الاتحاد السوفييتي وتفكك منظومته السياسية والفكرية، أعلنت أوروبا وأعلنت أمريكا عبر فوكوياما وأشباهه، أن الإسلام هو عدوها الجديد متلبساً بالإرهاب، ولم يكن ذلك الإعلان مفاجأة لأحد، فهذا هو ديدن أوروبا: البحث الدائم عن عدو، ونحن بهذا التسلسل التاريخي للأحداث نعلن العداء لأوروبا لأن أوروبا هي التي أرادت ذلك لمصالحها الحضارية والتنموية، وليس العكس، فليس في مفهوم الحضارة الإسلامية العداء لأحد، ونحن أعداء لغيرنا برغبة هذا الغير وضمن مخططاته...



الإرهاب بين الديني والسياسي!!

هل كانت السياسة وبالاً على الأديان وعلى الحضارات؟ ولماذا لم تتمازج، ولا تتمازج الحضارات بعيداً عن الدم؟ هل هو داء الحضارات ذاتها أم داء حامليها؟!

بعد انتشار الإسلام إلى العالم بحوالي أربعة قرون من الزمان، عاود نقفور فوقاس كرّة الكراهية الشعوبية والدينية، فهدد من بيزنطة بالزحف على بلاد العرب واحتلال مكة والمدينة.. فانبرى لذلك الغليان الشاعر ابن هانىء الأندلسي بينما تخاذل الحكام، أو بدأوا يصيغون التحالفات والمؤامرات فقط لضمان بقائهم، بدون تفاصيل ففي التفاصيل يكمن الشيطان، فقد أصبح همّ صلاح الدين كيف سيقف في وجه نور الدين، وأصبح الهم الأيوبي هو القوة الفاطمية، وأصبح الهم الفاطمي هو القوة الأيوبية، وهمّ السلاجقة القضاء على البويهيين في بغداد، وهم البويهيين المحافظة على وجودهم في الكرخ بالتعاون مع الخوارزميين، وكان همّ كربوقا هو زعامة الأمة، فمكّن

للحملة الصليبية من احتلال أنطاكية... ذات الانفصام في اللاوعي العربي، وهو ذاته الذي جعل الأمويين ينتهكون حرمة مكة والمدينة قبل الآن بحوالى ١٤ قرناً من الزمان، هو ذاته الانفصام الذي ولّد كربلاء وشق المسلمين إلى طوائف وأحزاب ومدارس فكرية وتشريعية متنافرة...

هناك بالأمس وقف المفهوم السياسي عاجزاً عن الفعل إزاء المفهوم الديني، وهناك بالأمس وقعت الكارثة بالأمة عندما اختلط المفهومان في دورق مصنوع من الفكر الواهم والأنانيات المناطقية والعائلية، الأمر الذي جعل الراهب بطرس الناسك يخطط لأبشع حروب الإنسانية، الحروب الصليبية، التي شغلت الإنسانية بالدم والدمار حتى اليوم وربما لآخر يوم. يومها قال بطرس في العرب ما يقوله المجرم شارون اليوم، وعندها، عام ١٠٩٥م، قال البابا أربان الثاني ما يقوله الرئيس بوش اليوم. كان المقصود بالأمس هو استدمار الشرق، بذريعة فشل الخلط بين المفهومين الديني والسياسي، واليوم يعود المقصود هو ذاته: استدمار الشرق بذريعة الخلط بين المفهومين الديني والسياسي، وبالفعل يصبح الرئيس بوش هو أربان الثالث، ويكمل ما بدأه الملك القسيس ونابليون بونابرت (*).

الكارثة الحقيقية ليست في الحروب الكارثية فحسب،

---

(١) يُراجع بهذا الصدد كتابنا عولمة الكراهية: ٢٠٠٣: ٢٤٣.

فالحروب تبدأ وتنتهي، ولكن الكارثة الحقيقية في تاريخنا تكمن في التخلف الفكري والثقافي العاجز عن إدراك الجوهر الحقيقي للصراع وفيه.

الراهب بطرس انتهى والصليبيون خرجوا من الشرق، ولكن الذي لم يخرج من الشرق هو ذلك الفكر الراكد الموهوم المسكون بالهلوسات، الذي جاء بالصليبيين الجدد، وهم من أبناء جلدتنا حيناً ومن أبناء عمومتنا حيناً ومن البيض والشقر والسود أحياناً أخرى.. المهم أن الشرق يسعى لمن يتدخل فيه من الخارج. وفي أقل تقدير، فإن الشرق لم يصل إلى نقطة المناعة ضد التدخل الخارجي لأسباب واهية على الأغلب..

ما لم ندركه من الماضي ومن الحاضر حتى الآن، هو سبب اجتماع العالم كله، قبل ألف عام على غزونا وقهرنا واحتلال بلادنا.. الفرنجة والفلمنجيون والفرنسيون والجاليون واللوبرجيون واللوثارنجيون والبافريون والألمان والنورمان والانجليز والإسكتلنديون والطليان والأبوليون والإسبان والبريطانيون والإغريق والأرمن... كل هؤلاء اجتمعوا على حربنا منذ ألف عام، وكل هؤلاء، مع إضافات جديدة: الصهاينة والماسون والأمريكان، عادوا اليوم لحرب جديدة قديمة ضد الشرق... ولئن كان المبرر منذ ألف عام هو الخلط بين السياسي والديني والخلط بين صلاحيات الحاكم وتفويضه وحقوق الناس عليه، فقد

أضاف البعض اليوم إلى المبررات الماضية، الإرهاب الأسود، الذي يخطط بعين واحدة لمعركة واحدة، ثم يترك للآخر بقية المعارك وبقية الانتصارات بعيون كثيرة.

إن الخطأ في الاجتهاد، والخطأ في الرمية وفي الحرب وفي إعلان الثورات والتجرؤ على إراقة الدماء، قد يكون مبرراً عندما يخص البعض فقط، أما الخطأ في الاجتهاد، فهو مرفوض، وقاتل ومُدان، عندما يتعلق بالأمة كلها، وتظل المصيبة الحقيقية في جهل الفرق بين هدهدة الطفل لأننا نحبه، وبين إخفاء صوته لينام إلى الأبد.

ليس فيما سبق إدانة للحكم الذي يجمع الديني إلى السياسي، فالدين هو سياسة الناس، ولكن المُدان، والذي أَوْصَلَنَا إلى هذه الهوّة السحيقة التي نراها في استخدام أمريكا لبلاد العرب لتدمير العرب هو الربط الواهم بيهما، وتخفي السياسي وراء الديني عند الضرورة فقط، أي عندما يبحث عن المبرر وعن مسوغات البقاء من شرعية وفتاوى ومن أصوات منطلقة على أنغام الناقوس والمئذنة. والمُدان أيضاً هو الديني الذي يخرج من عباءة الإرهاب ويزعم الجهاد والتحرير دون إعداد، فيزجّ بالبلاد والعباد في أتون الفتنة، في زمن الكيد للحضارة الإسلامية ولزمنها ولتاريخها ولإمكانية عودتها من جديد كمساهمٍ فاعل في الركب العالمي المتحضّر.

عندما انقلب السحر على الساحر!!

يذكر المؤرخون أن الشرق خاض أكثر من ٧٥٠ معركة ضد الروم خلال ١٠٠ عام بعد فجر الإسلام، وأنه ما انتصر الشرق في معركة حتى فار الغرب للرد عليها، وما انتصر الغرب في معركة حتى فار الشرق للرد عليها، حتى عادت القدس للدولة العربية عام ١٢٩١م، ثم ضيعها العرب عام ١٩٦٧ في حرب الساعات الست المشؤومة. ويرى المؤرخون أن الصراع في الشرق سيظل مشتعلاً ما دام الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين، ولأن المعركة الفاصلة ستكون حول القدس، فقد حضّرت لها الصهيونية العالمية أفضل تحضير، وما يجري الآن في الأراضي المحتلة وفي المشهد الكوني عموماً هو الحلقة الأولى في سلسلة المعارك المؤدية حتماً إلى المعركة الفاصلة، وما القصف الصهيوني العشوائي الإجرامي يوم ٢٣/٧/٢٠٠٢م على غزّة وقتل وجرح أكثر من ١٠٠ فلسطيني بينهم عشرات الأطفال إلاّ الدليل الدافع على وضوح الرؤية الصهيونية في استمرار الصراع على هذه الأرض المقدسة، وبأقسى

أشكاله بل وأشدها نذالة وعنفاً.

في كتاب المخابرات المركزية الأمريكية والجهاد ١٩٥٠ـ ٢٠٠١، يتطرق الصحفي الأمريكي جون كولاي للعديد من النقاط الجوهرية في الصراع العربي الإسرائيلي، والصراع الشيوعي ـ الرأسمالي في العالم، وبخاصة طرق تجنيد الشباب المتحمس ضد الشيوعية لتحقيق المخططات الأمريكية للقضاء على النفود الروسي في أفغانستان والمياه الدافئة. يقول المؤلف:

بعد هزيمة أمريكا في فيتنام، قرر كيسنجر عدم التدخل الأمريكي المباشر في النقاط الساخنة من العالم، وتكليف أطراف غير أمريكية للقيام بالعمليات المطلوبة، فعندما قررت أمريكا مواجهة التدخل الروسي في أفغانستان، أوكلت مجابهته للجماعات الإسلامية المتحمسة للجهاد في سبيل الله والفوز بالجنة. وقد نظم كيسنجر لهذه الغاية شاه إيران والسادات وشخصيات عربية أخرى في مجموعة سُميت «سافاري كلوب»، كان من أعضائها أيضاً رئيس المخابرات الفرنسية الكونت دومارانش والملك الحسن الثاني... يقول المترجم، فيما نشر المحرر العربي في ٢٧/٦/٢٠٠٢:

كان السفاري كلوب وراء عمليات عدة جرت في أفريقيا، مثل تدخل القوات المصرية والمغربية بمساعدة لوجستيكية فرنسية في الزائير لقمع إنتفاضة إقليم شابا التي

كانت تهدد نظام الجنرال موبوتو وبالتالي المصالح الأمريكية والفرنسية والبلجيكية، ولقد قام الـ «سفاري كلوب» في الصومال بما يمكن اعتباره تدريباً أولياً على ما جرى في ما بعد في أفغانستان وما قد يجري في بغداد والخليج. فلقد قرر الـ «سفاري كلوب» مساعدة نظام سياد بري، لكي يواجه التهديد الذي كان يتعرض له من قبل أثيوبيا في إقليم «أوغادين» الواقع على الحدود بين البلدين. وتقرر أن تقدم مصر إلى الصومال أسلحة سوفياتية قديمة بقيمة ٧٥ مليون دولار، فما كان من سياد بري إلا أن فعل تماماً ما فعله السادات في مصر في مطلع السبعينات، أي إنه طرد الخبراء السوفيات والتفت ناحية الغرب. غير أن الغرب تخلى عنه مثلما تخلى عن شاه إيران.

كذلك، ساهم الـ «سفاري كلوب»، بسبب اتصالاته بالأجهزة الأمريكية والإسرائيلية، بالتحضير للزيارة التي قام بها السادات إلى القدس في ١٩٧٧.

ويقول المؤلف أيضاً: أما الدور المحوري في تحضير هذا الجيش وتسليحه فلقد أولي إلى مصر وإلى الرئيس السادات، وأرسلت قوات أمريكية سراً إلى مصر للمساهمة في التحضير لبناء هذا الجيش من المقاتلين بالتعاون مع الجيش المصري والجيش الباكستاني، وطلب من الرئيس السادات أن يفتح مخازن أسلحة جيشه المليئة بالأسلحة السوفياتية لكي تنقل هذه الأسلحة إلى باكستان وتمرر من

ثم إلى داخل أفغانستان. فيريجنسكي كان حريصاً أن لا يحصل السوفيات على أي دليل حسي يبرهن على الدور الأمريكي. فهم إذا ما صادروا أسلحة المجاهدين الأفغان فإنه سيكون من السهل القول حينئذ إن هذه الأسلحة روسية الصنع وبالتالي الإدعاء أن المجاهدين الأفغان قد غنموها في معاركهم مع «الجيش الأحمر».

الشيء الأهم الذي لم يفطن له المؤلف، أن المجاهدين الذي شاركوا في الجهاد ضد الشيوعية المحتلة لأفغانستان، كانوا يتصرفون بذكاء أيضاً، فقد استفادوا من الوضع الدولي لتأدية واجب الجهاد، على الجبهة الممكنة، في المرحلة الممكنة مع الجهة الممكنة!!

عندما اكتشف المجاهدون، وبخاصة بعد مقتل المجاهد الفلسطيني المؤسس لمنظمة حماس، الشيخ عبد الله عزام بظروف مخابراتية غامضة، أن أمريكا قد تستعمل المجاهدين سياسياً، انسحبوا من مخططاتها، وبدأت القطيعة الكبرى التي تمخضت عن تكوين القاعدة وعن أحداث ١١ سبتمبر الشهيرة في نيويورك وواشنطن...

اللآّفت أن الشباب الذين دربهم السادات للإشتراك في مهمات «السفاري كلوب»، هم الذين قتلوه بعد زيارته المفاجئة للقدس، وهكذا انقلب السحر على الساحر وقد ينقلب السحر على الكثيرين، والتاريخ لا يرحم!!

برسي كوكس

أصبحت مقولة «التاريخ يعيد نفسه»، أو عكسها «التاريخ لا يُعيد نفسه» من المقولات المضحكة في التاريخ الحديث، ذلك أن التكرار الممل في الفعل السياسي الذي ميّز النصف الأخير من القرن الماضي، جعل التاريخ ذاته مجرد أكذوبة يرددها الساسة، وأصحاب الصواريخ النووية وتكنولوجيا الڤيمتو ثانية، وهم يلعبون الغولف مع ذويهم ممن صنعوا التاريخ «الأسود» و«الأحمر» للعالم. . . جورج بوش دمر العراق تحت مبررات احتلال الكويت، جورج بوش الابن يخطط لتدمير العراق تحت مبررات ديكتاتورية صدام حسين، الاتحاد السوفييتي يغزو أفغانستان لنشر النفوذ الشيوعي نحو المياه الساخنة، السير برسي كوكس نائب ونستون تشرشل، رئيس المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط والهند في عشرينات القرن العشرين يحدد بقلمه الأحمر حدود زعامات الشرق الأوسط، ويحدد بالذات دور ومكان الهاشميين، بعد نشوء المملكة العربية السعودية على كامل الجزيرة العربية، ويقول الكلمة الفصل

في سياسة الشرق الأوسط والصراعات فيها... دونالد رامسفيلد الحاقد الأكبر مع ديك شيني مع صقور الإدارة الأمريكية يعيدون اليوم دور كوكس خطوة خطوة وساعة فساعة، وما حضور الأمير الحسن بن طلال والشريف علي بن الحسين لمؤتمر المعارضة العسكرية العراقية في لندن، إلاّ تأكيد تاريخي مملّ لمقولة التاريخ يعيد نفسه، والأصح أن يقال أن القهر يعيد نفسه، لأن الأحداث المتسارعة في الشرق الأوسط بدءاً من المجازر الشارونية في فلسطين وانتهاء بالاستعدادات لإعادة رسم خرائط الشرق الأوسط.. ما هي إلا تأكيد إضافي على عودة العهد القديم، عهد الاستعمار ونشوء الولايات المتحدة على جماجم الهنود الحمر، ونشوء إسرائيل على جماجم الفلسطينيين، ونشوء المعسكرات ثم المعسكر الواحد على جماجم العرب وكرامتهم... «التاريخ يُعيد العهد» هي المقولة الصحيحة، مع عدم الاحترام لأصحاب النظريات القائلة بإنسانية وحضارية التاريخ، والقائلة بنهاية التاريخ على النموذج الأمريكي، والقائلة بطهر الديمقراطية الغربية وما شابه من أكاذيب المحترفين لأقوال ونظريات الإفك الجديد...

فيليب الثالث وبوش الثاني!!

لا بد من استحضار الصدق عندما نتحدث غن جذور تاريخية العلاقات الأوروبية ـ الشرقية، فهي لم تكن يوماً علاقات مودة وتمازُج حضاري، إلا بفعل الجغرافيا والقوة، ولفترة زمنية محدودة، ارتدت بعدها الكراهية لتكشر عن أنيابها قوية مسلحة فاعلة أظهرتها للعيان تفجيرات ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة، وردود أفعال المجتمعات الأوروبية على ظاهرة بن لادن وما سمّوُهُ بالإرهاب الإسلامي.

ولن يُجدينا نفعاً أن نتحدث عن أفكار السلم والتمازج الهيلينية عند سقراط أو أفلاطون وأرسطو، فتلك أفكار الشرق قبل أن تكون للغرب، وتلك تحولت إلى صحائف سوداء، رفضها أبو تمام بغزوة عمورية، واستبدلها الرئيس بوش الأب بغزو العراق، كما استبدلها بوش الابن بغزو أفغانستان، واليوم ينذر الواقع السياسي الحالي بعودة التطرف اليميني إلى أوروبا، كما يبدو من صناديق الاقتراع في أكثر من بلد أوروبي، وهو ذاته التطرف الذي نفذ

الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش ضد عرب الأندلس، وهو ذاته الذي نراه اليوم في ثقافة نايبول الذي حاز جائزة نوبل لإنه تفاحش في العداء للحضارة الشرقية متملقاً الغرب، تماماً كما يتفاحش الغرب اليوم بنظريته للأقليات العربية وللثقافة العربية في أوروبا... وهو الأمر الذي تلعب على أوتاره سياسة التطرف اليميني الأوروبي، وسياسة التطرف اليميني الصهيوني في فلسطين المحتلة، ففي أوروبا هناك استمرار لشعار الملك فيليب الثالث الذي أمر بطرد الشعب الموريسكي (العربي الأصل) وتعداده آنذاك أكثر من مليوني نسمة، من أوروبا خلال ثلاثة أيام فقط من عام ١٦٠٩م. وفي الشرق يخوض المجرم شارون بمجازره في الدم الفلسطيني إلى الركب منذ عام ١٩٤٧... فهل عادت الدنيا إلى معركة قرطاجة عام ١٢٧٠م، حيث أصرت الحملة الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع على غزو تونس من المغرب العربي انتقاماً لمعركة الزلاقة ومعركة الأرك، وهي المعارك التي نجد بها المغرب العربي المشرق العربي بالغزو والنصر؟!

هل يدفع الشرق اليوم ثمن انتشاره التاريخي وثمن علومه وحضارته وثمن ثرواته صراعاً جديداً وهل الإرهاب هو المبرر ومن هو الإرهابي من هذا المنظور؟!

الإجماع على الصراع!!

علينا ألاّ نبقى سطحيين إزاء الصراع العربي الإسرائيلي وإزاء الصراع العربي - الغربي، باعتبار كلمة الغرب تدل على الظلمة والظلم، كما يقول السهروردي، وباعتبار كلمة الشرق تدل على النور والإشراق.. علينا أن ندرك جيداً عمق الكراهية المتجذرة بين هذين البعدين، بغض النظر، عن الاتفاقيات الدولية بين الطرفين، إذ أنها تمثّل جانب الحاجة والمرحلة والمصالح ولا تمثّل الجوهر سواء في الشرق أو في الغرب... هذا رأي الأصوليين الداعين لمجابهة الغرب ومجابهة إسرائيل باعتبارها ربيبة الغرب وواجهته في المنطقة.

هم يُراجعون جيداً ما قاله، ابن اليهودية، عبد الله بن سبأ في الرسول محمد ﷺ، وما أعلنه يوحنا الدمشقي بعد ذلك بأكثر من مائة عام، من التشكيك بأصل الرسالة المحمدية، إلى التشكيك بالقرآن والوحي، والتشكيك بقانونية الدولة الإسلامية الأموية آنذاك والدعوة المعلنة لاجتثاثها من الجذور، لصالح الدولة المسيحية. ويقولون:

كل ذلك يظهر في كتاب «يوحنا الدمشقي والإسلام»(*) لقد كانت الثقافة الغربية أكثر جدية ووضوحاً إزاء الصراع بين الشرق والغرب، فأعلن المستشرقون منذ زمن طويل، وإن لم يكن ذلك بالإجماع، وإن لم يكن ذلك بالوضوح الكامل، أن الإسلام يشكّل في صورة من صوره إرهاباً عالمياً وتهديداً للحضارات. وأعلنوا ذلك على مراحل، وقد فنّد معظم الادّعاءات أدوار سعيد في كتابه عن المستشرقين. ثم ظهرت المرحلة الأكثر وضوحاً بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث أعلن المثقفون في الغرب، صراحة هذه المرّة، بأن الإسلام هو دين حرب وإرهاب، وأنه عاث بالأرض فساداً عندما سيطر على رقعة شاسعة من العالم، كوّن خلالها الدولة الإسلامية التي امتدت حتى عام ١٩٢٢، آخر أيام الخلافة العثمانية في تركيا... وأنه لا أمان ولا استقرار إلاّ بإزالة القوة الإسلامية من العالم، فإن كانت القوة على شكل دول، لا بد من حربها (المقصود هنا تحديداً: السعودية ومصر والعراق)، وإن كانت القوة على شكل مبادىء فلا بد من محاربتها أيضاً (المقصود الأحزاب الإسلامية وحركات الإحياء الإسلامية كالإخوان المسلمين والوهابية وما تفرّع منهما من جماعات واتجاهات)، وإن كانت القوة على

---

(١) (راجع: D.J. Sahas, John of Damascus on Islam, Leiden, 1972).

شكل ثروات أو مراكز استراتيجية أو استثمارات فلا بد من تدجينها والسيطرة عليها (المقصود هنا رؤوس الأموال العربية والاستثمارات الخارجية والأرصدة المقدّرة بألف مليار دولار أمريكي).

وعلى هذا الأساس الفكر ـ سياسي، وضّح فوكوياما، كما وضّح غيره من مفكري الإمبراطورية الأمريكية، أن الإسلام هو العدو الحقيقي للغرب، لأنه عدو للفكر الذي قامت عليه المنظومة الغربية (المقصود هنا الشركات المتعددة الثروة، وليبرالية البحث عن الهيمنة والربح، بغض النظر عن المفهوم الإنساني أو الحقوق الحضارية للشعوب). ومن هذا المنطق بدأ المثقفون الغربيون، بتوجيه خفي أو بدعم مباشر من الصهيونية العالمية، المتضرر الأكبر من تنامي القوة الإسلامية العالمية، بدأوا بوضع التقارير والدراسات الأكثر وضوحاً، منذ الحروب الصليبية حتى الآن، والتي تقول بصراحة، أن على القوى الليبرالية في العالم، (المقصود هنا أمريكا ومن يحالفها في العداء للإسلام السياسي)، أن تجتمع في «كونسورتيوم»، (يشبه تجمع أوروبا في القرن العاشر ضد الشرق، ويشبه تجمع أوروبا في القرن الخامس عشر ضد العثمانيين، ويشبه تجمع أوروبا في القرن العشرين ضد الدولة العربية)، للقضاء عسكرياً على قوة الإسلام السياسي، والإبقاء على الإسلام الطقوسي المسالم، على الشاكلة البابية والبهائية والقاديانية

والأحمدية وما شابه من الدعوات الموالية في الجوهر للقوة الغربية... وهذا ما أعلنه الرئيس الأمريكي بوش الابن بعد حوادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وهو ذاته ما أعلنه المجرم شارون بعد تدنيسه للحرم القدسي الذي فجّر الانتفاضة المباركة عام ٢٠٠٠.

إن إصرار الإدارة الأمريكية الحالية على ضرب العراق، وتجريده من أسلحته (إن كان يملك أسلحة تستحق هذه الحملة)، وإصرارها الموازي على تقوية الكيان الصهيوني ومدّه بالسلاح والقوة السياسية، لايُفسّر تاريخياً إلاّ في سياق الحملة الصليبية الأولى ضد الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة، وهو الأمر الذي يعلن صراحة انتهاء الرغبة الغربية بالحوار والتمازج مع الشرق، والإعلان المباشر لأحد خيارين: إما خيار الاستعمار (الاستدمار) واحتلال البلاد العربية عسكرياً واقتصادياً وثقافياً، وإما خيار التفاوض المهين والبقاء دون مقومات الحياة، وبالتالي فإن الغرب يعلن الحرب الشاملة على الشرق انطلاقاً من بغداد بعد أن تم تجريب هذه الحرب في أفغانستان.

في هذا السياق الحربي، تصبح الدعوات الغربية للحوار الإسلامي المسيحي مجرد كسب للوقت، ومجرد ذر للرماد في العيون، ومجرد استراحات للتعبئة العامة للحرب الشاملة، ولن تكون محاولات الفرانكفونية السياسية بربط الشرق بفرنسا أو محاولات الإنجلوفونية السياسية بربطه

بإنجلترا، ولن تكون الصرعات الأمريكية للحوار، إلاّ فقاعات تتلاشى مع هدير طائرات الأباتشي التي تدمّر يومياً المساكن الفلسطينية على رؤوس الأبرياء، ولن تكون بعد ذلك أندية كوبنهاجن ولقاءات الحوار في بروكسل وباريس وتونس والرباط، ومؤسسات الحوار الإسلامي المسيحي، وخصوصاً اللجنة الدائمة للتعاون بين المسلمين والمسيحيين (CCMCC)، والمجلس العالمي للكنائس، وجماعة البحث الإسلامي المسيحي (GRIC) والمؤسسة الدولية لحوار الأديان. . . لن تكون تلك المحاولات الحوارية إلاّ لكشف مواطن الضعف في الشرق لتسديد الرمية الغربية ضده. . . وهي ذاتها الاستراتيجية القديمة الجديدة التي تضمنت ترجمة القرآن الكريم وإصدار دائرة المعارف الإسلامية، والموسوعة القرآنية!!

لقد تعامل المسلمون قديماً، من منطلق الحضارة الإسلامية، مع الآخر على أساس إنساني أخلاقي عالمي، وبقي الحوار مصاناً في ظلال القرآن، وفي ظلال الدول الإسلامية المختلفة على قوتها وضعفها. . . ولم يتحلل المسلمون من مبادئهم الإنسانية نحو الآخر حتى في أزمنة الأزمات والحروب، تماماً عكس الصليبيين، على سبيل المثال، عندما حرقوا الحجر والمدر والشجر في غزواتهم الإجرامية ضد الشرق، فها هو صلاح الدين يُعامل الغزاة الأوروبيين معاملة حسنة في الشام والقدس ويضمن لهم

حقوقهم وعودتهم إلى بلادهم سالمين. أما في الجهة المقابلة فقد أقامت أوروبا محاكم التفتيش ضد العرب والمسلمين، وضد اليهود أيضاً. وقتل نابليون ١٠٪ من سكان مصر ونفّذ أبشع مجزرة عرفها التاريخ بحق سبعة آلاف من الجنود المستسلمين في حيفا. وحرق المستعمرون الإيطاليون ليبيا ودمّر الفرنسيون بلاد الشام، واللائحة طويلة، وهي تتضمن جريمة أوروبية تحت كل حجر من أحجار الشرق العربي. حتى أيقن الشرق، خصوصاً بعد زرع إسرائيل في قلبه، أن أوان الحسم العسكري قد حلّ الآن، وبذريعة أحداث ١١ سبتمبر واحتلال العراق للكويت من قبل... أما من قبل ذلك فقيام الثورة الإسلامية في إيران ووصول الإسلاميين إلى البرلمان في الجزائر وإلى الحكم في تركيا، وإلى الواجهة في المملكة العربية السعودية ومصر... الأحداث التي حركت المخطط الغربي ضد الشرق من جديد، وجعلتنا، كمثقفين نرفض وعود الحوار وثماره، فهي مجرد أكاذيب أو على الأقل مجرد أمطار صيفية لا يعتمد العربي على فاعليتها في الريّ!!!

الإمبراطور!!

هل بدأ الزمن الإمبراطوري في العالم؟ وهل أصبح الرئيس الأمريكي بوش الابن هو الإمبراطور بوش الثاني؟. كل الإشارات والإرهاصات تُشير إلى ذلك. فأصل الفكرة الإمبراطورية بدأت مع تكوين الولايات المتحدة الأمريكية، حيث اعتبر المؤسسون أن ثروات العالم كله لا بد أن تُحضر إلى القارة الجديدة بقوة العلم والمدفع، وهكذا حدث فعلاً، حتى أصبحت أمريكا تملك أكثر من ٤٥٪ من كل ثروات الكون، وأصبحت هي القوة العظمى الوحيدة في العالم، وقد صاغ بوش مؤخراً نظريته الإمبراطورية عبر إصراره على غزو العراق لإحكام القبضة على ما تبقى من ثروات عالمية ليست حصرياً في الفلك الأمريكي.

العالم كله يُدرك هذه الحقيقة، أي تحول أمريكا إلى إمبراطورية، والعالم كله يقف ضد هذه الإمبراطورية لأن أحلام الإنسان تتجه دائماً نحو الحرية والاستقلال والسمو، وهي القضايا التي تتعارض حتماً مع المفهوم الإمبراطوري للثروات المفتوحة والحدود المفتوحة على حد تعبير المؤرخين.

عندما فُجّرت أبراج التجارة في نيويورك في ١١/٩/٢٠٠١، واتهمت أمريكا فوراً أسامة بن لادن ضجّ العالم كله لهذه الكارثة الجديدة في مطلع القرن الجديد، وتراوح الضجيج بين الفرح المطلق والفرح الضمني، طبعاً وبين الأسى والرفض لمبدأ الإرهاب بحد ذاته، ولنتعمق بالصور التالية من الصحف العالمية والوكالات: في «ماناجوا» عاصمة نيكاراجوا راح الناس يعانقون بعضهم الآخر في صمت. في «بورتو اليجري» في عمق الجنوب البرازيلي هب جمهور القاعة الموسيقية غاضباً عندما صمم عازف جاز أمريكي أسود على أن يبدأ حفله بعزف «فليبارك الله أمريكا» وأمام إصراره راح الجمهور يهتف «أوساما.. أوساما!!» في بوليفيا عمت مظاهرات الفرح الشوارع. في الأرجنتين، الأمهات اللاتي كن يتظاهرن من سنوات عندما أخفى العسكر المحليون أبناءهم، رفضن الاشتراك في الحداد الرسمي. في اليونان حظرت الحكومة نشر استطلاعات الرأي التي تكشف عن الأغلبية التي تؤيد الضربات الموجهة لأمريكا، كما رفض جمهور الكرة المشاركة في الوقوف حداداً على أرواح ضحايا الأحداث. في «بكين» وصلت الأخبار متأخرة في الليل فكانت هناك بعض الألعاب النارية.

بعد غزو أفغانستان عاد الضجيج العالمي ضد أمريكا، فكيف سيكون ذلك الضجيج بعد غزو العراق إذا كان هناك من غزو؟!

الحرب العالمية الثالثة!!

في غمرة التصاريح النارية في خطاب الرئيس الأمريكي في ١٢/ ٩/ ٢٠٠٢ أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وتهديداته الأنانية للعالم كله ثم للعراق خصوصاً. قال الرفيق العراقي بالكثير من الاستخفاف: «هذا بوش، بوش». وبشكل عفوي، سايرت صديقنا العراقي على أنه قصد بوش الأب ثم بوش الابن، هنا ضحك العراقي مقهقهاً وقال: بوش عندنا يعني فاضي، استكانات الشاي، (كمان)، بوش!!

جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق قارن بين الاحتلال الأمريكي لبنما واعتقال مانويل نورييغا وبين احتلال العراق والقبض على صدام حسين ومعاونيه، مؤكداً أن الجيش الأمريكي استغرق أسبوعين لتحديد مكان نورييغا، فكم سنحتاج من الوقت لتحديد مكان صدام! كم من الأموال سننفق على الحرب لإسقاط صدام ومن سيدفع معنا؟! وهو أجاب على هذه الأسئلة بأسلوب رعاة البقر أيضاً، فقال أن الحلفاء دفعوا أكثر من ٦٠ مليار دولار من تكاليف الحرب

ضد العراق عام ١٩٩٠، وأن على إدارة الرئيس بوش أن تناقش أمر الحرب أمام الأمم المتحدة، حتى ولو رفضت الأمم المتحدة قرار الحرب جملة وتفصيلاً، فإن مصلحة أمريكا العليا فوق كل اعتبار وهذا ما صرّحت به بشيء من العنجهية الأمريكية كونداليزا رايس بعد خطاب رئيسها الشهير بلهجته الحربية...، ومن المؤسف أن بيكر ذكّر بوش، بتناقض خيالي، يمثل قمة الإفك العالمي، وهو محتوى المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة والتي تكفل حق الدول في الدفاع عن نفسها، باعتبار هذا المحتوى ينطبق على الدول «الحقيقية» مثل أمريكا، أما العراق أو سوريا أو إيران، فليست دولاً، في مفهوم بيكر، ليكون لها الحق في الدفاع عن نفسها بموجب المادة ٥١ المذكورة، بمنتهى الاستخفاف بالآخر، ومنتهى التمادي والغطرسة، التي ربما تؤدي إن لم يكن قد أدت فعلاً إلى صراع طويل، لا حضاري في جوهره، حيواني في طبيعته، لطالما رفضه حكماء العالم على أساس أن البشرية كتلة إنسانية واحدة، وحضارتها حضارة واحدة، ولكننا اليوم نُحذّر منه، فالولايات المتحدة الأمريكية لا تقف عند حدود الشرعية الدولية، وتتنكر لمواثيق تأسيسها، وتتعذر بالأوهام في حرب الإرهاب، معتبرة أن العالم العربي والعالم الإسلامي بل والإسلام ذاته، بموجب تهجم القس «الجاهل» يوم ٧ تشرين أول الجاري على النبي ﷺ، ووصفه بالشخص الإرهابي. مع التأكيد على

أن الإدارة الإمريكية ما زالت تجيد التلاعي على أوتار حقوق الإنسان، والقضاء على بؤر الإرهاب في العالم، وكأن التاريخ لن يذكر، أن هؤلاء المتهمين بالإرهاب، جماعة القاعدة، كانوا يتعاونون مع الأمريكان، ثم رأت أن تتنصل من معرفتهم والتعاون معهم، بعد أحداث ١١ أيلول، التي خرجت أمريكا منها، رغم ٣٠٠٠ قتيل في نيويرك وواشنطن، المستفيد الأوحد، والرابح الأوحد بعد إسرائيل، مما يؤكد ضرورة إعادة تقييم مفهوم الإرهاب من جذوره، وإدانة مسؤوليه ومنظميه، وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية.

في استطلاع للرأي في بريطانيا، وجد أن ٧٢٪ من عموم البريطانيين يرون في الرئيس الأمريكي بوش الابن الإرهابي الثالث بعد أسامة بن لادن وصدام حسين!!

العالم كله، باستثناء الحكومة البريطانية، يقف ضد الحرب على العراق والتظاهرات لتي عمّت ٧٢ مدينة في العالم في أواسط شباط ٢٠٠٣، بعد جلسة مجلس الأمن التي رفض العالم فيها منطق الغطرسة الأمريكية التي عرضها باول(*) بكفاءة متوسطة، تدل على ذلك بل وتعلن الحرب

(*) صرّح وزير الخارجية الفرنسي أن تقرير باول وزير الخارجية الأمريكي منقول مع بعض التجديد عن تقرير أكاديمي مكتوب منذ ١١ عاماً، وهو لا يقنع أحداً.

على الأنظمة الداعية للحرب. . .

ولكن لماذا تصر إدارة الرئيس الأمريكي على الحرب ضد العراق؟ أيكون ذلك تخطيطاً صهيونياً لإلهاء العالم عن مجازر شارون في فلسطين المحتلة؟ أيكون ذلك لهز العصا ضد الأنظمة العربية الرافضة للهيمنة الإسرائيلية؟ أم أن التأجيل المتكرر هو للاستعداد الحقيقي، لأن الحرب ضد العراق لن تكون نزهة على شارع الرشيد، وإنما ستكون الأشرس، ربما، في التاريخ الحديث، ثم ماذا بعد صدام في العراق؟ ثم كيف ستبرر الولايات المتحدة منطقية دعم الترسانة النووية الإسرائيلية بينما تعتبر أن سبب الحرب على العراق هو محاولتها حيازة السلاح النووي. ثم كيف ستبرر الولايات المتحدة منطق البقاء في الخليج والجزيرة العربية؟

السؤال الكبير الآن، هو: من دعم الرئيس صدام حسين لينتصر في حربه مع إيران؟ ومن الذي حرص على بقائه، ومن الذي رعى ذلك؟ إنه رامسفيلد، وزير الدفاع الأمريكي اليوم ممثلاً لإدارته الحاكمة آنذاك. هذا الـ رامسفيلد رأس الحربة في الإدارة الأمريكية ضد العراق، هو الذي مثّل الرئيس ريغان في التفاوض مع العراق ضد إيران، وهو الذي زوّد الجيش العراقي بالمعلومات السرية والاستخباراتية والفضائية، التي مكنت العراق من النصر على إيران عام ١٩٨٣، وهو الذي يسعى اليوم لتدمير العراق إكراماً لإسرائيل، لا خوفاً من السلاح النووي

العراقي، غير الموجود أصلاً، ولا خوفاً على النفط الاستراتيجي، ولا خوفاً من محور الشر في دعم الإرهاب العالمي مع أهمية كل ذلك... ولكن بالتأكيد للتأكيد على قوة إسرائيل المستقبلية وتبرير مجازر شارون اليوم وأحلامه بطرد الفلسطينيين جميعاً من ديارهم بعد ذلك.

على أن حكاية الحرب ضد العراق قد تكون أيضاً لبلورة النظام العالمي الجديد الذي يُعلن أمريكا القوة الأحادية في العالم. وهو النظام الذي أقرّه الرئيس الأمريكي ترومان عام ١٩٤٧ عندما حصل على تأييد الكونغرس على تمويل ودعم تركيا واليونان ضد التوسع الشيوعي السوفييتي تمهيداً لبسط الهيمنة الأمريكية على العالم، وبالفعل تطور مبدأ ترومان مع الزمن، وبخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وتفكك المنظومة الشيوعية، ليشمل الهيمنة على كل العالم تحت شتى الذرائع، وتحت شتى اللافتات والعناوين. وما حملات محاربة الإرهاب إلاّ لافتة من تلك اللافتات التي استُغلّت بذكاء استراتيجي من صقور الإدارة الأمريكية والمنظمة الإرهابية العالمية لإكمال الكماشة على العالم، وإذا كانت الحرب الأفغانية قد فتحت الشهية العسكرية الأمريكية على تأكيد مبدأ ترومان، فإن الحرب، أو اللاحرب ضد العراق، هي الحلقة الثانية في سلسلة حروب أمريكية طويلة الأمد ضد العالم، رصد لها الكونغرس ٤٠ بليون دولار، كدفعة على الحساب وقد لا

تنتهي إلاّ باحتلال واستعمار سيبيريا الأغنى في العالم، طبعاً بعد الانتهاء من الدول الرئيسية في العالمين العربي والإسلامي.

إذا ما بدأت الحرب ضد العراق فعلاً، وهذا أمر مستبعد الآن أي قبل الانتهاء من ترتيب البيت الشاروني والقضاء على حلم الفلسطينيين بالدولة المستقلة وعاصمتها القدس، إذا ما بدأت الحرب ضد العراق، فقد بدأت الحرب الأمريكية الجديدة ضد العالم، والقادم أسوأ بكثير من تقسيم العراق وإقامة دولة «ديمقراطية» فيه!!



سليمان الفارس

مع أن جون ووكر أو سليمان الفارس، لم يكتب ذكرياته حتى الآن، لأنه مقيد بأصفاد وكالة الاستخبارات الأمريكية، ويحيط به عشرات المخبرين والمحققين، علّه يُساعد بمعرفة مكان أسامة بن لادن أو أسرار طالبان، إلا أنه يُشبه إلى حد بعيد ليون الأفريقي الذي سبقه إلى رحلة االبحث عن الحقيقة بخمسة قرون من الزمان.

ولد ووكر (السائر إلى الحقيقة) في كاليفورنيا عام ١٩٨١، بينما ولد ليون في غرناطة عام ١٤٨٨م، ومع أن ٤٩٣ عاماً يفصل بين الولادتين، إلا أن البحث عن الحقيقة كان الجوهر المشترك بين الباحثين:

«خُتنْتُ، أنا حسن بن محمد الوزّان، يوحنا ـ ليون دومديتشي، بيد مزيَن وعُمّدت بيد أحد البابوات، وأُدعى اليوم «الإفريقي»، ولكنني لست من إفريقية ولا من أوروبة ولا من بلاد العرب. وأعرف أيضاً بالغرناطي والفاسي والزيّاتي، ولكنني لم أصدر عن أي بلد، ولا عن أي مدينة، ولا عن أي قبيلة. فأنا ابن السبيل، وطني هو

القافلة وحياتي هي أقل الرحلات توقعاً.

لقد عرف معصماي على التوالي دغدغات الحرير وإهانات الصوف، ذهب الأمراء وأغلال العبيد. وأزاحت أصابعي آلاف الحُجُب ولوَنت شفتاي بحمرة الخجل آلاف العذارى، وشاهدت عيناي احتضار مدن وفناء إمبراطوريات.

ولسوف تسمع في فمي العربية والتركية والقشتالية والبربرية والعبرية واللاتينية والعامية الإيطالية لأن جميع اللغات وكل الصلوات ملك يدي. ولكنني لا أنتمي إلى أي منها، فأنا لله وللتراب، وإليهما راجع في يوم قريب»(*).

الفرق الوحيد بينهما أن رحلة ليون أو حسن بن الوزان قد انتهت في روما بعد غرناطة وفاس والقاهرة، أما رحلة جون أو سليمان الفارس، فقد بدأت في أمريكا ثم سارت إلى اليمن وباكستان وأفغانستان، ولم تكتمل بعد، فهو الآن خلف قضبان التحقيق بيد الأغلاظ الشداد، ولا يعلم نهاية رحلته إلا رب العالمين.

ترعرع جون في ضوضاء المدينة الحديثة، فأدمن حب الموسيقى الصاخبة، الهيب هوب، والتنقل بين مواقع الإنترنت، دلله أبوه وأغدق عليه من كل ما اشتهاه، وأحبته

(*) من رواية «ليون الإفريقي» لأمين معلوف. ترجمة عفيف دمشقية. ط٣: ١٩٩٧.

أمه حباً متفانياً، وعلى الرغم من كثرة المغريات من حوله، تاقت روحه لعبق الشرق وروحانية مفقودة في محيطه...

جذبه أبوه للكاثوليكية فرفضها، وأغرته أُمه بالبوذية فلم يستسغها، ووقعت عينه على بعض المواقع الإسلامية في شبكة الإنترنت فتابعها حتى استهواه ذلك العبق الروحاني المفقود في حياته.

في السادسة عشرة من عمره، أعجب جون بسيرة حياة الزعيم الزنجي مالكولم إكس وما لبث أن بدأ بطرح تساؤلاته على من يصادفه من أصدقاء: «لم أر مطلقاً السعادة التي تُحدثون عنها في الحياة، ربما يمكنك إفادتي، أين باستطاعتي الذهاب لإلقاء نظرة خاطفة عليها...؟» وعندما لم يملأ قلبه أي شيء مما حوله تحول إلى الإسلام بكل قناعة وتصميم..

عام ١٩٩٨ افترق والداه، ولكنهما بقيا يحبانه كلٌّ على طريقته: والده (ووكر) عبر التمويل المالي والنصح، ووالدته (مادلين) عبر الإشراقيات البوذية. أما جون فقد انصرف إلى حفظ القرآن الكريم وتعلم الفقه الإسلامي، ومن أجل ذلك، بدأ رحلته إلى اليمن، بلد الضاد وأصل العرب.. في اليمن السعيد لم يجد جون المسلمين كما تخيلهم، وكان يحلم بمجتمع إسلامي أكثر نقاوة وأكثر تماسكاً، فهو يرفض الفرقة. وفي اليمن، أصبح يسمع ويرى بأن المسلمين سنة وشيعة، وهو يرفض المذهبية، ويرى من

حوله القات والفقر والحزبية... وهو يرفض كل ذلك منذ زمن بعيد.

وما هي إلا أيام حتى بعث الوالد لولده رسالة إلكترونية، ينتقد فيها سلوك الانتحاريين الذين فجروا السفينة الحربية الأمريكية (يو.اس.اس.كول) في ميناء عدن في أكتوبر عام ٢٠٠٠، فما كان من جون إلا أن رد على أبيه بأن تفجير السفينة كول كان بسبب الغزو الأمريكي لبلاد المسلمين، وأن مجرد وجود سفينة حربية أمريكية في اليمن هو بذاته حرب ضد الإسلام ونوع من الإرهاب. وهكذا اتجه جون إلى العنف الذي ظن فيه الخلاص...

خلال زيارة جون لأمه، انضم لفترة قصيرة إلى جماعة التبليغ في أمريكا التي ما لبث أن غادرها لأنها لا تؤمن بالسياسة، وكم كانت فرحته عظيمة بالشيخ خضر هيات الذي حبب إليه الجهاد والانخراط في العمل العسكري. بعد عودة قصير إلى اليمن، سافر جون مع شيخه إلى باكستان ثم إلى طالبان في مدرسة بانو التي تعدّ أمثاله من الباحثين عن الحقيقة.. وهكذا دخل جون، إلى تنظيم القاعدة فأصبح سليمان الفارس الذي قابل أسامة بن لادن وتعلّم منه العنف الذي أبداه في أكثر من مناسبة، وهو ما يُسمّى بالإرهاب.

بعد القصف الأمريكي الأرعن لأفغانستان، أخذ سليمان الفارس مع العديد من الأسرى الأفغان العرب

والطالبان إلى قلعة جانغي قرب مزار الشريف، وها هي رواية سليمان عن بقية القصة، كما نقلها عنه مراسل النيوزويك كولن سولواي:

بدأ مقاتلو طالبان بالصمود فور وصولهم إلى السجن، ورمى اثنان من المجاهدين قنابل يدوية كانت مخبأة تحت ثيابهما، فقتلا اثنين من جنرالات تحالف الشمال. ويذكر ووكر: «بعد ذلك، وضعونا في طابق تحت الأرض وتركونا هناك طوال الليل وفي الصباح الباكر، بدؤوا يخرجوننا ببطء، واحداً تلو الآخر، إلى المجمع... كانت أيادينا موثوقة، وكانوا يركلون ويضربون بعضنا. وكان بعض المجاهدين خائفين ويبكون. واعتقدوا أننا جميعاً سنقتل». شاهد ووكر «أمريكيين... يلتقطان صوراً بكاميرا رقمية وكاميرا فيديو. وكانا هناك لاستجوابنا». كان الأمريكيان هما مايك سبان وعميل آخر في وكالة الاستخبارات المركزية عرف في وقت لاحق فقط بأن اسمه «ديف». ويظهر شريط فيديو التقطه مصور أفغاني ووكر جالساً القرفصاء ومسترخياً في صمت أمام رجلي وكالة الاستخبارات. ويجثم سبان قربه ويبدأ بتوجيه أسئلة: «من أحضرك إلى هنا؟ انهض! من أحضرك إلى أفغانستان؟ كيف جئت إلى هنا؟» ثم بدأ سبان وديف بتمثيل مسرحية، وتحدثا بصوت مرتفع لكي يسمعهما ووكر. قال ديف: «المشكلة هي أنه لا بد له من اتخاذ قرار فيما إذا كان يريد

أن يعيش أو يموت. . . ما علينا سوى أن نتركه هنا، وسوف يمضي بقية حياته القصيرة. . . في السجن. إن القرار متروك له، يا رجل». وحاول سبان إثارة عاطفة الأسير، بقوله: «كان هنالك مئات عدة من المسلمين الذين قتلوا في التفجير بمدينة نيويورك. هل هذا من تعاليم القرآن؟ لا أعتقد ذلك. هل ستتحدث إلينا؟» ولم يصدر أي رد من ووكر.

عقب تصوير هذه اللقطات بوقت قصير، كما تذكر ووكر في مقابلته مع نيوزويك: «قام شخص ما إما بسل مدية أو رمي قنبلة يدوية على الحراس أو أخذ بنادقهم وبدأ يطلق النار، وحالما سمعت إطلاق النار والصراخ، قفزت وعدوت مسافة متر أو مترين، وأصبت بعيار ناري في ساقي».

وانهالت العصبة على عميل الوكالة سبان بالضرب وإطلاق النار فأردوه قتيلاً. ويعتقد أن القوات الأمريكية والبريطانية الخاصة أنقذت ديف. وتحصن السجناء المتمردون في طابق تحت الأرض، وبدأت القنابل الأمريكية في السقوط. وحاول تحالف الشمال إحراقهم لإرغامهم على الخروج، بصب وقود الديزل وإشعاله، ثم إغراقهم بصب آلاف الجالونات من المياه عليهم، أخيراً، وبعد ستة أيام، استسلم ووكر و٨٥ من المقاتلين.

وكما كان ليون الأفريقي حديث الملوك ورجال الدين

منذ ٤٩٣ عاماً، أصبح ووكر هو الآخر، حديث الملوك ورجال السياسة، لا في أمريكا لوحدها، بل في كل أنحاء العالم. الفارق الأكثر وضوحاً بين الباحثين عن الحقيقة إن ليون قد انتهى به المطاف في روما ومات عن أربعين سنة من الترحال، أما ووكر، فالله وحده هو الذي يعلم كم من السنوات سيعيش بعد اليوم، لا سيما وأن تهمة الخيانة العظمى قد وُجهت إليه وهي تهمة يُجازي النظام الأمريكي المدان بها بالموت.

أخي سليمان الفارس، يكفيك أنك حاولت الوصول إلى السعادة والحقيقة بكل ما أوتيت من قوة، أما أن تكون قد أصبت أو أخطأت، فالله سبحانه وتعالى وحده وليك، وأنت الآن إزاء القانون الأمريكي الذي قال على لسان وزير دفاعه: (الطالباني الجيد هو الطالباني الميت)!!



خرائــط

بعد أن حصل الرئيس العراقي صدام حسين على ٩٩،٩٦٪ من أصوات شعبه في استفتاء عام ١٩٩٥، يتوقع المراقبون لطبيعة الانتخابات العربية أن ينال صدام ١٠٠٪ من أصوات الشعب العراقي في استفتاء منتصف أكتوبر، لا سيّما وأن طبول الحرب لا تزال تعزف أناشيد الصمود والتصدي، ضد إسرائيل التي هدد العراق بالدمار النووي إن نفذ العراق قصفها بالسلاح الجرثومي. وبينما يستعد العالم كله، سلباً أو إيجاباً للحرب ولإعادة رسم خرائط المنطقة العربية والأنظمة العربية في الشرق الأوسط، قرر مجلس قيادة الثورة في العراق بالإجماع، ترشيح الرئيس صدام حسين لمنصب رئيس الجمهورية لسبع سنوات قادمة لأنه الضمانة، كما ورد في حيثيات الترشيح!!

هكذا حدث فقد نال الرئيس صدام حسين ١٠٠٪ من أصوات شعبه وهكذا يحدث في معظم، إن لم نقل في كل الأنظمة العربية: القائد أو ابن القائد يظل هو الضمانة من المهد إلى اللحد.

يرى المجرم القديم الجديد هنري كيسنجر، أن تدمير العراق، والانتهاء من مراحل عاصفة الصحراء التي بدأت عام ١٩٩١، وإسقاط نظام صدام حسين بشكل قوي وصاعق، قد يؤسس لحل جذري للقضية الفلسطينية وللعديد من القضايا العالقة في الشرق الأوسط، فدرب القدس تمر عبر بغداد. وقد أكّد الرئيس بوش لحليفه البريطاني بلير أن الجيش الأمريكي سيقضي على شيء اسمه بغداد وعلى شيء اسمه صدام حسين قبل أن يفيق صدام من هول الدمار الذي سيلحق به، وسيكون مثل بن لادن الذي لم يعرف الجهات الأربع بعد قصف قواتنا لتورابورا!!. وعلى الرغم من رفض أوروبا للحرب ضد العراق، ورفض الكنيسة البريطانية وبابا الفاتيكان لمبدأ الحرب المنفردة ضد العراق، ورفض الشارع البريطاني لتورط الجيش الإنجليزي في حرب برية، قد تتحول إلى فيتنام عربية، ورغم رفض معظم الدول العربية (خصوصاً السعودية ومصر وسوريا) للحرب ضد العراق، ورغم تحذير تركيا، من أن الحرب ضد العراق قد تفتح الأبواب المغلقة على احتمالات مؤذية وصعبة على المستويين المحلي والعالمي...

ورغم تحذير حمائم الإدارة الأمريكية للرئيس بوش بأن بغداد ليست كابل، وأن بغداد التي يقطنها خمسة ملايين عراقي لن تستسلم قبل أن تسيل الدماء في الشوارع وتصل إلى الركب، كما حدث أمام الغزو المغولي بقيادة

جنكيزخان، الذي أباد كل شيء في طريقه، حتى تمكن من دخول العراق، ورغم تحذير المخابرات المركزية لبوش بأن معركة إسقاط صدام حسين قد تكلف المليارات من الدولارات والآلاف من الأرواح، وقد تحوّل المنطقة إلى أرض محروقة مضطربة، تتسرّب منها أنابيب النفط بغير نظام ولا انتظام. برغم كل شيء يصرّ الرئيس بوش الابن أن يُعيد تجربة أبيه، متناسياً أن العراق أيام أبيه كان يحتل الكويت وكان يحارب خارج أرضه، أما اليوم فالعراق يحارب للبقاء في أرضه!! لقد قرر الرئيس بوش كما يبدو أن العراقي الجيّد هو العراقي الميت، تماماً كما قرر ذلك للطالبان في أفغانستان ويبدو أنه قرر حل قضايا المنطقة عبر البوابة العراقية، وهو الأمر الذي يتطلب التحضير لتدمير نوعي هائل للعراق، كي يتحول إلى عبرة لمن اعتبر، فالجيش الأمريكي قد تعوّد تطوير أسلحته الفتاكة وتجريبها على الأرض في معارك حقيقية، وهي شهوة أمريكية للدمار، سببها الشعور الأمريكي بالتفوق والأحادية، لقد امتد الجيش الأمريكي إلى أكثر من خمسين بلداً في العالم، وحارب بكل تقنياته على العديد من جبهات العالم، وقتل الملايين من البشر، تحت ذرائع شريعة الغاب والسيطرة على العالم، بغض النظر عن القانون الدولي وبغض النظر عن الرأي العام العالمي. ومع أن الحرب ضد العراق قد تكون الأخيرة في هذا النمط اليانكي، إلا أن البشرية كلها

مدعوة اليوم للوقوف بوجه هذا التوجه الأرعن الذي لا يؤمن إلا بحق القوة، وليس من الضروري أن يكن الوقوف بوجه هذا النمط الأمريكي الأرعن بالقوة، فليس في العالم من هو أقوى من أمريكا ليوقفها بالقوة، والوقوف المطلوب الآن هو بالفكر والمنطق والإعلام، المنطق الذي يذكّر أمريكا بأن سقوط النظام الشيوعي من موسكو، كان بسبب استعمالها القوة الغاشمة والهيمنة على الشعوب وعلى الحريات وعلى الأفكار وعلى حق الإنسان بالتفكير والانتظام، ثم لا بد من تذكير العالم بأن اليد الأمريكية ستصل إلى العالم كله إذا لم يقف العالم كله وقفة رجل واحد في وجهها الأحمر!!

لقد بدأت عمليات التحضيرات الفعلية للحرب ضد العراق، بل للحرب المجهولة ضد المجهول العراقي: اليابان استعدّت نفطياً. أوروبا تأمل التشفي بالورطة الأمريكية. إسرائيل بدأت بتنفيذ خطتها الرامية لإحكام سيطرتها الجوية على الشرق الأوسط، فأرسلت أسراب طائراتها الأمريكية إلى المطارات التركية، طبعاً بموجب معاهدة الدفاع المشترك وكم أثلجت الصدور العربية مواقف النواب الأتراك، عندما رفضوا ٦٢ ألف جندي أمريكي على الأرض التركية، رافضين أيضاً المال والرشوة والعلاقات المميزة مع الولايات المتحدة الأمريكية. أمريكا بدأت حملتها الشعواء ضد المملكة العربية السعودية لأنها رفضت

المساهمة في التحضير لضرب العراق، العائلات الأمريكية المفجوعة بقتلى ١١ سبتمبر تقاضي الشخصيات السعودية والجمعيات السعودية والبنوك والهيئات السعودية بتهمة دعم الإرهاب وتمويله.. مراكز أبحاث أمريكية تصدر تقارير تعتبر فيها المملكة العربية السعودية عدواً لا حليفاً... وبعد الخبرة من عشرة صواريخ سكد راقية أطلقت باتجاه إسرائيل في حرب ١٩٩١، فإن بطاريات حماية إسرائيل، صواريخ باتريوت الأمريكية، تنتشر الآن على الأرض الأردنية في منطقة (اتش ٥) الحدودية مع العراق، وتنتشر في كردستان العراق على الحدود العراقية التركية، أما القواعد الأمريكية في الكويت والبحرين وقطر فجاهزة على ما يبدو.!

تسعى الخطة الأمريكية لضرب العراق ضربة واحدة، مزلزلة، بواسطة أسلحة جديدة، قادرة على الدمار الشامل، لفصل بغداد عن بعضها البعض، ثم للقضاء على مراكز الرادار والاتصالات بين القيادة والقوات الرئاسية الخاصة، على أن يكون هذه الدور الأمريكي من السماء، أما من الأرض فقد جهّزت أمريكا القواعد والمطارات الشمالية وجهّزت الوحدات الكردية للانقضاض على بغداد، تماماً كما حدث في أفغانستان. ولئن كان القصف الأمريكي على أفغانستان قد فاق حدود الخيال، فإن القصف الأمريكي على بغداد، سيفوق على ما يبدو، حدود التخيل، لأن أمريكا إزاء امتحان عالمي يتعلق «بكرامتها»، كما يتعلق

الأمر بالرئيس بوش الذي وصل إلى السلطة عبر المحاكم، لا عبر صناديق الانتخاب، وهي الحالة الأولى في تاريخ الرئاسة الأمريكية، بعد تأسيس الدولة الأمريكية على جماجم ٢٠٠ مليون هندي أحمر وأفريقي أسود وأوروبي أشقر، فحرب العراق إن حدثت أو لم تحدث، ستصب حتماً في صناديق الاقتراع القادمة!!!

المستفيد الثاني المباشر بعد الولايات المتحدة من الحرب ضد العراق، إن حدثت، هي إسرائيل. شارون يريد ترحيل الفلسطينيين إلى الأردن، يُؤيِّده بذلك رامسفيلد، الذي قال صراحة بأن الضفة الغربية هي أرض إسرائيلية بحق النصر والاحتلال!!، ويرى أن الدولة الفلسطينية هي الأردن، ولتنفيذ هذا الترحيل لا بد من خلط الأوراق في المنطقة عبر حرب طاحنة، يحاول الجميع حفظ رؤوسهم فيها. من سيناريوهات هذه الحرب أن يعمل شارون على تهجير مليون فلسطيني على الأقل إلى الأردن أو إلى العراق أو إلى لبنان أو إلى أية جهة ممكنة، فالمهم عند شارون هو استعادة الضفة الغربية وغزّة إلى إسرائيل، فهما عنده يهودا والسامرة، ولئن أضاعتهما المفاوضات، أوسلو وكامب ديڤيد، في عهد سلطة باراك، فإن الحرب هي التي ستعيدهما، والآتي أعظم، فربما يحلم شارون بالمزيد من التوسع في الأرض العربية المجاورة، في المدينة المنورة مثلاً!!

الرابح الثاني المباشر في الحرب ضد العراق، إن حدثت هي إسرائيل، ففي جعبتها مشروع الشرق أوسطية، حيث خطط بيريز، لشرق أوسط يتحول العرب فيه إلى أقلية بين تركيا وإيران وإسرائيل (*)، ويتحول فيه الصهاينة إلى نخبة تتحكم بالاقتصاد وبالبعد الاستراتيجي للمنطقة، انطلاقاً من التحكم العسكري المتحالف مع القوة العظمى أمريكا الجديدة. . . ومما لا شك فيه أن إسرائيل ستحلم، بل وتحلم الآن، بالقضاء على المفاعل النووي الإيراني في بوشهر، وبالسيطرة العسكرية على إيران، وهكذا تكتمل الكماشة الصهيو ـ أمريكية على المياه الدافئة وهو الحلم القديم، الذي قامت من أجله الحروب الباردة الحارة، وأنفقت من أجله الثروات ومات الملايين، ومن أجله صنعت أمريكا، مع حلفائها «السفاري كلوب»، لتوريط المجاهدين في الحرب ضد الشيوعية، ثم لمحاسبتهم على تلك الورطة بالويل والثبور وعظائم الأمور مما يجعلنا نتساءل: هل كانت أحداث ١١ سبتمبر مدبّرة من أصحابها، أو بالتعاون مع أصحابها، وهل خططت إسرائيل لأحداث ١١ سبتمبر، لتكون الذريعة لهذا التمدد الذي تحلم به إسرائيل، ولهذه السيطرة التي تحلم بها الولايات المتحدة الأمريكية؟! وهل آن أوان إطلاق اللعنة على تلك الأحداث

(*) يُراجع كتاب تجاعيد في وجه الزمن العربي للمؤلف: ٢٠٠١: ٢٧١.

وعلى كل أطرافها؟! وهل أصبح قدر العرب الوقوع في الأفخاخ مرة من بعد مرة متناسين الحكمة البالغة، من أن المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين؟!

الحرب ضد العراق اليوم، هي تكملة لحرب صناعة العروش والجيش التي بدأها برسي كوكس منذ قرن من الزمان، وهي تكملة لحرب صناعة الخرائط والأنظمة والزعامات التي بدأها كيسنجر منذ نصف قرن من الزمان... أما نحن، فلا زمان لنا فيها ولا مكان!!



في الأَسْــر!!

تنبأ عبد الله بن عمرو بن العاص بالأسر الفكري والسياسي للمسلمين وهو يراقب مجانيق الأمويين تدك وتحرق الكعبة، في حصار عبد الله بن الزبير الذي ثار ضد معاوية وولده، فحاصره الحجاج وهدم الكعبة وصلبه وأمر باستباحة مؤيديه. . . قال ابن عمرو في رواية البلاذري في الأنساب: «أيها الناس لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلو ابن نبيكم ومحرقو بيت ربكم لقلتم ما من أحد أكذب من أبي هريرة، أنحن نقتل ابن نبينا ونحرق بيت ربنا؟ والله فعلتم، لقد قتلتم ابن نبيكم (يعني الحسين) وحرقتم بيت الله فانتظروا النقمة، فوالذي نفس عبد الله بيده ليلبسنكم الله شيعاً وليذيقن بعضكم بأس بعض».

لفك الأسر لا بد لنا من إدراك طبائعه وأصحابه ولا بد من دفع الفدية، ودفع الفدية قد يتضمن الثورة ضد الآسرين، الثورة ضد الكتب التي زوّرت والعنعنات التي أججت، فهل نحن مستعدون للانعتاق؟!

بعد التطورات المتلاحقة التي تلت الحرب العالمية

الثانية، وبخاصة تلك التي تلت انهيار الاتحاد السوفياتي المقابل في القوة للولايات المتحدة، سقوط جدار برلين والقضاء على قوة إيران والعراق والسيطرة على منابع النفط العالمية وتفرد الولايات المتحدة بحكم العالم، أصبح النظام العالمي الجديد، الذي يُفترض بأنه النظام الديمقراطي الحرّ، يطير بجناحي السياسة والحرب. وما لم يتمكن النظام العالمي الجديد تحقيقه بالحرب، حققه بسياسة الحرب، حتى أصبح العالم كله ساحة أسر لهذا النظام الجديد، وأصبح العالم كله بموجب هذا المفهوم في قفص الأسر لهذين المفهومين الجديدين القديمين.

ويبدو أن العالم العربي هو المأسور الأشهر في نهاية المطاف للنظام العالمي الجديد، فهو يتصرف، عبر سلطاته ومستعبديه، وكأنه قد هزم فعلاً في كل معركة خاضها، وكأنه لن ينتصر في أي معركة سيخوضها... هو مستسلم حتى الرمق الأخير، مأسور وهو طليق، سجين وهو يتجول في أصقاع العالم...

أشهر أشكال الأسر العربي هو ذلك الإنصياع الأعمى للخوف، ذلك الإنصياع الأعمى لوهم القوة الخارقة لدى الآخر..، ورغم المشاعل المضيئة هنا وهناك، مشاعل المناضلين والشهداء، إلا أن طبيعة الموت تسيطر على أرواحنا، فنحن الأحياء الأموات بامتياز.

ها هو النظام العالمي الجديد، يُقرر أننا إرهابيون،

لأننا نقاوم الاحتلال الصهيوني لأرضنا في لبنان، ثم يؤيده البعض، ويساعده البعض الآخر، وبالمحصلة نصبح جميعاً ضمن التيار الذي يحولنا إلى عبيد للآخرين وبخاصة للقوة الصهيونية في عصرها الذهبي الحالي. ولا من يُفكر بأن هذا الانصياع وذلك الخوف، لم يُورِّث سوى المزيد من الانصياع والمزيد من الخوف لنا ولأجيالنا، ولن يُحقق للأمة أية انفراجات، لأن طبيعة العداء لبلادنا تتضمن المزيد من القهر والمزيد من الأسر والمزيد من التشفي. فشارون على سبيل المثال لن يقبل بأقل من إذلال الشعب العربي عبر ممارساته وطغيانه، وفي المقابل تقوي الولايات المتحدة الأمريكية كل التوجهات العربية التي تساير هذا التوجه، وهو توجه الأسر خمس نجوم!!

الأسر السياسي والفكري للعالم الإسلامي لا يقل نتانة وإحكاماً عن بقية مراكز الأسر العالمية، فالعالم الإسلامي بمجمله يُعد من أكثر بقاع العالم تخلفاً وأمية، ومن أكثر بلاد العالم قهراً لشعوبه، ويكفي، لا فخراً، أن معظم الدول الإسلامية تتميز برم ٩٩،٩٩٩ في كل ممارسات السلطات الحاكمة فيها...

في تاريخ الحرب السياسية التي يقودها النظام العالمي الجديد للسيطرة على العالم، بعض المحطات العاهرة التي ستحول شعوب العالم بموجبها إلى عبيد، وعلى رأس هذه المحطات: القضاء على حرية الشعوب ودعم الطغاة

المتحكمين برقابها، ثم منع الشعوب من الثورة أو المطالبة بحقوقهم المشروعة تحت طائلة ما سمّاه النظام العالمي الجديد بالإرهاب... فالإرهاب بالمفهوم الجديد هو كل حركة للمطالبة بأي شيء لم يقدِّمه هذا النظام العالمي الجديد للشعوب بموجب قانونه وشرعه، مما يعني ضرورة إيقاف وإنهاء حركات التحرر في العالم ورفع الأيدي والتسليم للجلادين الجدد تحت طائلة الوقوع في خانة الإرهاب(*) !!



(*) راجع نص القرار ١٣٧٣ لمجلس الأمن حول مكافحة الإرهاب صفحة ٣٧٩.

كاوبوي!!

بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، واختلاط الأوراق العالمية، باتجاه الفوضى والتغاضي عن المواثيق الدولية، وبخاصة ما يتعلق منها بحقوق الإنسان، نرى ونقرأ ونسمع عن آلاف الضحايا من الأطفال والنساء والمعوقين يتساقطون في أفغاستان وفلسطين والعراق تحت مظلة من الضبابية السياسية، التي لا تتمتع حتى بالقدر الأدنى من عدل العولية، التي طرحت في نهاية القرن العشرين على أنها أمل البشرية في تكوين قرية بشرية واحدة، يسودها التآلف والتمازج والسعادة. وإذا بالقرن الحادي والعشرين يبدأ بحرب قاسية ضروس، أفضل وصف لها، بأنها عبثية توسعية، سواء منها الجزء الأرعن الذي نفذه الإرهاب ضد الولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثاء الأسود، أو الجزء الذي تنفذه أمريكا وبريطانيا في أفغانستان أو الجزء الفائق الرعونة الذي ينفذه شارون في فلسطين.

إن استمرار النزاعات الدولية، مع غياب التأطير الحضاري لمعنى القوة والحرب والإرهاب والحق والسيطرة

والثروات وما شابه، إن استمرار تلك النزاعات، بهذه الوتيرة المتسارعة يدعونا جميعاً للريبة والخوف، للريبة من نوايا القوة الإمبراطورية الحاكمة للعالم، أمريكا، وللخوف على مستقبلنا وحاضرنا، كدول ضعيفة أو مستضعفة، وكأمم تحمل رسالة حضارية عالمية. وعندما تتصارع الحضارات، إذا صح التعبير، فإن هذا الصراع يتحول إلى حتمية تاريخية لا تجلب سوى المآسي والنكبات، وهذا هو المحظور الذي يبدو في الأفق في غياب التأطير المنطقي للصراع ولما يدور الآن في العديد من بقاع العالم.

نحن، في العالم الضعيف أو المستضعف، نراقب الصراع عن كثب، ونراه يشبه إلى حد ما الصراعات الدينية في القرون الوسطى، حين قرر ملوك أوروبا غزو الشرق الإسلامي تحت لافتات دينية، وهناك استمرت الحرب القذرة لقرنين كاملين، خلّفت وراءها تاريخاً من الكراهية نتذكره اليوم، وكل يوم، مع كل جرح نازف في فلسطين أو اغتصاب شابة في البوسنة أو الشيشان أو جفاف وموت من الجوع والقصف والأسلحة الكيماوية في أفغانستان. تلك الحروب الصليبية ضد الشرق ذكّرت الرئيس الأمريكي بوش الابن بعد انفجارات نيويورك في ١١/٩/ ٢٠٠١م بالإرهاب الذي لصقه بالإسلام وبالمسلمين هنا وهناك وهو أمرٌ مؤرق ولا شك، فالبشرية تتقدم نحو السلام ولا تتخلف نحو الحرب، والبشرية قد انتهت من الصراعات، التي أثبت

فشلها في حل القضايا العالقة واتجهت إلى التحالفات والمعاهدات والمواثيق الدولية.

يُدرك المراقب الواعي جيداً أن حرب الصرب ضد المسلمين في يوغسلافيا السابقة، بكل مآسيها ومقابرها الجماعية، لم تحقق خيراً لا للصرب ولا للكروات ولا للمسلمين، بل حققت الشر لهم جميعاً. والمراقب الواعي يرى ذلك أيضاً في الحرب الوحشية بين قبائل (التوتسي) و(الهوتو) وأكثر من ربع مليون إنسان قتيل، تحت المظلة «العالمية» وبدون جدوى!!. والمراقب الواعي يرى أيضاً أن الحكمة قد أصبحت في معزل عن أصحاب القرار الدولي، فهم على ما يبدو قد استنسبوا أسلوب الـ (توتسو) إلى إشعار آخر.

الأسئلة الملحّة الآن هي حول الفكر السياسي العالمي، وهل تحوّل إلى فكر توسعي يعتبر دول العالم مداه الإمبراطوري، أما أننا لا نزال تحت المظلة الإنسانية القانونية وللأمم المتحدة وشرعية القانون الدولي؟!.

وهل تخلّت القوة الكبرى في العالم عن مفهوم قبول الآخر، بحاجاته هويته وحضارته وأرضه واستقلاله، أم أنها قررت إلغاء هذا الأصل الدولي بداية من عام ٢٠٠٣ إلى أسلوب رعاة البقر؟!

لا بدّ هنا من الإشارة إلى أن أكثر من ٩٠٪ من العالم

يتمازج في دول وكيانات وفيدراليات مشتركة بما فيها الولايات المتحدة، حيث يمثل الزنوج حوالي الخمس من عدد سكانها، ولا بدّ أن نتذكر بألم، ذلك الزنجي الأسود «كنغ» الذي تحوّل إلى كرة لحمية وعظمية تحت لطمات رجال الشرطة في لوس أنجلوس، فكادت الاضطرابات التي أشعلها السود أن تشبه ما يحصل أحياناً في فلسطين أو الشيشان أو حتى جنوب أفريقيا!!

لا بدّ أن نتساءل عن الحقائق التي تُخطط الدول العظمى على أساسها النظام الجديد للعالم؟ وهل لمبدأ العدل أي مكان في ذلك النظام الجديد؟!

لقد كان الاستهتار والاستخفاف من قبل العديد من الدول القوية، بحقوق الإنسان الضعيف، من الأسباب الأساسية لنشوء الصراعات الدولية، وكان الاستعمار (الاستدمار) الذي طال معظم بلاد العالم الضعيف، هو الشرارة الحقيقية، العابرة تاريخياً، والباقية ثقافياً، في معظم الصراعات، وسيظل، كما أثبتت أحداث غزو الاتحاد السوفيتي السابق لأفغانستان، وكما أثبتت أحداث الغزو الأمريكي اليوم لذات البلاد، طبعاً تحت مبررات مختلفة.

لقد عمل الاستدمار على تخلف هذه الدول الضعيفة وأمثالها، وذلك عبر نهب ثرواتها وتجهيل شعوبها وإغراقها في دوامات سياسية وثقافية متناحرة، أدّت بطبيعة الأحوال، إلى الإنقسامات، التي غذّتها الاثنيات والزعامات

والعصابات والمافيات، وأدّت في نهايتها إلى الصراعات الدموية التي فتحت الباب واسعاً للتدخل الدولي، تماماً، وأيضاً، كما حدث ويحدث في أفغانستان، ومما لا شك فيه أن ضعف الشخصية الوطنية وعدم تكامل الهوية الثقافية في معظم هذه الدول الضعيفة، كان من العوامل المساعدة للقوى الاستدمارية، على إيجاد المبرر للوصاية، ومن هذا نشأ التعبير المستخدم بشكل خاطىء حتى اليوم، وهو الاستعمار، والصحيح أن نقول الاستدمار.

إن نتيجة الصراعات الدامية وتفكك الدول وبخاصة المشتركة في إثنياتها، كدول آسيا الوسطى، ودول يوغوسلافيا السابقة، وإلى حد ما بلاد الشام، تدعونا لاستيعاب دروس التاريخ، ورفض الفرقة، باتجاه الوحدة على الأسس الخاصة بكل منطقة وبكل حضارة، أملاً بإلغاء المبرر للتدخل الأجنبي، الذي يقف بالمرصاد لكل خطأ، على أية رقعة من الكرة الأرضية، فنحن لا نزال نتذكر أن محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن أعطى المبرر لإسرائيل كي تغزو لبنان عام ١٩٨٢م، وهو الغزو المجرم الذي أدّى إلى مجازر صبرا وشاتيلا وآلاف القتلى والجرحى إضافة إلى الخسائر المادية التي فاقت مليارات الدولارات، كما أن اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي في ٢٠/١٠/ ٢٠٠١م هو الذي أعطى مبرر اجتياح المناطق الفلسطينية، كما أعطت العمليات الاستشهادية المبرر

لإسرائيل كي تدمر مقر عرفات وطائراته وأجهزة أمنه تمهيداً لطرده من فلسطين أو ربما تمهيداً لقتله واستبداله بآخر أقل شوكة. وتنطبق هذه القاعدة على أفغانستان بعد الأحداث المأساوية في أمريكا يوم الثلاثاء ١١/٩/ ٢٠٠١م، وستنطبق دائماً وأبداً فهذه هي سياسة الذئب باتجاه الفريسة.

لقد أثبت أحداث التاريخ أن الإنسان المطارد يتحول تدريجياً إلى وحش كاسر، يُسمى إرهابياً. وعندما تُفقَّر الأمم تتحول إلى بؤر إرهابية بكل الاتجاهات، وأكبر دليل على ذلك أن كوريا الشمالية والعراق وطاجيكستان والسودان وأفغانستان وأنغولا والكونغو وألبانيا وهاييتي تُصنف في نفس اللون، في المقابل تُصنف السويد وفرنسا وبلجيكا، في نفس اللون أيضاً. وكما جمع الفقر والخوف والتهريب، وسوء الإدرة والانقسامات، الدول العشر الأكثر بؤساً في العالم، فإن البحبوحة تميز الدول المقابلة. إذاً لتحسين الواقع الإنساني العالمي، لا بدّ من تحقيق العدالة الكونية وسيطرة القانون، لا بدّ من التخلي عن قانون الغاب وسيطرة سياسة «الكاوبوي»!!.

جانغي ـ حرق الأحياء!!

لا أحد يتصور أن يقول الرئيس الأمريكي عن مجموعات بشرية معينة «سيحرقون أحياء في مخابئهم». تُرى هل تملّص الرئيس الأمريكي من التزاماته الإنسانية والقانونية، كرئيس دولة أولاً ثم كرئيس للنظام العالمي الجديد، وبدأ يتصرف بعقلية الصياد وراعي البقر؟ يطرح هذا السؤال نفسه الآن وبشدة، لأن الإدارة الأمريكية بدت وكأنها تصوغ نظاماً عالمياً جديداً، وليس فيه أية مساحة لما كان يسمى سابقاً حقوق الإنسان أو حق الشعوب وتقرير المصير، أو حتى المواثيق الدولية والأعراف بين الشعوب.

هؤلاء الذين تحدث عنهم الرئيس الأمريكي «الأفغان العرب»، الذين حاربوا الاحتلال السوفيتي بدعم أمريكي، ولكن أيام كانت المعادلة الدولية بحاجة إليهم، واليوم لا هم مقبلين من بلادهم العربية لأسباب معروفة (ونحن هنا لا نتلكلم عن المحاربين من دول الجوار الأفغاني، بل عن العرب تحديداً)، ولا هم مقبولين من النظام الأفغاني الجديد أيضاً لأسباب معروفة، وليس أمامهم إلا الحرب

حتى الموت... منتهى المأساة، ومنتهى الخسّة العولمية أن يتحول الإنسان إلى عبد، يُباع ويشترى ويستخدم كالآلة ثم يموت محاصراً، لا لشيء إلا لأن النظام العالمي الحاكم في العالم هو مجرد أكذوبات تتغير من ساعة لأخرى، ومجرد معاهدات ووعود لا أمن فيها ولا أمان. هذا الكلام ليس دفاعاً عن أحد بالذات، ولكنه دفاع عن الإنسان بحد ذاته، ومن المدهش أن أمريكا وأوروبا وافقت على محاكمة المقاتلين النازيين «المجرمين» بعد سقوط ألمانيا وهتلر في الحرب العالمية الثانية، بينما ترفض أمريكا وترفض بريطانيا قبول أسرى من الأفغان العرب، ويرغب الرئيس الأمريكي أن يحرقوا جميعاً في مخابئهم..

كيف ستبرر الدول العربية السكوت عن موت هؤلاء العرب، مهما كانت جريمتهم، إما في السجون، عبر القتل البارد أو كما حصل في قلعة (جانغي) حيث قتل الجنود الأمريكان جميع المستسلمين، أو في المخابىء أو بسلاح تحالف الشمال، أو دهساً أو خنقاً أو عبر فنون قتل أخرى؟!!.

أين المعاهدات الدولية التي تنظم التعامل مع أسرى الحرب؟ وهل أصبح الأفغان العرب أسوأ من النازيين؟

ألا يخشى النظام العالمي الجديد، أو الذي تعده أمريكا بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، من أن يتحول هؤلاء إلى إرهاب متسلسل ضد المصالح الأمريكية والصهيونية في العالم!!

كيف نفّذت مجزرة قلعة جانغي؟!

واحدة من أكبر المجازر الحديثة خسة، تشبه إلى حد كبير مجزرة نيويورك يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١... حدثت المجزرة وانتهت، مات فيها أكثر من ٧٠٠ أسير، بطرقٍ تخلو من أي نوع من المشروعية أو الشرعية أو الإنسانية. فما أن تجمع الأسرى في قلعة جانغي التاريخية، قرب مزاري شريف، حتى هاجمت الطائرات الأمريكية القلعة بكثافة نارية عجيبة، حوّلت القلعة إلى أنقاض وحوّلت الأسرى إلى أشلاء...

عندما دعت منظمة العفو الدولية لإجراء تحقيق بمجزرة قلعة جانغي، رفضت الولايات المتحدة ذلك بشكل قاطع، تماشياً مع تصريح رامسفيلد «الشهير»: الطالباني الجيّد هو الطالباني الميت، ولا نريد أسرى...».

تُرى ما الفرق بين الإرهاب الذي فجّر الناطحتين في نيويورك وبين الإرهاب الذي فجّر قلعة جانغي في أفغانستان؟! إنه ذات الإرهاب وينبع من حقدٍ واحد ومن تربية واحدة ومن جذور واحدة...

مجازر!!

بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأمريكية، اتضحت معالم أزمة حقيقة بين العرب والغرب، بالمفهوم التاريخي والحضاري. فبينما تمكنت أمريكا من تحصين نظامها، القائم أصلاً على الإفك والقرصنة واستغلال الشعوب، سقط بعض العرب في هوة التناقضات والتشتت والانصياع القسري، فظهرت الأمة العربية وظهرت المنطقة العربية في أسوأ مظاهرها، لا سيما هي تتلقى الأوامر، وهي تتلقى الكدمات، فتارة تُؤمر الأنظمة العربية بالالتزام بقانون ١٣٧٣ تم بقانون ١٤٤١، وتارةً تؤمر بتغيير مناهجها التعليمية، وتارة تؤمر بتغيير لهجتها في مخاطبة الجلادين، وتارةً يُطلب منها التعاون على قتل أبنائها، وتارةً يُطلب منها شراء الأسلحة لتفقيرها وتارةً يُطلب مها الالتزام بالخط القانوني للعولمة التجارية والزراعية والثقافية والأمنية، وهو، الأمر الذي يحوّلها تدريجياً إلى مجموعة «أمرك سيدي»، بعد ذلك المجد العالمي والعطاء الحضاري للأمة العربية الذي سبق العالم وعلَّم العالم وأدّب العالم. . .

وباختصار، يدخل العالم العربي إلى مرحلة العولمة دخول الأذلاّء، وهذا أمر طبيعي، أن مرحلة العولمة، هي القطاف السياسي والاقتصادي، أو الكوني بشكل عام، للحرب العالمية الثانية التي دفع ثمنها الغرب ويقطف ثمارها الغرب أيضاً. وليس للضعفاء المهزومين ونحن منهم، أي نصيب من ذلك القطاف، بل على العكس تماماً فالغرب يستبطن للعرب أسوأ الكراهية وأسوأ النوايا، وهو الأمر الذي يظهر اليوم في مشاهد الخزي والعار في الأرض المقدسة، فلسطين، حيث تنفّذ إسرائيل نيابة عن الولايات المتحدة وعن الغرب، بالمفهوم التاريخي والحضاري، مهمة تدمير العرب وإذلال العرب وسحق العرب وإلغاء العرب بينما لا يزال بعض العرب يُقبّلون يد الجلاّد ويقتلون أبناءهم من أجله.

يُدرك الجميع، بدافع الحاجة الفطرية، أن القوة الغاشمة والظلم وتبييت الكراهية والقتل وما يُمارس الآن في فلسطين، لا يمكن أن يقابل بالسلام وغصن الزيتون وبالخنوع وعبر الوفود والاتصالات والرجاء والتزلم الانبطاح... فهذا كله مِن فعل المهزومين، أما القتل الظالم في تاريخ أمتنا، فيُقابل بالجهاد في سبيل الله لإزالته، وغني عن القول، بأن الجهاد يُقدّر بالحاجة وما يُزيل الظلم، فإذا كان الجهاد قد فُرض لحماية الإنسان من جور الإنسان لحماية فكره وماله وعرضه وأرضه ودينه

وحضارته، فكيف لا يكون هو الواجب الآن وقد انتهكت إسرائيل فكرنا ومالنا وعرضنا وأرضنا وديننا وحضارتنا، واعتبرتنا مجرد حيوانات تسوقنا كيفما تشاء؟!...

إن ما يجري الآن في المنطقة العربية وفي الصراع العربي الإسرائيلي، يصلح لأن يكون درساً نموذجياً في الجبن والاستخذاء فالقمة العربية في بيروت قدّمت سلاماً ناجزاً لإسرائيل، وإسرائيل ترد عليه بالقتل والتدمير والاستخفاف، ورفض القوانين الدولية والمواثيق والاتفاقات والتعهدات والمعاهدات والاتصالات والرجاءات والتوسلات... كان الأولىٰ أن يكون خطاب القمة مصحوباً بالردع، بأشكاله، ما لم تلتزم إسرائيل بالسلام، وهذا ما جعل الصهاينة يستهترون بما قدمه العرب، ولهم أن يفعلوا ذلك، فإذا غاب الراعي حضر الذئب وفَعَلْ.

المشهد اليوم في الأرض المحتلة يُشبه تماماً مشهد الحرب الكاريكاتورية التي حدثت بين العرب والصهاينة عام ١٩٤٨: الدبابات الأمريكية الصنع تدهس الشعب الفلسطيني دون تمييز، الطائرات الأمريكية التقنية والصواريخ الذكية تدمر البيوت والمدن والأطفال والعجائز عشوائياً، تماماً كما فعل الصليبيون في بيت المقدس منذ ألف عام، أكثر من مائة ألف جندي صهيوني يعيثون فساداً في الأرض المقدسة، عن قصد وتصميم، لإذلال العرب وسحق كرامتهم، ولجعلهم عبرة لمن اعتبر... والولايات المتحدة

على لسان رئيسها بوش تتفهم ما يقوم به شارون وتدعمه تفوض الجنرال زيني بالإشراف على تنفيذه وأسر أو قتل ٦٥ ألف جندي فلسطيني كانوا في الشرطة الفلسطينية في سلطة المناضل عرفات، الذي يُحاصر في غرفة مظلمة مع رجاله، ويلتفّ من حوله ناشطو السلام الأوروبيون، وليس من بينهم عربي واحد!!.

قال وزير خارجية عربي، إنه يثق بالجنرال زيني، لأنه يعرفه شخصياً.

قال «زيني»، أنه لا يثق بعرفات، وإنه يثق بشارون.

قال «بيتر برمونت» الصحفي في الأوبزرفر البريطانية أن الجنود الصهاينة يقتلون بالدم البارد خمسة من رجال عرفات برصاصة في الرأس في رام الله المحاصرة.

قالت الوكالات أن آلاف القتلى والجرحى من الفلسطينيين سقطوا ويسقطوا بنيران الصهاينة، وتمنع إسرائيل الأجهزة الصحية المحلية والدولية من إسعافهم أو حتى دفنهم. . .

يريد شارون أن يساوي، فوق الأرض العربية، بين الأحياء والأموات، يريد أن يعلم العرب أنه ملك إسرائيل الجديد، القادر على منعهم من دفن موتاهم، فماذا سيفعل العرب؟!.

قال أسامة سرايا رئيس تحرير مجلة الأهرام العربي،

في مقابلة تلفزيونية، أنه يطلب من الشعوب العربية وبخاصة من المصريين الابتعاد عن التهييج العاطفي، والتظاهرات الخاوية من المعاني العقلانية. وهنا تكمن الطامة الكبرى، طامّة الإعلام العربي الراقص على أنغام الذبح الشاروني لإخواننا الفلسطينيين، الإعلام العربي الذي فشل أيام الهدنة في عرض القضية العربية ويفشل أيام القتل في عرض القتل، ومما يندي الجبين أن أكثرية القنوات الفضائية العربية لا تزال تبث برامجها العادية، وكأن القتل وانتهاك الكرامة في لأرض المحتلة لا يعنيها، مما يؤكد سقوط الإعلام في هاوية الخطة المرسومة للاستسلام.

قال متصل بقناة الجزيرة الفضائية: أين الزعماء العرب من الدم الفلسطيني... لماذا لا تفتح دول المواجهة الحدود، وتُمكّن المناضلين من نصرة إخوانهم في فلسطين؟

قال متصل آخر: إذا كانت الجيوش العربية غير قادرة على حرب إسرائيل، فهل تحمي الحدود الإسرائيلية ولا تسمح للمجاهدين بالوصول لنجدة إخوانهم؟

قال متصل آخر: هل تُبنى الجيوش العربية منذ نصف قرن لحماية إسرائيل؟

قال صحفي اتصل من لندن: أنفقت الأنظمة العربية على تسليح جيوشها، منذ نصف قرن حتى الآن، أكثر من ١٥ تريليون دولار، فما فائدة هذه الجيوش إذا لم تكن

لإنقاذ الكرامة العربية من مثل مجازر شارون وزبانيته؟

نعم نحن لم نشهد نكبة ٤٨، حدّثونا عنها، ولكننا نشهدها اليوم بأمّ العين، نرى كيف ضاعت فلسطين بالأمس وكيف تضيع اليوم، نرى بأم العين كيف نصنع من أعدائنا أبطالاً ومن أبطالنا أنذالاً، وكيف نعملق الجندي اليهودي الجبان، وكيف نقزّم الجندي العربي البطل.

مشاهد النكبة الجديدة، وما تفرضه من تحديات تجعلنا نفكر ملياً بسياساتنا الاقتصادية والسياسية... ما معنى أن تعيش بعض الدول العربية على المساعدات الأمريكية، بينما تدعم بعض الدول العربية الاقتصاد الأمريكي؟ ألا يعني ذلك جعل المحصلة العربية صفراً؟ لماذا لا يقطع العرب كل علاقاتهم التجارية بإسرائيل، ثم بالولايات المتحدة؟ أليس في الدنيا غير أمريكا، وهي التي تصرّ، بالعلن، وعبر خطابات رئيسها بوش على إذلالنا بدءاً من الاستخفاف بحضارتنا إلى الاستخفاف بمناهجنا التعليمية والدينية، ألم يقل بوش، ألم يقل كوفي عنان رئيس الدبلوماسية الدولية أن مناهجنا هي التي تولد الإرهاب؟

أيها العرب، إذا لم تكونوا أقوياء في وجه أعدائكم، فلن تكونوا محترمين في أروقة السياسة العالمية وأمام أعدائكم، وإذا لم تدعموا سلامكم بقوة اقتصادكم وجيوشكم وشعوبكم، فلن يجدي السلام، لأن النظام العالمي الجديد، لا يفهم لغة السلام، وإسرائيل لا تعيش

إلا في أجواء الحرب والإرهاب (*)، ويكفي أن نأخذ القوة والعبرة من مواقف وصمود إخواننا في فلسطين، ذلك الصمود الذي بدأ يتحول إلى أمل كبير، بأننا لا نزال على قيد الحياة. . .



(١) يُنشيء الصهاينة أطفالهم الآتين من جذور أكثر من ١٠٠ قومية على أمرين: أنهم في خطر من الإنسان العربي الفلسطيني، وأن عليهم الإندماج سوياً (ضمن تربية الاستعلاء) لقتال هذا الإرهابي المتمثل في مجرد وجوده، ولتحقيق هذه التربية يُرسل الصهاينة أطفالهم إلى (الكيبوتزي) لتنفيذ مراحل التربية اليهودية النموذجية. . .

أسرار الغُزاة!!

طلب الرئيس جورج بوش الابن إلى مقاتليه اقتحام جبال ومغاور أفغانستان، والوصول إلى التركيبة السحرية التي يملكها الملاّ محمد عمر، والتي تجعله يتحدى أكبر قوة في العالم، الولايات المتحدة الأمريكية، مع كل المتحالفين معها من شمال العالم وجنوبه.

قال أحد الخبراء بالشأن الأفغاني، أن التركيبة السحرية تكمن في أن الأفغان اعتادوا الحرب واعتادوا الغزوات واعتادوا الموت والتشرد، مما يُفسر السقوط السريع لطالبان والانتصار الساحق للأمريكان.

توم كارو، مظلي وخبير عسكري في القوات البريطانية الخاصة التي شاركت مع المجاهدين الأفغان في حربهم ضد السوفييت في أوائل الثمانينات، قال بصراحة عن الأفغان اليوم: «هم أفضل المقاتلين على أرضهم»، وقد أشاد بأدائهم في حرب العصابات ودوّن تجربته معهم في كتاب بعنوان: (الجهاد، الحرب السرية في أفغانستان) (Jihad, the secret War in Afganistan) ويرى كارو أن مهمة

القوات الأمريكية وحلفائها لن تكون سهلة، بل قد لا تكون ممكنة حتى بعد دخول كابل. مما يجعل المرء يتساءل عن إمكانية عودة حرب العصابات ضد الأمريكان بعد سقوط طالبان. وهذا ما حدث فعلاً حيث أعلن قلب الدين حكمتيار الجهاد ضد القوات الأمريكية في أفغانستان.

قال خبير آخر بالشأن الأفغاني أن الولايات المتحدة لم تتوقف عن مفاوضة طالبان والاتفاق معها على الشأن الاستراتيجي في آسيا الوسطى لاسيما وأن أسامة بن لادن كان يُعالج بأحد المستشفيات الأمريكية قبل انفجار مركز التجارة العالمية والبنتاغون بأشهر قليلة وأضاف ذلك الخبير، أن طبيب بن لادن كان مفاوضاً أمريكياً أيضاً!!

قال بيل ريتشاردسيون مبعوث الرئيس كلينتون إلى أفغانستان: دخلت للقاء الملاّ محمد عمر، فلم يسلّم عليّ، ولم يتحدث أبداً لا في بداية الاجتماع ولا خلاله ولا في نهايته، كان يجلس إلى جواره نائبه، الملاّ محمد رباني، وهو الذي يتحدث... كان هذا الاجتماع هو أغرب اجتماع في حياتي، وقد انتهى الاجتماع ولم يصافحني منهم أحداً. انتهى كلام ريتشاردسون، السفير الأمريكي السابق في الأمم المتحدة، والمبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي إلى الملاّ محمد عمر، ويبدو من السرد، أن الملاّ محمد عمر كان يتقزز من الأمريكان.

المفارقة العجيبة حقاً أن الولايات المتحدة قصفت أفغانستان بكل أنواع الأسلحة، وأنزلت لها المعونات

الغذائية في نفس الوقت، وربما من نفس حاملات الطائرات أو على نفس الطائرات المغيرة، ألا يبدو ذلك مشابهاً للمساعدات الأمريكية لإسرائيل البالغة نحو سبعة مليارات دولاراً. بينما تبيع أمريكا سنوياً أسلحة متطورة للدول العربية بنفس المبلغ تقريباً، ألا يُعتبر ذلك غريباً، تماماً كادعاء أمريكا بأنها ضد طالبان وهي التي عملت على تأسيسها، وبأنها ضد الأفغان العرب وهي التي درّبتهم، وبأنها ضد الإرهاب، وهي التي علّمت العالم الإرهاب، ثم صدّرته من جديد بأشكال جديدة، آخرها إعلان الحرب الشاملة على العراق والشرق العربي دفعة واحدة.

والآن، وبعد سقوط طالبان وتنصيب دولة جديدة في أفغانستان، هل تظل دورة العنف هي الأساس لحقبة الربع الأول من القرن الحادي والعشرين؟ أم سيتنبه العالم وستتنبه أمريكا إلى أن الإرهاب لا يولد إلاّ إرهاباً، وأن العنف كرأس الشيطان، لا يفرّخ سوى العنف، وأن المأساة ستجر المأساة؟!

والآن، وبعد نجاح القوة الأمريكية في السيطرة على الأجواء الأفغانية، وعلى الأجواء العراقية، هل ستنجح الإدارة الأمريكية في إدارة الأزمة الإرهابية، وإخراج العالم من أتون الانفجار إلى منطق السلام والتنمية والعدالة، وهي الادعاءات التي تتسلح بها الإدارة الأمريكية؟. إن منطق الرئيس بوش لا يُبشّر بذلك!!

لعنة الشرق!!

تاريخ اليهود تاريخ مجموعات تجارية لا أخلاقية، تؤمن بضرورة تفكيك المجتمعات البشرية بالرذيلة والمال والنساء والمخدرات والجريمة والإرهاب. وهو تاريخ أسود تميز بالأنانية والتمايز على بقية شعوب الأرض، وتاريخ اليهود الذي نعرفه ونتحدث عنه اليوم ليس هو تاريخ بني إسرائيل من أتباع الأنبياء وأسباطهم، ليس تاريخ النبي سليمان وبلقيس ملكة سبأ التي وصفها القرآن: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٤٤]... ولذلك فلا بدّ من الحديث عن صهاينة اليوم كعصابة إجرامية مضادة للإنسانية جمعاء لا أتباع النبي إسرائيل كما يدّعون.

ولنعلم أن الصهاينة إما يريدوننا عبيداً أو عمالاً، لا شركاء ولا جيران: قال بيريز مهندس الشرق أوسطية: «نريد شرق أوسط جديداً بعقل يهودي وعمالة عربية». وهذا تقريباً ما قاله عاهل المغرب الراحل، أن الشرق الأوسط الذي يحلم به، هو الذي يجمع العبقرية اليهودية إلى الثروة العربية...

عندما تحوّل اليهود إلى خطر لا يمكن تلافيه على أخلاق واقتصاد ومستقبل المجتمعات الأوروبية، طردت هذه المجتمعات اليهود بشكل كلّي ومنظم وقانوني لتتمكن من إقامة مجتمعاتها الوطنية الخاصة ولتتخلص من الإرهاب اليهودي المنظّم. تقول الموسوعة البريطانية: أن بريطانيا طردت اليهود عام ١٣٢٠م في عهد الملك إدوارد الأول. وطردتهم فرنسا عام ١٦٠٣م في عهد الملك فيليب بعد مصادرة أموالهم وثرواتهم، ثم طردتهم عام ١٣٩٤م، ثم طردتهم عام ١٦٨٢م. وطردتهم المجر عام ١٣٦٠م، وطردتهم تشيكوسلوفاكيا عام ١٣٨٠م، ثم طردتهم النمسا عام ١٤٢٠م، وطردتهم هولندا عام ١٤٤٤م، وطردتهم إسبانيا عام ١٤٩٢م، وطردتهم ألمانيا عام ١٥١٠م، وطردتهم إيطاليا عام ١٥٤٠م...

ولم تسمح السويد بدخول اليهود إليها حتى عام ١٧٨٢م.

ولم تسمح الدنمارك بدخول اليهود حتى عام ١٧٠٠م.

ولم تسمح النرويج بدخول اليهود حتى عام ١٨١٤م.

ولهذا الطرد الجماعي لليهود دلالة عالمية وهي أن الأنظمة في هذه الدول قد اكتشفت مراراً وتكراراً مخططات اليهود الإرهابية للقضاء على المدنية والتمدن لصالح آمالهم ومنظماتهم المالية الإرهابية، وهذا ما جعل اليهود يخططون

لفكرة الانتقام من العالم، ونظّمت الحركة الصهيونية لذلك الانتقام، فقادت الثورة الفرنسية للقضاء على فرنسا، وفككت ملكيات أوروبا وروسيا والشرق للقضاء على الاستقرار في هذه المناطق. ونشرت الرذيلة والدعارة والكذب والغاية تبرر الوسيلة، تحت شعارات حقوق الإنسان والماسونية وما شابه. . . لذا قرر العالم أن يتخلص من اليهود، وخطط لحصرهم في فلسطين تمهيداً لإبادتهم على ما يبدو من السياق التاريخي فآخر معركة لليهود قبل فنائهم ستكون مع المسلمين في فلسطين. . وما دعم الولايات المتحدة الأمريكية لصهاينة إسرائيل إلا لتحطيم القوة العربية بالقوة الإسرائيلية وتحطيم القوة الإسرائيلية بالقوة العربية انتقاماً للتاريخ القديم!!

حاييم وايزمان اعتبر الإنسان العربي عنصراً منحطاً يحاول الجري قبل أن يستطيع السير، وهذا ما ورد في رسالته إلى ألبرت أينشتاين عام ١٩٢٩. ولم ير المفكر الأميركي هوراس كالن، العربي إلا في صورة شيخ القبيلة من صحراء النقب يحمل هو وأولاده ساعات مستوردة لا تبين الوقت، كما يضعون أقلاماً لا يستعملونها في جاكيتات غربية يرتدونها فوق جلابيبهم، أما وظيفتهم الأساسية فهي تهريب الحشيش.

ويُظهر الإعلام الغربي والصهيوني العربي بأنه شهواني غبي بطين وجبان، كل همه النساء والفحش والسفر، ويظهر

اليهودي في المقابل بصورة البطل المناضل المخترع المؤمن، محب للسلام، الذي تعرض للمجازر طيلة تاريخه الطويل، وما تصريحات وإفك الرئيس بوش الابن حول حب المجرم شارون للسلام واعتباره رجل السلام إلا من هذا القبيل الكريه.

ولئن نجح التأريخ الغربي والصهيوني في تشويه التاريخ الشرقي، ونجح الإعلام الغربي والصهيوني في تشويه الشخصية العربية ـ العرب في نظرهم إرهابيون واليهود ضحايا ـ فإن الدنيا تتغير، المفاهيم لا بد وأن تنقلب رأساً على عقب وبخاصة بعد ثورة المعلومات وبعد انهزام الصهاينة من جنوب لبنان، على يد المجاهدين الأبرار، وبعد الموت اليومي للصهاينة الذي نشهده في فلسطين في كل ساعة.

ولئن رغب البعض من العرب إنهاء الصراع بالمعاهدات والوعود وعبر الأمم المتحدة وهيئاتها العاجزة المتهاوية، فالأجيال ليست مرغمة على قبول ذلك، وليست في وارد قبول الهوان وتقديم الرقاب رخيصة للقصابين، فالتاريخ قد أخبرنا بكيد اليهود وكيد من يسيرون في ركابهم، ممن هم من أبناء جلدتنا ويتحدثون بألسنتنا ونعرف منهم وننكر.

إن إصرار أوروبا وأمريكا على أكذوبة أمن إسرائيل هو أيضاً إصرار تاريخي على إبعاد اليهود ما أمكن عن أوروبا وأمريكا، لأن اليهود تاريخياً هم قوة ودمار هائلة

للمجتمعات، وهذا ما يدركه جيداً المفكرون في أوروبا وأمريكا. ولذلك تركز الجهد الأوروبي بعد سقوط الأندلس، وإجلاء اليهود عنها عام ١٤٩٢، أي عام سقوط غرناطة، على إيجاد المكان المناسب لإبعاد اليهود إليه، فكانت فلسطين هي المكان الذي يحقق لأوروبا قبل اليهود عدة أهداف مجتمعة: الانتقام من الشرق ثم التخلص من اليهود، وحصرهم في مكان واحد يسهل التعامل معهم فيه، بل ويسهل استخدامهم فيه...

كان نابليون بونابرت هو أول من أعطى لليهود وعداً بإقامة دولتهم في فلسطين وذلك قبل حملته الاستدمارية على مصر والشام عام ١٧٩٨م، التي أفنى خلالها ١٢٪ من الشعب المصري، واقترف خلالها في حيفا أبشع مجزرة مؤرخة في التاريخ الحديث، تشبه إلى حدٍّ ما قتل الأسرى المصريين في سيناء بعد حرب العار في حزيران ١٩٦٧، ودك مخيمات جنين على أهلها بعد انتفاضة الأقصى المباركة... ثم تبعه نابليون الثالث (١٨٥٢ـ ١٨٧٠)، الذي وعد اليهود بفلسطين وأمدّهم بالخطط والمنافذ للقضاء على قوة العثمانيين المحافظين على القدس بيد من حديد. بعد الفرنسيين جاء بسمارك بمعاهدة برلين ١٨٧٨ ليسهل تكوين الدولة اليهودية بإسقاط القوة العثمانية، ثم جاء وعد بلفور ١٩١٧ وكرت المسبحة، وقامت إسرائيل، ولكنها ستظل في صراع دائم وسنظل معها في صراع دائم، لأن

طبيعة التاريخ لا تحتمل السكون بين الخير والشر(*).

عند التأمل الدقيق في إيلاف الصراعات السابقة نجد أنها صراعاتٌ عسكرية وثقافية وسياسية كان هدفها تركيع الشرق والقضاء على حضارته، واستعباد الإنسان الشرقي وإفقاده حريته، كما نجد أن القدس كانت مركز تلك الصراعات جميعاً: رسالة إبراهيم من القدس، المسيحية من القدس والإسلام في القدس. اليهودية تدعي القدس، ويقال أن المعركة الأخيرة بين اليهود والمسلمين ستكون في أكناف بيت المقدس، وهذا ما فهمه الكاتب الألماني «أرنست جاخ» عندما قال: «إن الحرب تأتي من الشرق والحرب ستندلع بسبب الشرق وتحسم في الشرق». ومهما كان تعريف الشرق، وسواء قيل الشرق الأدنى، أو الشرق الأوسط، أو الشرق العربي، فنحن الشرق، وبنا يُعرف الشرق والشرق لنا، أخذناه بدمائنا ونحن في رباط دائم إلى يوم القيامة للمحافظة عليه. وعلى الكيان الصهيوني أن يدرك أن مصيره لن يكون بأفضل من مصير الصليبيين في الشرق، ولا أفضل من مصير الفرنسيين في المغرب العربي، وننصح الصهاينة بتجديد جوازاتهم، وحجز تذاكر (وان وي) إلى بلادهم الأصلية، ففلسطين لأصحابها مهما طال الصراع. وإيلاف العرب هو إيلاف الصراع...

(*) يُحال القاريء ط: الإرهاب الخفي صفحة ٣٨٨.

القسمة والتقسيم!!

نسمع ما يُقال في البرلَمانين الأمريكيين فنُعجب، ثم نرى ما تفعله الدولة الأمريكية في العديد من دول العالم فنتعجب... النظريات تقول بأن الديمقراطية وحرية الشعوب هي في أولويات النظام الأمريكي، بينما الأفعال تقول عكس ذلك، وبخاصة عبر تقرير «ماكس زينغر» في معهد هدسون للدراسات الاستراتيجية، والمقرّب من الرئيس بوش، وعبر ما خطط له رجل الموساد «عوزي أراد» في معهد هرتزليا، المقرّب من نتنياهو المجرم.

وإذا كان النموذج العراقي هو القسمة على ثلاثة، فإن النموذج الباكستاني والكوري والقبرصي كان بالقسمة على اثنين فقط. ويبدو أن الاتفاق الروسي الأمريكي عام ١٩٤٥ على تقسيم كوريا إلى كوريتين يفصل بينهما خط العرض ٣٨، هو ذاته الاتفاق على فصل العراق إلى ثلاثة «عراقات»، على ما في هذا التصور من أخطار قد توصل العالم إلى شفير الهاوية..

والمؤسف حقاً أن الدول الكبرى، وحدها، بعيداً عن الشعوب هي التي تقرر مصائر هذه الشعوب عبر مجموعة من الاتفاقيات السرية التي تنفذ على نار هادئة، وزمن يصل

إلى عشرات بل مئات السنين.. فالهند قد قسمت على اثنين إلى الهند والباكستان، والباكستان قسمت على اثنين إلى الباكستان وبنغلادش، والباكستان قد تقسم قريباً إلى اثنين على الأقل حسب نتائج الصراع الهندي الباكستاني، وحسب معرفة الجنرال مشرّف بالحسابات السياسية وتنفيذه لمقتضياتها . . .(*)

تاريخ القوة في العالم تاريخ أسود، ويمكن تعميم هذا المبدأ على كل قوة لا يحكمها الحق، فقد تمادت اليابان قديماً في بداية القرن العشرين واحتلت منشوريا وضمت كوريا عام ١٩١٠، وعندما سقطت اليابان في الحرب العالمية الثانية قسم المنتصرون كوريا إلى شمالية لروسيا وجنوبية لأمريكا يفصل بينهما الخط ٣٨، ثم تصارعت أمريكا وروسيا على السيطرة على كوريا في حرب السنتين ١٩٥١، ١٩٥٢ (تقريباً كحرب السنتين في لبنان (**) ١٩٧٥، ١٩٧٦)، التي أسفرت عن مأساة مقتل حوالى

(*) من مخطط المستشرق الصهيوني لويس برنارد (أستاذ هنتنغتون) الذي نشره في مجلة E.I.R.P. الصادرة عن وزارة الدفاع الأمريكية: ضمّ إقليم بلوشستان الباكستاني إلى مناطق البلوش المجاورة في إيران، وإقامة دولة بلوشستان وضمّ الإقليم الشمالي الغربي من باكستان إلى مناطق البوشتونيين في أفغانستان، وإقامة دولة بوشتونستان.

(**) يحلم الصهاينة بتقسيم لبنان إلى دويلة مسيحية، دويلة سنية، دويلة شيعية، دويلة درزية ودويلة علوية. والأردن إلى دويلتين أحدهما للبدو والأخرى للفلسطينيين (الدولة الفلسطينية التي يخطط لها شارون).

أربعة ملايين كوري معظمهم من المدنيين الأبرياء، إضافة إلى مقتل مليوني صيني و٥٥ ألف أمريكي.

وبعد تفتت الاتحاد السوفييتي، بدأت كوريا الشمالية بالتفتت أيضاً وبدأ الجوع يدب في أوصال الكوريين، فالملايين منهم يموتون من الجوع والتلوث والجريمة... وحدّث ولا حرج عن بقية المآسي المرتبطة بالجوع والتلوث والجريمة في العالم.

إن جريمة الاحتلال، وبالأخص احتلال القوي للضعيف، كما في فلسطين وكوريا وعشرات النقاط الساخنة في العالم، هي الجريمة التي يجب على الإنسان المتحضر أن يحاربها، وعلى الأحزاب والمنظمات الإنسانية والخضراء أن تضع في أولوياتها نجدة الإنسان الضعيف من الإنسان القوي، فالقوة بغير الحق شيطان ديناصوري مرعب، لا بد من استخدام التقنيات الحديثة والأفكار الحديثة لتعطيل قواه، ثم لتفتيته وإلغائه من التاريخ الإنساني، وإلاّ سنظل نكذب على أنفسنا بحرصنا على الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، والقوي منّا يزرع الظلم والاستبداد ويقوّي الظالم المستبد، لا لشيء، إلا لأن الظلمة أقرباء، تربطهم القربى وتجمع بينهم طبائع الأشياء...



يُقال ويُقال

يُقال: حوالى ٢٠ شخصاً من المجهولين حتى الآن، خطفوا ٤ طائرات مدنية أمريكية، واقتحموا برجي التجارة العالمية في نيويورك والجزء الخاص بقيادة الجيش الأمريكي في البنتاجون، ويُقال إن الطائرة الرابعة كانت موجّهة إلى البيت الأبيض أو إلى طائرة الرئيس بوش ولكن العملية فشلت. . .

ويُقال: كانت الكارثة رداً على صمت الولايات المتحدة رغم قدرتها الأكيدة على إيقاف المجازر، في رواندا وفلسطين والكثير من بقاع الأرض.

ويُقال: الكارثة كانت رداً على القصف الأمريكي النووي لمدينتي هيروشيما ونجازاكي، حيث قصفت الولايات المتحدة أرواح ١٠٠٠٠٠ إنسان ياباني في المدينة الأولى وقصفت أرواح ٨٠٠٠٠ إنسان ياباني في المدينة الثانية.

ويُقال: كانت الكارثة رداً على ضحايا مجازر ومقابر

كمبوديا، وبخاصة الذين دفنوا أحياءً. ويقال إنها كانت رداً على انسحاب أمريكا من مؤتمر ديربان وعدم تقيدها بل واستخفافها بالمعاهدات البيئية وبخاصة معاهدة كيوتو..

ويُقال: إسرائيل هي التي هاجمت أمريكا عبر الإرهاب العالمي لخلط الأوراق تمهيداً لاحتلال كل فلسطين وطرد كل الفلسطينيين إلى الأردن، لأن شارون جاء لهذا الغاية والشعب الصهيوني من ورائه وأمريكا تؤيده بالمطلق!!

ويُقال: ابن لادن هو الذي خطط لهذه الكارثة.

ويُقال: المعركة الأمريكية ضد الإرهاب العربي ـ الإسرائيلي غالباً قد تستمر لعشرات السنين، وأن الحرب ضد أفغانستان والعراق هي المرحلة الأولى...

ونقول: لقد بدأت عملية احتلال العالم وإعادة انتشار القوات الأمريكية في العالم بعد عملية ٢٠٠١/٩/١١م، وهنا يبدأ التاريخ الأمريكي من جديد بعد أن انتهى بالفشل الذريع في قيادة العولمة حتى بداية القرن الحادي والعشرين.

كل العواطف وكل التعازي القلبية لضحايا المجزرة في أمريكا ولأهالي المصابين فالعملية مرفوضة بهذا الشكل، من كل الأديان وفي كل الأعراف والأخلاقيات وبخاصة في البرجين!!

وقعت الواقعة على نيويورك وواشنطن في ٢٠٠١/٩/١١م

فسقط العملاق «بلكزة» صغيرة، وانتبه العالم إلى ولادة المرحلة الجديدة من التاريخ... انتبه العالم إلى استهتار القوة العظمى بقضايا الشعوب المضطهدة وبخاصة في الشرق الأوسط، مع إصرارها على القبض بيد من حديد على زعامة العالم ودعم الصهاينة فيه. وبدأت تتعالى الصرخات المدوية هنا وهناك في العالم: من المجرم الذي فجر أمريكا؟!

من أسقط القوة عن عرش القوة؟ وإلى أين ستتجه البشرية بعد اليوم؟! من أهم التساؤلات التي بدأت تتعالى ما يتعلق منها بماهية الإرهاب بنظر أمريكا، وهل مقاومة المحتل إرهاباً؟ وهل كان الأفغان على حق عندما كانوا يحاربون الاتحاد السوفييتي بقيادة أمريكية؟ وكيف أصبحوا فجأة على باطل عندما بدأوا يحاربون أمريكا؟

وللكثيرين الحق بالتساؤل عن سبب ارتباط العالم كله، اقتصادياً وأمنياً وسياسياً، بالولايات المتحدة، بحيث يهتز كل شيء فيه بمجرد اهتزاز منهاتن. ألا يجب على العالم أن يفكر بصيغة جديدة لنظامه الجديد؟ ثم من أعطى لهذه القوة هذا الحق الشمولي بالتصرف بالعالم: قصفاً وتدميراً وتهديداً ووعيداً؟ ثم إذا كانت أمريكا غير قادرة على كشف الإرهاب عليها شخصياً، فكيف سيثق العالم بأنظمتها لتوفير الأمن للعالم؟ ولنتصور أن الإرهاب العالمي قد قرر تفجير العالم نووياً، فهل سيتمكن أم لا؟ وقد يجيب العقل

بالإيجاب، والواقع يشهد بذلك، فأين إذن أجهزة المخابرات والاستخبارات الأمريكية، التي تطلب الهيمنة على العالم بل وتطلب التنازل عن السيادة القطرية لصالح العولمة إذا كانت غير قادرة على كشف مؤامرة إرهابية على قلبها النابض: البنتاجون ومركز التجارة العالمي وربما طائرة الرئيس بوش وحقيبته النووية!!

لقد آن الأوان أن يتحاور العالم بوضوح، فإما أن تتحمل أمريكا مسؤوليتها كقوة كبرى، بنجاح وقدرة وعدل، وإما أن تترك أمن الشعوب للشعوب، وحق تقرير المصير لأصحاب المصير، مع التخلي طبعاً عن العهر السياسي والقرصنة والكيل بعدّة مكاييل حسب الأهواء والمصالح. وأول مثال في إسرائيل التي تدعمها أمريكا مع أنها رأس الحربة في العنصرية ومعادات الإنسانية واحتقار حق الشعب الفلسطيني واغتصاب وطنه بل وسجنه في وطنه حتى الموت...

هل نعتبر محمد شاكر حبيشي إرهابياً؟ وهو الذي فجّر نفسه في محطة القطارات في نهاريا في ٢٠٠١/٩/٩م، فقتل ثلاثة صهاينة، وجرح نحو أربعين منهم، انتقاماً من مجازر شارون وتأكيداً على حقه في وطنه؟!

هل نعتبر الموسوي إرهابياً؟ وهو سيد الشهداء عند اللبنانيين، حارب الصهاينة المحتلين، حتى النصر المبين، وأكمل بعده حزب الله المقاومة والنضال؟

هل ننسى أن أعداء الولايات المتحدة هم في كل العالم المتضرر من هيمنتها ومن انتصاراتها وقوتها وبطشها، من الجيش الأحمر الياباني، إلى البلقان، إلى الفلبين، إلى كوبا وبنما وأمريكا الجنوبية، إلى العراق والسودان والأفغان، إلى العديد من معارضي العولمة الأمريكية... ثم أن العدو الحقيقي لأمريكا القوية هم الصهاينة أيضاً، الذين يريدون أمريكا الخاضعة لنفوذهم لا أمريكا المانحة للنفوذ والحماية. السؤال الكبير المطروح الآن: لماذا لا يُفكر الأمريكان بأعدائهم الكثر الموزعين على معظم أرجاء الأرض، ويحصرون تفكيرهم بالعرب والمسلمين، وبخاصة بالجماعات الإسلامية؟!

ألا يخطر بالبال أن المستفيد الأكبر من هذه الكارثة في أمريكا هي أمريكا ذاتها؟ ألا يخطر بالبال أن هذه الكارثة ستعطي المبرر الداخلي والعالمي لأمريكا لإعادة هيمنتها على العالم، بالشكل الذي يتناسب مع القرن الحادي والعشرين، وبالشكل الذي يتناسب مع المستجدات على الساحة الدولية، وبخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة وبروز أمريكا كقوة قائدة للعولمة ولأنظمة السوق ومنظومة الليبرالية الانتقالية؟! ألا يمكن أن تكون الكارثة الأمريكية في ١١/٩/٢٠٠١م هي تنسيق من نوع ما، لإعادة خلط الأوراق، حيث إن السياسة لا تعرف إلا السياسة؟!

في الجهة الأخرى لماذا لا تكون إسرائيل قد نفذت

الكارثة، أليست إسرائيل هي التي قصفت سفينة «ليبرتي» الأمريكية عام ١٩٦٧؟! أليس في تاريخ إسرائيل مثل هذه الأفعال الإرهابية، بل ألم تقم إسرائيل أصلاً على الإرهاب؟! (*)

من الذي صوّر الطائرة الأولى التي ضربت البرج الأول في نيويورك؟ ولماذا ابتهج الإسرائيليون بنجاح الضربات على أمريكا؟ ولماذا رحّلت أمريكا ٥٠ إسرائيلياً من نيويورك إلى إسرائيل بعد الكارثة؟

من يستطيع قيادة طائرات ٧٥٧، ٧٦٧ العملاقة وبهذه الدقة الخيالية؟

ولماذا لم تُسجل أية محاولات من الطيارين الأصليين للطائرات المخطوفة ضد الخاطفين؟ كيف يتمكن الخاطفون من خطف ٤ طائرات بواسطة السكاكين؟ وأين تقنيات حماية مقصورة القيادة؟ ثم والأهم من كل ذلك من هم الطيارون الأصليون، ولماذا لم نسمع عن تاريخهم؟!

(*) ألم يكن مناحيم بيغن زعيماً «للأرغون»، أقبح عصابة إرهابية عرفتها المنطقة؟! ألم تذبح العصابات الصهيونية الإرهابية (شتيرن والأرغون) ٢٥٥ رجلاً وامرأة وطفلاً في ٩/ ٤/ ١٩٤٨ بدير ياسين؟! وماذا حدث في بلدة الشيخ التي داهمتها الهاجاه في ٣١/ ١٢/ ١٩٤٧ وماذا حدث في صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢، وفي بلدة جنين عام ٢٠٠٢ وآلاف الحوادث الأخرى؟!

هل تعاون المطار مع الخاطفين في تنفيذ الكارثة؟ هل تمكن المختطفون من تنفيذ ١٠٠٠ ساعة طيران والحصول على شهادة F.A.A. لقيادة الطائرات المخطوفة؟ ومن دربهم وأين ولماذا ومتى؟!

لقد لعبت أمريكا بنار الإرهاب فاكتوت بتلك النار، هذا إذا ما استبعدنا فكرة الإرهاب الداخلي المحض. واليوم لماذا لا تجرؤ الولايات المتحدة على تحديد المعنى الحقيقي للإرهاب من وجهة نظرها؟ على أي أساس تريد أمريكا أن تقيم تحالفاً دولياً ضد الإرهاب؟ أليست هي إرهابية أيضاً؟ إرهابية في العراق والسودان وفلسطين والبلقان وكوبا والفلبين وفي العديد من بقاع الأرض؟ ثم لماذا لا تُميَز علناً بين حركات التحرر العالمية وبين الإرهابيين؟ وهل توافق أمريكا على تصنيف شارون، زعيم المجازر، على أنه إرهابي تماماً كما تُصنِّف ابن لادن أو حسن نصر الله؟!

هل كانت فلتة لسان بوش مقصودة؟ أن ما حدث ضد أمريكا كان حرباً صليبية ثانية إسلامية ضد المسيحية؟ ولماذا لم تكن فلتة لسان عاطفية، لماذا يُركز الإعلام الغربي على العرب وعلى المسلمين بالذات؟! لماذا لم تفتح المخابرات المركزية ملف الإرهاب الأمريكي الداخلي كالذي فجّر أوكلاهوما مثلاً؟

قبل الكارثة في ٢٠٠١/٩/١١م كان مكتب التحقيقات

الفيدرالية الأمريكية يحصر عشرة شخصيات إرهابية، وهي إضافة إلى ابن لادن: غيرينا، أيواردو، إريك براون، دونالد وب، إريك رادولف، روسر، جايمز كوب، وغودوين، فلماذا نُسي هؤلاء وعصاباتهم وفجأة تركز الإرهاب على وحيد عصره ابن لادن؟!

وهل لا يزال الجنرال باول على موقفه، وعلى إصراره، بأنه لا يستطيع التفريق بين المنظمات العربية الجهادية ضد العدو الصهيوني وبين الإرهاب؟، وأنه لا يؤمن بحق العرب في تحرير أرضهم بالقوة، وهل يمتد هذا المعنى إلى أن أمريكا تحاول رفض الإسلام المسلّح أو الإسلام الحركي حتى ولو كان لتحرير الأرض المحتلة لأنه يمثل خطراً استراتيجياً، وأن زج الأسماء العربية الكثيرة بالتحقيقات، مجرد ذرائع مخابراتية وإعلامية، وأن الغرض الأبعد للسياسة الأمريكية هو إعادة الانتشار عالمياً وإعادة احتلال العالم تحت ذرائع جديدة؟!

ألا تعتقد الولايات المتحدة أنها تتحرش بالمارد النائم؟ وأنها ستصل بسياساتها الانتقائية المضطربة إلى عدم ثقة الشعوب بقيادتها للعالم، وإلى زيادة الحنق العالمي عليها وبخاصة من الدول العربية الإسلامية؟! وهنا نحن نميّز بين الشعب الأمريكي وبين الحكومة الأمريكية، وغالباً ما تكون الشعوب مغلوبة على أمرها.

هل تعتقد أمريكا بأن الجرح الإمبراطوري سيندمل

بالمزيد من الإرهاب لبقية شعوب العالم، أم بإعادة الحسابات والتأنّي في التحقيق، والابتعاد عن التجييش المخابراتي والعسكري والعاطفي، الذي حتماً سيحل مشكلة أمريكية ويخلق مشاكل لا حصر لها ولا حق.

كان بإمكان العرب والمسلمين أن ينظروا إلى الكارثة الأمريكية من زاوية أخرى، لو أن أمريكا استغلت المناسبة للطلب من إسرائيل أن توقف اعتداءاتها على الفلسطينيين وأن تنسحب من الأراضي العربية المحتلة وأن تلتزم بالقرارات الدولية وأن تلتزم الحدود الشرعية والإنسانية مع جيرانها العرب.

كان بإمكان العرب والمسلمين أن ينظروا للكارثة الأمريكية من زاوية أخرى، لو أنها تقدمت بعروض منطقية للدول العربية، تتناسب مع رغبتها بتكوين تحالف معها كقوة اقتصادية واستراتيجية هامة، كأن تقترح ضم مصر مثلاً إلى مجموعة الدول الصناعية الثمانية وعدم تهديد سوريا والعراق وإيران، أو اقتراح عقد مؤتمر دولي لحل القضية الفلسطينية وحماية الشعب الفلسطيني ولجم إسرائيل. . . كان بإمكان أمريكا أن تفعل أشياء كثيرة أفضل مما فعلت وأفضل مما قالت، وكان بإمكان العرب أن يساعدوا أمريكا في التحالف الاستراتيجي العالمي القانوني ضد الإرهاب الحقيقي، وأن تكون ردة فعل الشارع العربي أكثر واقعية إزاء المأساة الفاجعة التي أصابت أمريكا، والنظر إلى

الكارثة من المنظور الإنساني الذي يشتهر به العرب ويشتهر به المسلمون.. كان بالإمكان، ولكن هكذا أرادت السياسة الأمريكية!!



«العشق والموت في الزمن الحراشي»!!

تُردد وسائل الإعلام العربي والغربي على حدٍّ سواء إن الحركات الأصولية المتشددة هي حركات إرهابية، وتورد مع مثل هذه اللافتات أخبار المجازر في الجزائر، واصطياد السياح الأجانب في مصر، وهمجية طالبان في أفغانستان، وقمع حريات الإصلاحيين في إيران، وشعارات نجم الدين أربكان الداعية لتحكيم الإسلام في تركيا، كما تورد صوراً مؤثرة لتفجير الملهى الليلي في تل أبيب وفي جزيرة بالي الأندونيسية ومأساة قتل أبناء المستوطنات في الضفة الغربية وما شابه. ولم يبخل الطاهر وطار في «العشق والموت في الزمن الحواشي» بوصف إرهاب مصطفى الإخواني الذي كان يردد قوله تعالى: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [سورة نوح: الآية: ٢٦]، قاصداً جميلة المتحررة، المنظمة في حزب الطليعة الاشتراكي. وكذلك لم يُقصِّر رشيد بوجدرة بنقد الإرهاب في «تميميون»، الذي وصف اغتيال الأستاذ بن سعيد على يد عصابة من الإرهابيين الإسلاميين (كما قال) أمام ابنته البكر، وصولاً إلى اغتيال

الصحفي الفرنسي بالقصبة في الجزائر العاصمة... فأقنع القارىء بفكرة الإرهاب الإسلامي، ولم يُعرّفه تماماً وهنا كمنت المصيبة...

الرواية والقصة القصيرة والشعر والمقال كذلك، اشترك في إلصاق الإرهاب بالعرب دون البحث عن جذوره ومسببيه، تلك الفنون الثقافية التي نظرت إلى الأحداث بعين واحدة!!

وهكذا تترسب المعلومة الإعلامية تلو الأخرى في ذهن الإنسان العربي والغربي، وإن كانت بنسب متفاوتة للربط بين الإسلام والإرهاب أو بالعموم بين العرب والإرهاب. وقد حيكت هذه السياسة الإعلامية بالكثير من المهارة والتخصص حتى أصبح العقل العربي جاهزاً لقبول فكرة اتهامه بالإرهاب، كما أصبح العقل الغربي جاهزاً لإطلاق تهمة الإرهاب على العالم الإسلامي كله، دون أن يقوم الإعلام العربي، حتى بمجرد التنبيه لضرورة التفريق بين الإرهاب والإحياء، أو بين الإرهاب والمقاومة، أو بين الإرهاب والثورة.. أو حتى دون أن نبحث ـ كمفكرين عرب ـ بأصول هذه الشبهة أو بأسبابها وكيفية انتشارها في المجتمعات الإسلامية، ومَن المستفيد من ذلك كله؟!

لقد تميز الإعلام العربي حتى اليوم، عموماً، بالتناقض والتوهانية واختلاط المفاهيم والسلبية والتقليد، إضافة إلى السمة التجارية أو الشخصية أو السلطوية طبعاً مع بعض الاستثناءات، فهو، رغم بعض المهارات المتميزة فيه، لا

يُمثل سمة للأمة، وهو على المستوى الفطري تابع بمعظمه للسلطة الحاكمة، ومهما حاولنا تجميل صورة الإعلام العربي، لأنه إعلامنا الذي لا نفرّ منه، إلا أن التجاعيد تملأ وجهه، والجزء الأكبر من جسده. هذا من الناحية الفكرية، أما من الناحية التقنية، فلا يمكن وصف الإعلام العربي بأكثر من كونه حاملاً للإعلام الغربي، طبعاً مع بعض الاستثناءات التي تؤكد القاعدة... والقارىء الحصيف يدرك لدى قراءته الجرائد والمجلات العربية أنها صورة عربية منقحة لأصل غربي ولوكالات الأنباء العالمية. وحيث أن الاستنتاج في أي قضية فكرية هو ابن المعلومة، فغالباً ما يستنتج الإعلام العربي ما يرغب به الإعلام الغربي، وتنطبق هذه القاعدة على معظم مراكز الدراسات الاستراتيجية العربية، التي توصل المعلومات والأرقام والوثائق والمؤثرات إلى أصحاب القرار العربي، كما طُرحت في الإعلام الآخر، ومن هذه الإعلاميات والمعلومات ينشأ الرأي العربي، والقرار العربي وهو في جوهره من المنبع الغربي المناوىء في أغلب الأحيان. لقد تمكن الإعلام الأمريكي مثلاً، عبر امبراطوريته التابعة للصهاينة، والتي تملك أكثر من ٥٠٪ من كل صحف العالم اليومية، و٤٥٪ من كل محطات الإذاعة العالمية، و٢٦٪ من كل محطات التلفزة العالمية، وعبر توزيع أكثر من ستين مليون نسخة من ١٧٧٢ صحيفة يومية أمريكية... تمكن

مليون نسخة من ١٧٧٢ صحيفة يومية أمريكية... تمكن الإعلام الأمريكي عبر ذلك كله، من ربط الإسلام بالإرهاب، ومن ربط العربي بكل الرذائل المنافية للتحضر، وهذا ما أظهرته استطلاعات الرأي الأمريكية، التي تُجرى عادة لاستبيان رأي الأمريكيين بالقضايا الأساسية في حياتهم، ويكفي أن نورد هنا نصاً من تقرير قوة العمل المنتدبة من مجلس النواب الأمريكي لشؤون الإرهاب والحروب اللاتقليدية الصادر عام ١٩٩٠م، والذي أورده فواز جرجس في كتابه «أمريكا والإسلام السياسي، صراع الحضارات أم صراع المصالح» الصادر في عام ١٩٩٨م عن دار النهار. يقول النص: «إن الجمع بين ارتقاء الإسلام الإحيائي الراديكالي وأهمية البترول الحاسمة لاقتصاد الغرب، يجعل الصراع على الشرق الأدنى المجابهة الحاسمة الأولى بين الإسلام الإحيائي والعالم اليهومسيحي...» وقد اعتبر التقرير أن الإسلام لا يهدد الغرب فحسب، وإنما هو العدو الحقيقي لبقية الجنس البشري. ومما ورد في استطلاع للرأي العام الأمريكي أن غالبية الأمريكان يرون بأن الإسلام يتضمن ثقافة عدائية، ويرون أن المسلمين يُنذرون بالشر، همجيون، بطّاشون، غدّارون، ماكرون، مولعون بالحرب، متعطشون لسفك الدماء... وإن الإسلام دين معاد للديمقراطية وأن الأصولية الإسلامية تمثل تهديداً خطيراً للمصالح الحيوية

الأمريكية للإسلام والمسلمين، ما دام الأمر بهذه القناعة العامة لدى الرأي العام الأمريكي، وبذلك الانتشار والاتفاق، فلا بدّ وأن المسلمين أنفسهم ساهموا بطريقة أو بأخرى بإعطاء هذا الانطباع العام الذي أصبح هو القاعدة. أما الآراء التي تنظر إلى الإسلام وإلى المسلمين نظرة حضارية، فقليلة إن لم نقل نادرة. والآن وبعد أحداث ١١/ ٩/ ٢٠٠١ الأليمة يمر المسلمون في العالم بضائقة كبرى، نفسية وحقيقية، وقد صرّح نائب وزير الدفاع الأمريكي (بول وولفوفيتز) بضرورة الضرب من حديد على الدول والمنظمات والأفراد المعادين لأمريكا، واستعمال السلاح النووي ضد أعدائنا (حسب قوله) إذا ما اقتضى الأمر. وقد أظهر استطلاع للرأي العام الأمريكي قامت به مؤسسة غالوب، أن ٤٩٪ من الأمريكيين يوافقون على إجبار العرب حتى المواطنون الأمريكيون منهم على حمل تذاكر خاصة للهوية.. وهذا ما يُظهر القلق الأمريكي المطلق من العرب عموماً، ويظهر أيضاً استعداد المجتمع الأمريكي للتصرف بعنصرية فائقة، لا سيّما وأن الجرح الذي سببته الهجمات على نيويورك وواشنطن، لا يزال نازفاً، ويظهر مثل هذا السلوك الأمريكي جلياً ويتكرر في الصحف الأمريكية وعلى شاشات التلفزيون ووسائل الإعلام الأمريكية الصهيونية الكثيرة، ويكفي أن نذكر ـ (تشارلز كراوتهامر) و(جورج ويل) لندرك مدى عمق الهوّة الحاصلة الآن بين العرب وبين

الأمريكيين مع التأكيد على الجوهر المتميز للشعب الأمريكي في أيام الرخاء والحوار!!

لقد أدرك الغرب مبكراً أن الإسلام الإحيائي هو الخطر الحقيقي على المشروع الغربي ـ الأمريكي للسيطرة على العالم، وبخاصة على العالم الإسلامي، المليء بالسمن والعسل والمعادن والزيوت، إضافة إلى الموقع الوسطي الاستراتيجي، والتاريخ الحضاري العريق، فعمل عبر مؤسساته على نشر التشكيك بحضارية الإسلام، كما عمل على ربطه بالدموية والفتن والتخلف، وبكل مُزرٍ ومُشين، ثم بدأت هذه المؤسسات بالتغلغل الثقافي في الشرق العربي للقضاء على هويته وتميزه تمهيداً لتفريغه من سماته ومن طاقاته الفاعلة. كانت الخطة الغربية تتمثل بالتفريق بين الإسلام الإحيائي الجهادي وبين الإسلام المُصْمَت، وبينما كافح الغرب الإسلام الجهادي بكل الوسائل شجع الإسلام المصمت وجعله الشريك الاستراتيجي في النظام العالمي الجديد. ويبدو أن الدائرة تدور الآن على كل شيء تظهر فيه حروف كلمة «إسلام» أو مسلمين!!

سنوات تافهة..!!

أريد أن أعود إلى الوراء، فحاجتنا تدعونا للعودة إليه...

رداً على سقوط طليطلة (١٠٨٥م)، بيد الإفرنج، وعلى تنكيل الغرب بالعرب،، قام يوسف بن تاشفين ملك المغرب وقائد المرابطين، بغزو الإسبان في عقر دارهم وإخضاعهم والتنكيل بهم في معركة الزلاقة عام ١٠٨٦م، التي قتل فيها أكثر من ١٠٠،٠٠٠ من جيش الإفرنج، فانكسرت شوكتهم وعادت القوة إلى نفوس عرب الأندلس من جديد، وكان ابن تاشفين يغزو أوروبا كلما ازداد الاضطهاد الأوربي ضد عرب الأندلس مما دفع الإفرنج لتأجيج موجات الحروب الصليبية التي بدأت عام ١٠٩٨م فحرقت الأخضر واليابس وقتلت دون هوادة مئات آلاف الأبرياء العزّل من السلاح، على طول المشرق العربي والمغرب العربي، فاتحةً باب الصراع على مصراعيه، حتى تمكن صلاح الدين وأصحاب النخوة من بعده من إجلائهم عام ١٢٩١م وتحرير القدس ذات المكانة الإسلامية

والمسيحية المتميزة.

ويبدو أن شارون لم يقرأ التاريخ جيداً، واكتفى بأساطيره وأكذوبات الدجالين من حوله، وإلا لأدرك أن هذا الشرق لا ينكسر لباطل وأنه سينتصر لبعضه البعض عاجلاً أم آجلاً، وعبر الشعوب إن لم يكن عبر الحكومات الأجيرة فيه، وهو أي الشعب العربي إزاء النصر أو الشهادة، وهذا ما تسطره المقاومة الفلسطينية لتاريخنا الحديث، بأحرف من نور، تُذكرنا بأيام عمورية ومعارك سيف الدولة وقطز وبيبرس وعزّ الدين القسام... وشارون لن يختلف عن نقفور في أي حال من الأحوال وسيخسر المعركة حتماً لأن المنتصر بالشر مغلوب ولو بعد حين.

بعد فشل الصليبيين في احتلال الشرق عبر موجاتهم الصليبية العديدة وعبر تمويل وتشجيع التتار على غزو الشرق وتدمير حضارته، عادوا لإكمال خطط إسقاط الدولة العربية في الأندلس. وتحالفوا من أجل ذلك مع كل من يمكن أن يقوم بدور فعّال ضد الخلافة في بغداد أو في المغرب العربي أو ضد الحكم في الأندلس، ويبدو أنهم قد نجحوا في معظم ذلك، ولولا شجاعة رجال الدولة من المرابطين ثم رجال دولة الموحدين في المغرب العربي لسقطت الأندلس بكاملها بعد سقوط طليطلة عام ١٠٨٥، لكن جيوش المغرب العربي هي التي أخّرت ذلك السقوط حتى عام ١٤٩٢م عام سقوط غرناطة. وهو الأمر الذي لم تنسه

أوروبا للمغرب العربي فاتجهت فور الانتهاء من جبهة إسقاط الأندلس إلى إسقاط جبهات المغرب العربي واحدة تلو الأخرى حيث استمرت الحروب الطاحنة الأوروبية ـ المغاربية لأكثر من ٣٠٠ عام بين ١٥١٦ إلى ١٨٣٠م، تمكن بعدها الغرب من إضعاف الشرق إلى الحد الأقصى تمهيداً لإعلان انتهاء العصر العربي وبداية العصر الصهيوني وذلك بزرع إسرائيل في قلبه.

التاريخ ضرورة لنا، ولا بدّ من عرضه على الواهمين، الذين يصارعون الشرق ظنّاً منهم بأن الشرق هو أهله الحاليين فقط، متناسين أن الشرق الحقيقي هو الروح الضاربة فيه أيضاً، وهو الدين وهو الزمن الإسلامي... ولكل ذلك عودة بطبيعة الأشياء، وبإذن الله وقدره!!



لماذا نصل متأخرين؟!

يبدو من السياق التاريخي والسياسي أننا، نحن العرب لا نُجيد التوقيت، وغالباً ما نصل مشوّشين إلى نهضتنا وشؤون الحياة الفكرية والعملية هذا بحالة الوصول، وبالتالي فنحن دائماً نُصنف في خانة المتخلفين التابعين وهي خانة الضعفاء أيضاً.

قضية الوصول المتأخر، ظهرت جلياً في العديد من المراحل التاريخية، التي شكّلت لاحقاً عاملاً من عوامل هُزال الواقع العربي وتفرقه وتناحره، ولن يفرح القارىء العربي بذكر الصراعات التاريخية، الممتدة حتى اليوم، حول قضايا وُجدت لتوحد الشعوب وتعزز النماء والانتشار والهدى، فحولتها الشعوب، وأقصد هنا الشعوب العربية، إلى عوامل فرقة وتناحر وتآمر مع العدو ضد الأخ والجار والقريب.

لقد قتلتنا قضية الحلول الوسط أو التوفيقية أو الثقافية في كل مراحل نمونا العقلي والفلسفي والسياسي حتى اختلت لدينا البوصلة وأصبحنا، في محاولاتنا للتوفيق،

نصنع البناء ثم نهدمه، ونُشيّد الدول ثم ندمّرها، ونخطط للتنمية ثم ننسفها شأن المتأرجحين من أعمدة عنكبوتية واهية...

هذا ليس تشاؤماً، هذا هو الصدق، وتلك هي الحقيقة ويسأل السائل: كف نصل متأخرين ولماذا؟ ولنضرب مثالاً بالحرية الفكرية ثم تكوين الدول وأخيراً بالصراع مع إسرائيل.

بدأنا التفكير منذ أكثر من قرن من الزمان بالنهضة، ونحن عبيد لأفكار سابقة، لا تُناسب النهضة فكنّا نتخلف واقعاً ونحن ندّعي النهوض خيالاً، حتى أصبح الشرق معرّضاً للأفكار المتناقضة (القومية والعلمانية وغيرها)، وعندما نُكبنا بإسرائيل عام ١٩٤٨ حاولنا التوفيق بين هذه الأفكار «النهضوية» مما أدى إلى نكبتنا الأخرى أمام إسرائيل عام ١٩٦٧م فاكتشفنا، طبعاً متأخرين، أن التفكير النهضوي الأحادي النظرة المتناقض أو النفاقي هو الذي سبب لنا النكبة مرة أخرى بصفعة أخرى أخزى وأنكد، حتى أصبح التاريخ يهزأ بنا ويقول: هزم العرب أمام إسرائيل بجولة ساعات!!

ولنترك التاريخ البعيد، ولنراقب المشهد بعد الانفجارات الهائلة في نيويورك وواشنطن في ٩/١١/ ٢٠٠١م، وبعد لصق التهمة الإرهابية بالعرب وبالمسلمين، ماذا نرى في هذا المشهد؟ ذات النفقية ـ التوفيقية التي

سببت لنا نكباتنا التاريخية، فليس بين دولنا القطرية اتفاق على أساس النظرة إلى الإرهاب وليس عند دولنا القطرية القوة والاستقلالية لرفض مبدأ لصق التهم، دون الإثبات، ودون ربط القضايا ببعضها البعض بحيث لا تُدان الأمة بسبب مؤامرة ولا تُدان البلدان بسبب الأفراد، وعندما فكر محمد حسنين هيكل جيداً في انفجارات سبتمبر، وجد أنها مرتبطة بالإرهاب الصربي، وبالإرهاب العالمي ولكن لم يسمعه أحد، ألم أقل أننا غالباً ما نصل متأخرين!!



علاقات مشبوهة

لقد شعرت الولايات المتحدة الأمريكية بالمهانة، وهي تفشل مرةً بعد مرة بتحرير رعاياها المحتجزين في طهران لمدة ٤٤٤ يوماً، بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، ولذلك فرضت على إيران حظراً تجارياً عام ١٩٩٥، وهددت روسيا بقطع المعونات الأمريكية إذا ما استكملت برنامجها النووي مع هذه الدولة المشاغبة... وصرّح نتنياهو آنذاك أن امتلاك إيران للسلاح النووي يعني قلب الشرق الأوسط رأساً على عقب، ولذلك تلاقت المصالح الأمريكية والإسرائيلية على ضرورة ضرب النظام الإيراني من الداخل، وفشلت المحاولات على ما يبدو، فهل يُعتبر الصمود الإيراني إرهاباً، أم أنه حق من حقوقها المشروعة؟!

وبالمثل أحست أمريكا بضرورة تأييد المسعى الفرنسي، لإبطال نتائج الانتخابات الجزائرية، التي فاز فيها التيار الإسلامي فوزاً ساحقاً، وصرّح وزير الخارجية الأمريكية آنذاك (بايكر) بأن بلاده ترفض قيام (قيامة)

الإسلام السياسي في الجزائر، حتى وإن جاء عبر الوسائل الديمقراطية الانتخابية، لأن ذلك يمثل تهديداً للمصالح الأمريكية، ولمصالح الدول الموالية لها في العالم، كما يمثل تهديداً للسلام العالمي... وهكذا ربطت السياسة الغربية ـ الأمريكية بين فوز الإسلام السياسي وبين الإرهاب. وبدأت مجازر الجزائر، فمن هو الإرهابي في الجزائر؟!

أما مع مصر وتركيا وباكستان وأفغانستان والعراق والعديد من الدول الإسلامية الأخرى، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستعمل سياسة الجزرة والعصا، ولطالما شجبت أمريكا سياسات الحكومة المصرية تجاه المعارضة، ولطالما حثّت السلطات المصرية على الالتزام بحقوق الإنسان من المنظور الأمريكي، وبحرية المعتقد والفكر وما شابه، وهذا ما ظهر جلياً في الدفاع الأمريكي عن د. سعد الدين إبراهيم، الذي كان يحاول ظاهرياً الدمج بين الرغبات الأمريكية ومطالب الشارع المصري بالحرية والعدالة، فكانت النتيجة حكم القضاء المصري بحبسه لثمان سنوات طويلة في معتقل أبي زعبل الشهير. على أن السياسة الأمريكية في المقابل، كانت حريصة على أساساتها في مصر، ومنها إتمام عملية السلام مع إسرائيل وإبقاء مصر في الفلك الأمريكي الشرق أوسطي، وحفظ الاتزان مع الأقباط، وعدم السماح للإسلام السياسي بالبروز في أي

شكل من الأشكال الفاعلة، حتى وإن كان ذلك عبر الانتخابات النقابية أو البرلمانية أو العمل الحزبي أو حرية النشر والانتشار، فمن هو الإرهابي إذاً؟!

إن الاستخفاف بكرامة الشعب وبقدراته وتاريخه، من الأخطاء المميتة التي تقع فيها السياسة الأمريكية مع معظم الشعوب وبخاصة مع الشعوب العربية والإسلامية، ومن المؤكد أن انتشار القوات الأمريكية في ٥٥ دولة في العالم، لن يقلل من إمكانية الإرهاب الناشىء من هذا القهر وذلك الاستخفاف.

في ذات الاتجاه، تُعتبر تركيا بالنسبة للولايات المتحدة الداعم الاستراتيجي الأفضل ـ بعد إسرائيل في الشرق الأوسط، لا سيّما وأن تركيا الحديثة تتمسك باللادينية وبالتعددية، التي أرساها حليف الغرب كمال أتاتورك، وتحرص دائماً ألا يصل الإسلاميون الحركيون، مثل حزب أربكان ـ الرفاه أو غيره إلى السلطة. فعلى الرغم من فوز الرفاه في انتخابات عام ١٩٩٥ بأكثر من ٢١٪ من أصوات الناخبين، تمكن العلمانيون من منع الإسلاميين من الوصول إلى السلطة، وعندما شكّل أربكان وزارته، بعد فشل الائتلاف التركي عام ١٩٩٦، ولم يكن أمامه سوى خيارات قليلة: إما الوصول بتركيا إلى النموذج الجزائري في التقاتل الأرعن، وإما الوقوع في الحضن الأمريكي ـ الصهيوني، ودعم التحالف الاستراتيجي مع إسرائيل، وإما الاستقالة.

وحيث أن أربكان من حكماء عصره، فقد قرر الانسحاب من الحكم حتى لا تسيل الدماء التركية في أيامه وتحت راية حزبه الإسلامي. لقد أدرك أربكان بأن الولايات المتحدة لن ترضى بالإسلام الحركي الثوري وستلصق به تهمة الإرهاب كالعادة، وهي التي تُصنّف بلاده من حيث الأهمية، بعد الحرب الباردة، بأهمية ألمانيا أبان الحرب، فانسحبت من لعبة الحكم بتكتيك ذكي، لا سيما وأن الولايات المتحدة تبحث لنفسها عن دور مركزي في دول آسيا الوسطى والبلقان، وهي دول الإمبراطورية العثمانية السابقة. واليوم تتفاوض تركيا مع أمريكا بكل ذكاء، فتركيا لن تقبل بخدمة أمريكا مجاناً كما فعلت العديد من الدول العربية، وهي ستملي شروطها المنطقية كاملة، وإلاّ فلن تسمح للأمريكان باستخدام أراضيها للعدوان (*)!!

ومن الواضح أن أمريكا لا تزال تعتمد على الحكومات التركية الموالية في كبح جماح المد الإسلامي الحركي التركي لقاء المساعدات المالية والعسكرية وتطوير التعاون التجاري والاستراتيجي. لقد جرّبت أمريكا حاجتها إلى تركيا في حرب الخليج عام ١٩٩١، وكذلك في التعاون

(*) صوّت البرلمان التركي في أوائل مارس ٢٠٠٣ ضد استخدام القوات الأمريكية للأراضي التركية في حربها ضد العراق، وهذا نصرٌ مؤزر للمنطقة بكاملها.

الاستراتيجي مع الكيان الصهيوني، والآن في حربها ضد الطالبان في أفغانستان وللحرب المزمعة ضد العراق فكانت الشريك الأفعل، مما جعلها شرطياً للشرق الأوسط بامتياز، لا سيّما وأن العسكر التركي فهم الرسالة بذكاء وسرعة فقرر إزاحة أربكان عن الحكم، وذلك في المرحلة التي بدأ فيها الزعيم الإسلامي يركز على التعاون مع العراق وسوريا وليبيا وإيران والدول الإسلامية الأخرى، ويعمل على إنشاء المنظمة الإسلامية للدول النامية التي تضم إضافة إلى تركيا، كل من إندونيسيا، إيران، بنغلاديش، الباكستان، مصر، ماليزيا، ونيجيريا. . . وإن على تركيا أن تفعل الكثير، حتى لا تزجّ أمريكا بها في أتون جاراتها في الإرهاب والأصولية!!





جماجم

ماذا حدث في العالم بعد انتهاء الولايات المتحدة من تدمير أفغانستان وتنصيب قرضاي فيها؟! وهل تصوغ الدول الكبرى، بقيادة أمريكية نظاماً عالمياً جديداً؟

السؤال المحيِّر هو حول شكل وهدف النظام الجديد، فقد عملت الولايات المتحدة منذ عام ١٨٨٣ حتى عام ١٩٨٣، أي خلال مائة عام على تمكين سيطرتها العسكرية على العالم، وهي الآن متواجدة عسكرياً في أكثر من ٥٥ بلداً. فماذا يحقق لها النظام الجديد أكثر من هذه السيطرة؟!

لقد بدأ النظام الأمريكي بداية عسكرية، ثم توسطت أهدافه عسكرياً أيضاً، فعام ١٨٣٣ على سبيل المثال لا الحصر غزا الأمريكان نيكاراجوا، ثم البيرو بعد سنتين، واحتلت تكساس من المكسيك عام ١٨٤٦، وبعد سنتين احتلت كاليفورنيا ونيومكسيكو من نفس البلد. ثم غزت أمريكا بنما وكولومبيا وهاييتي وتشيلي وكوبا وكولومبيا وهندوراس والدومينيكان والسلفادور وجواتيمالا وكوريا...

حتى أفغانستان والصومال والعراق ولبنان. . . وهي الآن بعدحوادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م تتجه لاحتلال أواسط آسيا انطلاقاً من أفغانستان بعد سقوط طالبان، فإلى أين، وأين ستنتهي أمريكا، وهل تلوح في الأفق بوادر أزمة عالمية بين أوروبا والصين وروسيا والعرب من جهة، وبين أمريكا من جهة ثانية، وهل نحن إزاء صراع طويل الأمد؟

بعد استخدام الولايات المتحدة للقنبلة الذرية في اليابان أصبح النظام الأمريكي هو الحاكم للعالم، وتحقق من ذلك منظور سياسي عام، يبدو أنه سيستمر، وهو أن الحروب الحاسمة هي التي تصوغ المشاريع السياسية في العالم، وقد صدق هذا التوجه بعد معظم الحروب العالمية، وبالأخص بعد الحرب العالمية الثانية، حيث نشأ النظام العالمي الجديد برأسيه، ثم بالرأس الواحدة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي في أوائل التسعينات من القرن الماضي. وقد يكون من الصدف التاريخية أن الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، هو الذي أعلن النظام العالمي الجديد بعد تدمير العراق وأن ابنه الرئيس الابن هو الذي أعلن سقوط النظام العالمي الجديد بعد تدمير أفغانستان وأنه هو الذي تسبب بانقسام العالم من جديد إلى قسمين: مع العراق وضد العراق. ومن الصدف المضحكة أن الأول أعلن قيام النظام على أنقاض دولة عربية وأن الثاني أعلن سقوط النظام على أنقاض دولة إسلامية. وأخيراً من المضحك

المبكي، أن العالم اليوم يخطط لنظام جديد انطلاقاً من دول تجمع الواقعين العربي والإسلامي، وبالذات في الشرق الأوسط، حيث المطلوب أن يتم القضاء على المقاومة الوطنية والإسلامية ضد إسرائيل (حماس ـ الجهاد ـ حزب الله)، وأن تصبح إسرائيل هي القوة الأعظم في الشرق الأوسط، وأن يتم القضاء على القوة العراقية وعلى القوة الإيرانية، طبعاً بعد أن تم تحييد مصر الدولة العربية الأفعل، وبعد أن هدد هذا النظام سوريا بالقوة التركية الحليف الأقوى للنظام العالمي الجديد.

في النظام الجديد قد تكون الشرق أوسطية أوفر حظاً من مرجعية أوسلو أو مؤتمر مدريد أو كامب ديفيد أو وادي عربة أو أي اتفاق سلام جرى، إذ أن المنطقة كلها ستكون تحت المظلة الأمريكية المباشرة، بعد وصولها عسكرياً إلى كل العالم تقريباً، ويبدو أن المرحلة الماضية قد مكّنت إسرائيل من فرض نفسها على المنطقة والعالم ولم تعد بحاجة إلى المزيد من الوقت لتحقيق أحلامها القديمة المتجددة، وهي الآن، في زمن المجرم شارون، تنذر بالويل والثبور وعظائم الأمور لكل الفلسطينيين، ولكل العرب والمسلمين، تماماً كما أنذر الرئيس بوش، دول العالم على طريقة الأستاذ والتلاميذ: اجلس، قف، أنت جيد، أنت ساقط، أما أنت فجزاؤك بعدين!!

النظام القديم على زمن بوش الأب كان، على الأقل،

يُؤمن بالاتفاقيات الكبرى، وبالشرعية الدولية، فقط أكثر من النظام القادم على زمن بوش الابن، ولا أدل على ذلك من القرار ١٣٧٣ وقضية ربط الاقتصاد بالإرهاب، وربط دخول الدول للقرية الكونية (عسكرياً واقتصادياً. . .) بالإذعان للتوجيهات الأمريكية كاملة غير منقوصة، بل بالصيغة اللغوية للرئيس الأمريكي الابن. . . ولا بدّ هنا من التذكير برفض الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن لمعاهدة (ABM) بين الجبارين (سابقاً) المبرمة عام ١٩٧٣، والإصرار على بناء النظام الصاروخي الجديد (والذي جاءت بعده حوادث سبتمبر ٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن)، ورفض معاهدة كيوتو لحماية البيئة من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، ورفض مشروع المحكمة الدولية لجرائم الحرب، ورفض العدالة في تسليح إسرائيل، وإعانتها على بناء ترسانة نووية تهدد الشرق الأوسط كله، في منطقة منزوعة من السلاح النووي. . . والتصدي بالإفك المسمى «الفيتو» لكل القرارات الدولية التي تدين جرائم إسرائيل.

رأينا مؤخراً أن أمريكا أعطت الأضواء الخضراء لإسرائيل لتفتك بالفلسطينيين، ولتدمر بنية السلطة الفلسطينية، ولتحول المنطقة إلى ساحة صراع قد تتحول إلى حرب داخلية مقبلة.

لقد كان المهم الأوحد في نظر الإدارة الأمريكية الجديدة، هو القضاء على حركات التحرر، بذريعة مكافحة

الإرهاب والقضاء على الدول التي تحتضن الإرهاب أو تموله أو تتعاطف معه، مع أن العالم لم يتفق حتى الآن على تعريف واضح للإرهاب العتيد، مما سيفسح المجال للنظام القادم لإعلان الحرب (دون العودة للأمم المتحدة) على أية دولة واحتلالها بعد تدميرها إذا ما لزم الأمر.

إن مبدأ استخدام القوة العسكرية والاقتصادية في تطوير المفاهيم العولمية الجديدة، لم يتناسب مطلقاً مع تطلعات البشرية لحياة آمنة مزدهرة على كوكب آمن، وسيؤدي حتماً إلى ازدهار الإرهاب والتطرف، من بؤر الرفض العالمية، التي تُعاني من الإهمال العالمي ومن الضغط العالمي إضافة إلى مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية الكثيرة والمتطورة، وعلى رأسها تفشي الأمية والبطالة والمخدرات والدعارة والقرصنة والسلاح والمافيات وما شاكل ذلك من آفات التقدم المادي والإفراط في استخدام القوة لتحقيق الربح على حساب المعاني الإنسانية كلها...

العالم مدعو لنظام عالمي إنساني يُساوي بين الطبقات ويؤلف بين الشعوب ويخدم الشعوب ولا يستخدمها... إنه النظام العالمي البعيد عن النظام الجديد طبعاً..



تبرير الإرهاب ـ فوكوياما!!

يورد فوكوياما في الفصل الثامن من نهاية التاريخ «تراكمات بلا نهاية»، جزءاً من خطاب ألقاه يلتسين أمام جماعة «روسيا الحرّة» عام ١٩٩١ في موسكو، ومنه: «إن بلادنا ليست محظوظة، فقد فُرِض علينا تنفيذ التجربة الماركسية، والقدر هو الذي دفع بنا في هذا الاتجاه، وبدلاً من أن تتم هذه التجربة على دولة ما في أفريقيا مثلاً فقد بدأوا بنا، وفي النهاية استطعنا إثبات أنه لا مكان لهذه الفكرة، لكن بعد أن دفعت بنا بعيداً عن مسار الدول المتحضرة في العالم. وينعكس الأمر علينا اليوم حيث إن ٤٠٪ من الشعب يعيش تحت خط الفقر، فضلاً عن الإهانة المستمرة التي تلحق به وهو يستخدم البطاقات للحصول على احتياجاته، إنها إهانة مستمرة تذكر المواطن في كل وقت بأنه مجرد عبد في هذه الدولة».

وإن دلّ هذا الجزء من كلام الرئيس يلتسين على شيء فيدل على مأساة الشعب الروسي بعد التجربة الاشتراكية الفاشلة، وهذا ما اعتبره فوكوياما دليلاً تاريخياً على أن

التقنيات العلمية هي التي توجه التاريخ وهي التي تتحكم بمصائر الشعوب وكلما أجادت الأمم الاندماج في النسق الحرّ كلما تمكنت من تحقيق القدر الأكبر من حاجاتها وكلما ارتقت إلى الديمقراطية والسوق الحرة والسعادة.. وفوكوياما يُشير بهدوء إلى أن العلم كما أدّى في التاريخ الموجه إلى الديمقراطية الحرّة، فإنه أيضاً يؤدي إلى الرأسمالية في المجال الاقتصادي(*)، ولكن كيف تمكّن ستالين، وهو في نظام ليس بالديمقراطي وليس بالرأسمالي، من تحويل الاتحاد السوفييتي بين ١٩٢٨ـ ١٩٣٨ إلى دولة زراعية وصناعية من الطراز الأول؟! يجيب فوكوياما بأن التخطيط المركزي كان في الخمسينيات أكثر فاعلية من الأعمال العشوائية لاقتصاديات السوق، وبالمثل فالمفهوم الوطني كان أكثر جاذبية من القطاع الخاص. ومع ذلك يصرّ فوكوياما على قدرة الرأسمالية، المحاطة بالقدر اللازم من الديمقراطية الحرّة، على توجيه التاريخ نحو اقتصاديات أكثر فاعلية، ولذلك فالتطور الصناعي الأفضل وصلت إليه بريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة مع الحرب العالمية الأولى، ووصلت إليه اليابان وبقية دول أوروبا الغربية مع الحرب العالمية الثانية ووصل إليه الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية في الخمسينيات من القرن

(*) (نهاية التاريخ ـ فرانسيس فوكوياما ـ ترجمة د. حسين الشيخ بيروت: ١٩٩٣: ١٠٧).

العشرين. . . ويُشير فوكوياما إلى تعاون الزمن مع الرأسمالية لصالحها ولصالح التقدم العلمي المدهش الذي حدّده دانييل بل عام ١٩٦٧ موضحاً أن متوسط الوقت بين الاكتشاف الأول للابتكار التكنولوجي ثم التعرف على إمكانياته التجارية (أي تحويل المعلومة العلمية إلى جهاز أو معادلة)، يتراوح بين ثلاثين عاماً في الفترة ١٩١٩ـ ١٩٤٥، ويحتاج إلى تسع سنوات بين ١٩٤٥ـ ١٩٦٧، وهو الآن لا يحتاج لأكثر من شهور. . . ويضاف إلى عامل الزمن (أي سرعة التطور العلمي) عامل نمو التجارة العالمية، وبشكل مرعب حقاً وهذا كله كان بصالح الرأسمالية وهو ما لم يلتفت له ماركس في زمنه (*). يقول فوكوياما: لقد أثبت الاتحاد السوفياتي والصين أنهما قادران على قيادة مجتمعاتهم في عصر الفحم والصلب حيث التكنولوجيا لم تكن معقدة بدرجة عالية، حتى أنها يمكن أن تخضع لسيطرة القرويين الذين يؤخذون قهراً من المزرعة والمتخصصون ذوو الخبرة التقنية مطلوبون لإدارة مثل هذا الاقتصاد الذي أثبت أنه من السهل التحكم فيه أو السيطرة عليه سياسياً.

لقد وضع «ستالين» ذات يوم مصمم الطائرات المعروف «توبوليف» في معتقل «الجولاج» حيث صمم هناك

(*) المرجع السابق: ١١٠.

أفضل طائراته. ونجح حلفاء «ستالين» في اختيار المديرين وخبراء التنظيم الصناعي بتقديم المزايا والمكافآت لهم في مقابل الولاء للنظام.

أما «ماو» فقد انتهج مساراً مختلفاً، حيث سعى إلى تجنب خلق طبقة من المثقفين تقنياً ذوي الامتيازات الخاصة كما هو الحال في الاتحاد السوفييتي بل وأعلن الحرب عليهم، أولاً في أواخر الخمسينيات ثم مرة أخرى خلال الثورة الثقافية في أواخر الستينيات، فأجبر العلماء والمهندسين على العمل في الحقول وغيرها من الأعمال الشاقة.

هذه التجربة يجب أن تعلمنا أن لا نقلل من قدرة الدول الشمولية والاستبدادية على مقاومة حتمية العقلانية الاقتصادية لفترة كبيرة من الزمن ـ وصلت في حالة الاتحاد السوفييتي والصين إلى جيلٍ أو أكثر ـ لكن هذه المقاومة كان ثمنها في النهاية ركوداً اقتصادياً فادحاً. إن الفشل الكلي للاقتصاد الذي يخطط تخطيطاً مركزياً في بلاده مثل الاتحاد السوفييتي والصين في التحرك لمرحلة ما بعد التصنيع في الخمسينيات، قد قضى على قدرة هذه الدول في أن تلعب دوراً على المسرح الدولي، أو حتى على حماية أمنها الوطني. إن اضطهاد «ماو» لخبراء الصناعة الأكفاء أثناء الثورة الثقافية أثبت أنه كارثة اقتصادية أخرت الصين جيلاً بأكمله. ولذلك كان أول عمل قام به «ونج

كسياوبنج» عندما جاء إلى السلطة في منتصف السبعينات هو إعادة تمييز العبقريات التكنولوجية وحمايتهم من بطش الأيديولوجيات السياسية، ولذلك اختار طريق الانتخاب والانتقاء الذي اتبعه السوڤييت في الجيل السابق.

في فصل «الانتصار» يُقرر فوكوياما أفضلية النظام الرأسمالي كضرورة حتمية للحضارة، ويعتبر الاشتراكية الماركسية ـ اللينينية مرحلة قهر غير صالحة لغير زمن الفحم، ويُشير إلى أن الدول التي تسير في هذا الخط القهري للشعوب مآلها أيضاً للتخلف والزوال. ويرى أن الرأسمالية هي الحل الحقيقي لمشاكل العالم الثالث الاقتصادية والسياسية، والرأسمالية هي النظام الوحيد في العالم الذي يستوعب منطق العلوم الطبيعية الحديثة وتطبيقاتها المختلفة، وقد دللت أحداث التاريخ الحديث على صحة هذه المقولة كما ذكر الرئيس يلتسين عام ١٩٩١.

في الفصل العاشر «في أرض العلم» من نهاية التاريخ يقرر فوكوياما نقطة متقدمة في تنظيره للرأسمالية الحرّة، وهي رد على سؤال طرحه وأجاب عليه، السؤال هو: هل آلية علم الطبيعة الحديث تؤدي إلى ديمقراطية حرة؟ والجواب طبعاً هو: نعم، والدليل من التاريخ الحديث. فقد أورد فوكوياما مجموعة شواهد نظرية وعملية على أن التصنيع المتقدم الذي يحدده علم الطبيعة الحديث، يخلق استعداداً قوياً لصالح الرأسمالية واقتصاديات السوق، كما

يقدم غالباً حكومة حرّة، ومشاركة ديمقراطية، كما حدث في أسبانيا عام ١٩٥٨ واليابان وتايوان وأستراليا ونيوزيلاندا وجنوب أفريقيا. ويبدو أن فوكوياما يُشير بإصبع الاتهام إلى الدول الديكتاتورية، التي لن تتقدم ما دامت بعيدة عن مفهوم التاريخ الموجه واعتماد التسلسل المطروح وهو: العلم ـ الاقتصاد الحر ـ الديمقراطية ـ الرخاء والتقدم. ويرى فوكوياما أن النظام الأمريكي الحالي هو المثال الأفضل لهذه المعادلة التي يعدها نهاية التاريخ، إلا أن فوكوياما لا يعتبر التلازم السابق ضرورة تاريخية أو قاعدة تاريخية، فقد يكون التأثير العلمي فاعلاً في الاقتصاد وغير فاعل في السياسة، مما يُشير إلى نجاح جزئي للاستبداد في العديد من أنظمة العالم، وبخاصة العالم الثالث.

في الفصل الثالث عشر من نهاية التاريخ «صراع حتى الموت لأجل المكانة والهيبة» يرى فوكوياما أن على شعوب الأرض أن تثور على ديكتاتورياتها، لأن الحرية هي الوسيلة الحقيقية للنماء والتقدم، وقد استعار فوكوياما اسم فصله هذا من «هيجل» الذي يرى ضرورة الكفاح لهذا الغرض النبيل في حياة الأمم، وهو غرض إنساني أشمل من الرؤية الماركسية، أو من التقليد الاجتماعي المستمد من ماركس، مع الاحتفاظ طبعاً بالبعد الاقتصادي للتاريخ. ويرى فوكوياما أن الصراع من أجل المكانة والهيبة قديم قدم الفلسفة السياسية وكان وراء العديد من حركات التحرر

العالمية سواءً في الاتحاد السوفييتي السابق أو في أوروبا الشرقية أو جنوب أفريقيا أو آسيا أو أمريكا اللاتينية أو في الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها. يُناقش فوكوياما بإعجاب واضح أفكار هيجل في نظرته للإنسان عبر الأجيال وبخاصة تميزه عن ماركس فيما يتعلق بطبقية المجتمعات. يقسم هيجل المجتمع البدائي إلى طبقات اجتماعية، ولكنه لا يرى الصراع بينهما محصوراً بالعوامل الاقتصادية، عكس ماركس تماماً. ويُرجع هيجل سبب الصراع إلى إحساس بالتفوق الداخلي القائم على المخاطرة حتى الموت، لدى طبقة من المجتمع (طبقة المحاربين) تميزها عن طبقة العبيد الخانعين الذين لا يحبون المخاطرة.

ويرى هيجل أيضاً أن إرادة الاعتبار والاحترام الخاص (الحرية) هي أكثر السمات الإنسانية أهمية، وأن أهمية الفرد من أهمية إرادته بالمخاطرة بحياته من أجل المكانة أو الهيبة أو الحرية(*).

ويركز هيجل على إنسانية الإنسان وعلى الاختيار الأخلاقي في سلوكه فهو لا يسعى لمجرد المنفعة أو الانتصار على الآخر عبر انفعالاته وغرائزه، بل يسعى دائماً للحرية التي تتفق مع قواعده الخاصة، و«كرامة الإنسان الخاصة لا تكمن في القدرة الحسابية التي تجعله آلة أكثر

(*) مرجع سابق: ١٧٠.

مهارة من الحيوانات الأدنى، بل تكمن في هذه القدرة على الاختيار الأخلاقي الحرّ»، إذاً فأفكار هيجل عن التاريخ الإنساني تتميز بكونها مرتبطة بالجانب الأخلاقي والمخاطرة من أجل الحرية، إضافة إلى الجانب الحيواني فيه، وهي فكرة فاقت وتميزت عن أفكار (ماركس) و(هوبز) و(لوك) و(كوجيف) وغيره ممن شاركوا في التأريخ للحركة الإنسانية ووصف الدوافع والقيود والمدى الحيوي لهذه الحركة.

وبالتحديد ترى فلسفة هيجل أن الإنسان لا يبحث فقط عن راحة مادية بل يبحث أيضاً عن احترام وتقدير، والحرية جوهر إنساني، تتبلور في الصراع مع الطبيعة حتى الموت من أجل الاعتبار والاحترام الخاص، ولكن هذا الصراع ستتبعه صراعات أخرى تستوجب «الجدل» بين هذه الصراعات، وهذا هو الامتداد (التنافس ـ الخلاف والمجد)، كما يرى فوكوياما، نحو النظام الاجتماعي الذي يحقق حرية الإنسان وكرامته، وهو الشكل الآخر للديمقراطية الحرّة المعاصرة.

في الفصل التاسع عشر يرى فوكوياما أن «الدولة العالمية المتجانسة التي ستظهر في نهاية التاريخ يمكن اعتبارها قائمة على دعامتين أساسيتين هما الاقتصاد والاعتراف. وتتقدم بواسطة الانفتاح التقدمي للعلم الطبيعي الحديث، والصراع في سبيل الاعتراف. وقد انبثق الأول من الجزء الشهواني من النفس الإنسانية، الذي تحرر في العصور الحديثة وتحول إلى

تكديس الثروات غير المحدود. هذا التكديس غير المحدود أتاحه تحالف كل من الشهوة والعقل: فالرأسمالية تعتمد بدرجة كبيرة على العلم الطبيعي الحديث. أما الصراع من أجل الاعتراف من ناحية أخرى فقد بدأ في الجزء الروحاني في النفس، ودفعه إلى الأمام واقع العبودية المتناقض مع فكرة العبد عن الربوبية في عالم يتساوى فيه كل الناس أمام الله. ولا يمكننا أن نعطي وصفاً كاملاً للعملية التاريخية ـ كتاريخ عالمي حقيقي ـ بدون اعتبار لهاتين الدعامتين، تماماً مثلما لا يكتمل وصف الطبيعة الإنسانية بدون اعتبار لكل من الرغبة والعقل والروح. الماركسية أو نظرية التحديث أو أي نظرية أخرى حول التاريخ تقوم أساساً على الاقتصاد ستكون غير مكتملة إذا لم تأخذ في اعتبارها الجانب الروحي من النفس الإنسانية وكذلك الصراع من أجل الاعتراف كمحرك رئيسي للتاريخ.

ونحن الآن في موضع يسمح لنا بتوضيح أكثر اكتمالاً للعلاقة المتداخلة بين الاقتصاديات الحرة والسياسات الحرة. ولا يوجد اقتصاد بعينه ملائم للديمقراطية، ولو كان الأمر كذلك، فإن السياسات الديمقراطية سيتوقف نجاحها مدى الكفاية الاقتصادية. إن اختيار الديمقراطية اختيار شخصي يتخذ من أجل الاعتراف وليس من أجل الرغبة»(*).

(*) مرجع سابق: ٢٣٢.

وأبعاد سلوك العبد؟ وهل هذه الفكرة صالحة لأن تكون أصلاً لنهاية التاريخ، وأصلاً للتطور الاجتماعي الإنساني؟ لئن كان فوكوياما، تحت ستار التاريخية، بحاجة إلى هذه النتيجة، فهناك من المؤرخين والفلاسفة من يرى ذلك مجرد مثال نظري لا يُلامس الواقع العالمي إلا بالقليل القليل.

في الفصل العشرين، يقرر فوكوياما أنه عند نهاية التاريخ، ما من وجود لمنافسة أيديولوجية للديمقراطية الحرّة. والآن فيما عدا العالم الإسلامي، هناك اتفاق عام على قبول الديمقراطية الحرّة كأكثر أشكال الحكم عقلانية. ويتساءل فوكوياما بنفسه، لماذا إذاً ـ طبعاً خارج العالم الإسلامي ـ هناك صعوبة في التحول الحقيق نحو الديمقراطية؟ ويجيب بأن السبب يكمن في عدم التوافق التام بين الشعوب والدول باعتبار أن الدول هي كائنات سياسية بينما الشعوب مجتمعات أخلاقية، ويستشهد فوكوياما بقول نيتشه في «هكذا تكلم زرادشت» بأن «الدولة هو اسم أكثر الوحوش الباردة برودة وبكل برود تكذب أيضاً، تخرج من فمها الأكاذيب قائلة: أنا الدولة، أنا الشعب، وهذا كذب، فالمبدعون هم خالقو الشعوب، وهم من منحوها الإيمان والحب حتى تستمر الحياة».

وبمعنى آخر، فالدولة هي الحكم السياسي أما حكم الشعوب فهو سلطة الثقافة والمجتمع(*) وغالباً ما تنشأ

(*) مرجع سابق: ٢٤١.

بينهما عمليات صراع يحدد وجود الديمقراطية الحرّة أو شكلاً من أشكالها. . ويعتبر فوكوياما الشعب الأمريكي من أنجح الأمثلة التي تمكنت من تشكيل الدولة، بينما لم تتمكن الدولة من تشكيل الشعب ولذلك فالديمقراطية الأمريكية هي حقاً نهاية التاريخ.

ويخرج فوكوياما من المنطق الإنساني الصرف، إلى المنطق السياسي الصرف في تحديد شروط تحقيق الديمقراطية في مجتمع من المجتمعات، كأن «يتناس مواطنو الدول الديمقراطية جذور القيم المتوارثة في مجتمعهم وأن يُنمّوا أسلوباً جديداً في الحياة ونوعاً من الفخر الروحي غير العقلاني بنظامهم السياسي»، «من ناحية أخرى، فلا تتحقق الديمقراطية في بلد تكون فيه عرقية أو أهلية مجموعاته السكانية متضخمة جداً لدرجة أنهم لا يتشاركون كأمة واحدة، أو يقبلوا حقوق بعضهم البعض» وهذا أيضاً تأكيد على المعنى اللا أممي واللاإنساني في تفسير التاريخ، ولا يستغرب ذلك على فوكوياما فهو يُفضّل المفهوم التاريخي على الحجم الأمريكي(*).

في مملكة الحرية، الفصل الأخير من نهاية التاريخ، يُشير فوكوياما إلى انتصار الديمقراطية الحرة على الفاشية والشيوعية، ولكن التاريخ لا يصل إلى نهايته، مع انتصار

(*) مرجع سابق: ٢٤٤ ـ ٢٥١.

الديمقراطية الحرّة، دون النظر الدقيق في عيوب الديمقراطية وبخاصة ضعفها إزاء الطغيان الاستبدادي الفردي والطغيان الديني، إضافة إلى مشاكل بلدانها وبخاصة البطالة والتلوث والمخدرات والجريمة والصراعات وما شابه، ويرى فوكوياما، ما يراه هيجل وكوجييف من أن انتصار الديمقراطية الحرّة على هذه المعوقات يعني أننا قد وصلنا إلى نهاية التاريخ، أما عند غلبة هذه المعوقات فإن علينا أن نقول أن التاريخ بالمعنى الدقيق للكلمة يستمر(*).

إن الهدف الكلي للإنسانية يتمحور حول مسألة الكرامة، وبالتالي فصياغة تاريخ عالمي لا بد وأن يسفر عن عمليتين تاريخيتين متوازيتين: عملية يقودها العلم الطبيعي ومنطق الرغبة، والعملية الأخرى يقودها الصراع من أجل الاعتراف والتقدير، وكلاهما يصل إلى نفس نقطة النهاية، الديمقراطية الرأسمالية الحرّة، وهنا تنشأ قضية عدم المساواة في المجتمعات الحرّة وتُغذِّيها الفوارق الطبيعية بين البشر، فليس كل فرد قادراً على أن يكون لاعب بيانو، والصبية الذين يتمتعون بالوسامة والفتيات الجميلات تكون لديهم مزايا خاصة في جذب شركاء الزواج أكثر من نظائرهم الأقل وسامة والأقل جمالاً...

إن كل البشرية مهما سلكت من طرق، ومهما تعرّجت

(*) مرجع سابق: ٢٧٥.

بها تلك الطرق وتفرّعت ستصل حتماً إلى الديمقراطية الحرّة، نهاية التاريخ...

بهذه المبررات يُنصب فوكوياما أمريكا ملكة على العالم بنظامها وبتطورها العلمي والتقني... أما الرأي الآخر، الإسلام مثلاً، فهو الإرهاب بعينه عندما يُصبح خطراً على هذه المملكة التي انتهى بها التاريخ...



هل هناك شيء حقيق اسمه داء الإسلام؟

في كتاب «أوهام الإسلام السياسي»(*) نحن إزاء ظاهرة جلد للذات واضحة متمادية وإزاء تحلل من الهوية لصالح الشهوة المسماة بالحداثة، والاندماج في النسق العولمي المترفع عن الخصوصية... ورغم اعتراف المؤلف في المقدمة بأنه لا يعيد داء الإسلام للإسلام ذاته وإنما للمسلمين إلا أن عنوان الكتاب الأساسي، الصادر بالفرنسية (La Maladie de l'Islam)، يقدم خدمة جليلة لأعداء الإسلام عبر أحد الهاربين من التزامه إلى إشراقاته على مدرسة التجليات الإلهية، لابن عربي، وبخاصة في هذا الوقت العصيب من تاريخنا، إزاء الهجمة الامبراطورية الأمريكية ضد العرب والمسلمين تاريخاً وحضارة وواقعاً... وكأن الكاتب يُشارك في الحرب على العراق براية ضخمة مكتوب عليها بلغة الشعر: «أزيلوا، أيها الأمريكان هذا الداء

(*) لعبد الوهاب المؤدب الصادر عام ٢٠٠٢ عن دار النهار في بيروت.

الإسلامي من العالم قبل أن يتحول إلى وباء»... هذه اللافتة هي التي، على ما يبدو، شجعت دار النهار على نشر الكتاب المذكور...

قبل الدخول إلى الكتاب لا بد من الحديث عن الكاتب، فمما يفهمه القارىء المحقق، بعيداً عمّا كُتب على ظهر الغلاف الأخير أن الكاتب الشاعر مثقف مملوء بالمعلومات والتفاصيل. مملوء بحب الغرب ومفكريه ومملوء أيضاً بكراهية أي شكل إسلامي لا ينتمي لمدارس أبي نوّاس والمعتزلة وابن عربي. وهو، أي عبد الوهاب المؤدب حاد في طرحه «لداء الإسلام» إلى حد الجرأة التي تضعه في مصاف لويس برنارد وكل المعادين للحضارة الإسلامية بشكلها الكلي. ولو ابتعد الكاتب الصوفي المرهف عن الخوض في التأريخ (إعادة تاريخ الإسلام) والتزم الجانب الشعري الذي يُحبه، وربما نحبه جميعاً، لكان قدّم خدمة للثقافة العربية كلها ولمعركة الصراع الدموي بين الشرق والغرب.

أبدأ بالكتابة عن الكتاب من آخره إلى أوله، لأقدّم المفيد والخلاصات، فالمقدمات مؤذية لمشاعر الكثيرين في العالم الإسلامي وبخاصة المؤمنين بالجهاد والأصولية والنضال ضد الاستكبار العالمي.

يأمل الكاتب أن يسود العالم مبدأ الاندماج الإنساني السياسي بعيداً عن الدين، لأنه يعتقد أن الجمع بين الدين

والسياسة هو المولّد الحقيقي لداء الإسلام، كما يرفض الديانة الواحدة على تأويل أستاذه ابن عربي القائل في كتابه «التجليات الإلهية»: «كم وليٍّ حبيب في البيع والكنائس. كم من عدوٍّ بغيض في الصلوات والمساجد»(*). ويقترح كدواء لداء الإسلام إعادة الدول العربية والإسلامية النظر في برامجها التربوية المدرسية التي تغذي الضمائر بالأصولية المريضة، ويعني الوهابية في المملكة العربية السعودية بشكل خاص ومتكرر في الكتاب. كما يرى لعلاج الداء الإسلامي ضرورة الانفتاح والحوار ومكافحة السوابق المرضية انطلاقاً من القرون الوسطى حتى اليوم. ويعني الحشاشين والإسماعيلية ومن قبلها أصولية أحمد بن حنبل وابن تيمية وصولاً إلى الفكر المصروع(**) المريض للمودودي وسيد قطب وحسن البنا الذين أنتجوا التطرف والإرهاب المتمثل بأسامة بن لادن وأيمن الظواهري. ويقترح الكاتب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تضغط على السعودية لاحترام حقوق الإنسان وبخاصة حقوق المرأة، وأن توقف المدّ الأصولي النابع من نظامها والمؤدي للتعصب والعنف وإصدار أحكام التكفير..(***). ويرى الكاتب بشيء من التقرير أن من علاج الإسلام وإلحاقه بالمشهد العالمي

(*) المرجع السابق ص ٢٢٤.

(**) على حد تعبير المؤلف.

(***) المرجع السابق ص ٢١٩.

المشترك والذي يشترط الغرب لتحقيقه، أي لتعليق عملية إقصائه من جانب الغرب الكفّ عن القول بأسطورة إسماعيل التي ولدت التضحية والأضحية والفداء والقتل والدم والإرهاب مؤخراً!!

يقارن الكاتب بين الفدائيين الإسماعيليين ـ الحشاشين وبين القاعدة مؤكداً على التشابه بينهما بالسرية وإتقان الإجرام، مفضلاً الإسماعيلية على الوهابية، معتبراً أن الفكر الإسماعيلي قد تطور من الفلسفة الأفلاطونية الممجِّدة للعقل، بينما تطور الفكر الوهابي من الإجرام والحقد والإرهاب. وقد شبّه الأصوليين بالدواب مستشهداً بناصر خسرو مؤكداً... «ولو أن طيف ناصر خسرو عاد بيننا واطلع على أعمال أصوليينا وكتاباتهم، لما كان من شك أنه سيرى فيهم جهلة أشبه بالدواب، ولا يستطيعون رؤية شجرة الحكمة، ولا تمييز الثمار التي تزدان بها أغصانها»(*).

يدافع المؤلف عن البوذية ويربطها بالصوفية والإسلام النقي، ويستنكر تدمير طالبان لتمثالي بوذا في باميان، ويرى أن العالم قد تخاذل عن إنقاذ هذا التراث الإنساني العالمي لصالح الأصولية والحقد، رابطاً بين تاريخي تدمير التمثالين في ٩/٣ وتدمير البرجين في ٩/١١ مؤكداً أن التدمير الأول

(*) المرجع السابق ص ١٨٣.

أدّى إلى التدمير الثاني. وفي السياق يدافع عن الصور والتماثيل وعن دورها في التوحيد الإنساني ويشيد بفهم عربي للصورة ويراه منتهى الامتداد الإنساني نحو المعتقدات كلها، مؤكداً على أن داء الإسلام يتمثل بالأصولية الوهابية ذات الأشكال السياسية للإسلام الحالي الغبي والبغيض(*).

والآن نبدأ من أول الكتاب إلى آخره، لإيضاح المزيد من حقد الكاتب وجرأته على التراث بحجة علاج داء الإسلام... يجعل الكاتب الأصولية الإسلامية «كالقمل الذي لا يصيب إلا أكثر الناس دناءة»، مستعيراً وصف فولتير للمتعصبين الكاثوليك، ضد البروتستانت في فرنسا القرن الثامن عشر... ومما لا شك فيه أن ثقافة المؤلف لا تتناسب مطلقاً مع انحيازه ضد الفريق المجهول حتى الآن، الذي فجّر برجي التجارة ووزارة الدفاع، فغالبية المنصفين يشككون برواية «بن لادن»، أما هو فيجعلها، دون دليل، حقيقة واقعية ليتمكن من صياغة «داء الإسلام» على أساسها. مع أنه أي المؤلف أجاد في ربط ظهور وتمادي هذا الداء بأمركة العالم، وهو تعبير في غاية الدقة والموضوعية. وأشير هنا إلى إيجابية راقية للمؤلف عندما قارن بين السلوك الامبراطوري العثماني الحضاري،

(*) المرجع السابق ص ١٦٠.

وبخاصة في عهدي السلطانين محمد الفاتح وسليمان القانوني، وبين السلوك الإمبريالي الأمريكي بكل شناعته، وهو الأمر الذي اعترف به روبرت مالي المستشار السابق للرئيس كلينتون في مجلس الأمن القومي، في مقال نشر في اللوموند بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ مباشرة بعنوان «مفاجآت ومفارقات أمريكية»: «... في بعض الدول العربية والأوروبية ولدى حفنة من المثقفين الأمريكيين هناك إيحاء بأن السياسة الأمريكية هي المسؤولة الأولى عن هجمات ١١ سبتمبر: من العقوبات المفروضة على العراق وقصفه، إلى الموقف المنحاز إلى إسرائيل، إلى دعم الأنظمة القمعية في العالم العربي، كل هذا يوضح لماذا اختار الإرهابيون هدفهم، فهل الولايات المتحدة ضحية سياستها؟».. هذا التوجه هو ذاته الذي دفع الرئيس الأسبق كارتر للاعتراف، وهو يتسلم جائزة نوبل للسلام، بأن العالم مدعو لتجريد الولايات المتحدة الأمريكية من أسلحة الدمار الشامل... وأن الرئيس بوش إرهابي أيضاً لا صدام حسين وحده».

وعبد الوهاب المؤدب يفقد اتزانه تماماً كباحث عندما يتحدث عن بدء الحداثة الشعرية عند أبي نؤاس، فهو يقدّسه تقريباً، لأنه تخلّى في شعره عن أصول مجتمعه وأدبه ودينه(*). والمؤدب يتمنى على الله لو أن المعتزلة تمكنوا

(*) المصدر السابق ص ٣٠.

في القرن التاسع أيام المأمون من فرض نظرية خلق القرآن، إذن، لتمكنوا منذ زمن طويل من القضاء على فكرة قدسية النص القرآني، ولانطلقوا بالعبث بالأحكام كما يشاء لهم العقل، ولما وصل الحال إلى فكر ابن حنبل الأصولي الذي نعاني منه اليوم. والمؤلف يربط ربطاً صريحاً بين تحرر الإنسان من القضاء والقدر باعتباره تحرراً من القيود العقائدية، وبين الحرية التي تؤهل الأمم للإبداع. وهو يغفل عن أن الإبداع وإنشاء الحضارة قد حصل فعلاً في الزمن الإسلامي مع بقاء ذلك الأصل وتجذّره.

عمل عبد الوهاب المؤدب جاهداً لربط الإنجازات الأوروبية بالجذور اليونانية وتهميش الرواد المسلمين، وعند الضرورة فقط جعل الرواد المسلمين مجرد نقلة أذكياء للتراث اليوناني، على الأنماط الإشراقية والفلسفية مع التأكيد على أن ثقافة المؤلف، ورغبته بالحصول على أكبر قدر من علامات الرضى من مهندسي الثقافة الغربية وأصحاب الصالونات المرتبطة بعصر الأنوار... جعلته مضطراً إزاء التطور التقني الذي وصلت إليه أوروبا، وخلقت بموجبه القطيعة الشهيرة بين حضارتها (إن صحّ التعبير) وبين الحضارة الإسلامية، بل وحضارات الشرق دفعة واحدة. إن فكرة الذنب وعقدة الدونية أو احتقار الذات، التي حاول المؤلف لصقها بالعرب والمسلمين تمهيداً لربطهم بالإرهاب، هي ذاتها عقد الدونية التي

تلاحق المؤلف، حتى في عرضه لأبهى فترات النمو الحضاري الإسلامي، حين كانت أوروبا تضع الشمع في «منافذ» المصروع حتى يشفى بالموت طبعاً. وعندما يعرض المؤلف لجبروت فرنسا وطغيانها في الجزائر، يُعالج الأمر بالكثير من الرويّة الفلسفية التي تميّع طبائع الاستبداد، وتجعل الممارسات الفرنسية أخيراً مجرد سعي وراء الدولة القوية!!

عبر صفحات كثيرة عني بها المؤلف في مضمار التجديد والنهضة، بين محمد عبده والأفغاني وقاسم أمين وطه حسين وعلي عبد الرزاق، يبدو أن مفهوم الإسلام الحضاري بنظر المؤدب، يتلاءم حتماً مع سفور المرأة وخروجها عن التقاليد (على نمط نساء الغزو النابليوني لمصر، حيث بدأت مشاريع النساء من أجل الترفيه تحت ستار حرية المرأة)، ويتلاءم كذلك مع رفض الالتزام بالنصوص، حتى وإن كانت هي المؤسّسة للدين بكل أبعاده. ومما لا شك فيه أن ضريبة التعميم، والرغبة في استخلاص النتائج الكلية، والتأكيد على إرهابية الإسلام السلفي، وهو ما يُرضي التوجه الأمريكي الحالي، ذلك كله جعل مقتطفات المؤلف غير ذات قيمة تحليلية وغير ذات قيمة فكرية، فالقارىء يعرف قبل أن يُنهي كل فصل من الكتاب بأن المؤلف يحقد على الالتزام حتى ولو كان بالأخلاق ما دام أصولياً!!

في القسم الثاني من الكتاب يربط المؤلف بين أحمد بن حنبل وتلميذه ابن تيمية وبين الأصولية الشاذة، معتبراً أن ابن حنبل قضى على حركة الانعتاق الإسلامي في القرن التاسع الميلادي عندما دعى لحرفية النصوص القرآنية والبعد عن التأويل، بينما قيّد ابن تيمية الإسلام بمفاهيم جامدة صلدة قوامها الحدود. وقد ربط المؤلف بين داء الإسلام (مع كل غباء هذه التسمية) وبين كتاب «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» الذي بيّن منهجية ابن تيمية في تلازم الدعوة والحكم... ويخلص المؤدب إلى أنه قد يقبل مفهوم «كانط» للقانون الجزائي (الظالم بنظره)، ولكنه لن يقبل عقيدة ابن تيمية الداعية للأصولية، على ما بينهما من رابط جوهري(*)، رافضاً فكرة تلازم المسارين الديني والسياسي في الإسلام أصلاً، رافضاً أيضاً ربط المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى، لأن ذلك مما أدّى لاحقاً للإرهاب والانعزال وللأصولية الممقوتة. وبينما يشيد المؤلف بأكبر نجاح حققته البشرية عبر المسيحية الأوروبية، ويشيد بدولة إسرائيل اليهودية، فإنه لا يرى بالدولة الإسلامية في عصرنا الحاضر، غير البؤس السياسي والعسكري وغير الفشل والانهزام. والقارىء يحار هنا كثيراً بهذا الربط المزعج. أهو من باب التشفي بالإسلام أم من باب محاكمة

(*) المصدر السابق ص ٦٢.

التاريخ، ولا يخفى أن المؤلف يعيب على ابن تيمية من ضمن عيوبه الكثيرة بنظره تنكره للصوفية، وكثرة مشاغباته الفقهية السياسية التي أدّت إلى سجنه مرات عديدة، ثم موته في السجن، كما روى المؤلف عن ابن بطوطة.

يرى المؤلف أن التلازم بين الدين والسياسة هو أصل داء الإسلام، الذي أورث تاريخه هذا الكمّ الضخم من التخلف. ويرى أن الخلافة ليست فريضة دينية لا في قرآن ولا في سنّة(*)، ويستشهد بذلك بالشيخ علي عبد الرزاق الذي قال: «وليس القرآن وحده هو الذي أهمل تلك الخلافة ولم يتصدّ لها بل السنّة كالقرآن أيضاً، وقد تركتها ولم تتعرض لها». ويرى أنه (لو) أدرك المسلمون جيداً قيمة فصل الديني عن السياسي لما تخلفوا هذا التخلف المشين ولما وصلت الأصولية بهم إلى هذه المواصيل التي نراها في العديد من الدول التي تؤله الأمير. ولا ينسى الكاتب أن يشيد بالملك فريدريك الثاني الذي قاد الحملة الصليبية على بيت المقدس بدعوة من ابن صلاح الدين السلطان الكامل ملك مصر، نكاية بأخيه السلطان الأشرف ملك دمشق، والذي نصّب نفسه امبراطوراً في كنيسة القيامة برغم خلافه مع بابا روما... وهذا السلوك في فصل السلطات برأي الكاتب يشبه ما حققه الظاهر بيبرس في القاهرة عام

(*) المصدر السابق ص ٩٨.

١٢٦٠ عندما ترك الحكم لنفسه وترك الخلافة (الدينية) لرجل من العباسيين استقدمه من بغداد بعد سيطرة التتار عليها، ونصّبه خليفة وظلاً للّه على الأرض(*)، وهي استنتاجات مريضة وملتوية جدّاً.

يرى المؤدب أن الأصولية (داء الإسلام) امتدّت من أحمد بن حنبل إلى ابن تيمية ثم إلى محمد بن عبد الوهاب... ثم أثّرت بشكل ضخم في فكر حسن البنا والمودودي وسيد قطب وهم بنظره أقطاب التطرف في الفكر الإسلامي الحديث، ومن عباءتهم خرج بن لادن والظواهري وهم المسؤولون الحقيقيون عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر، كما أنهم هم المسؤلون عن انتشار داء الإسلاَم الذي أدّى للقطيعة بين الشرق وأوروبا وبالتالي أدّى إلى تخلف الشرق بكل نواحيه وتقدم أوروبا بكل نواحيها(**).

انطلاقاً من أن «محمد عطا لم ينزل من السماء»، بل هو من صنع الواقع المصري الذي أنجب وجوهاً كثيرة من هذه الطينة»، يتهجم المؤلف بشيء من الحقد على شيخ الأزهر أحمد الطنطاوي، ويُسخّف ربطه في كتابه «بنو إسرائيل في القرآن والسنّة» بين يهود المدينة في عهد الرسول ﷺ ويهود إسرائيل اليوم داعياً الدولة المصرية لكف يد الأزهر حتى لا

(*) المرجع السابق ص ١٠٩.

(**) المرجع السابق ص ١٢٥.

يصبح سلطة على الأرواح. ويعتقد المؤلف أن الإعلام العربي يساهم بفعالية كبيرة في نشر الأصولية عبر التبجح بالأفعال الإرهابية على أنها أفعال بطولية!!

في الفصل ٢٣ يتطرّق المؤلف لأمر في غاية الغرابة ويمكن أن نصفه بأنه نوع من «البورنو» الموصوف بألفاظ حاقدة، فهو يرى أن المجتمع الإسلامي انتقل من التقاليد القائمة على حب الحياة إلى حقيقة احتشام تزخر بالكراهية للمشاعر الحسية»... «فالشوارع تزداد قبحاً حين تجول فيها أجسام متثاقلة كفّت عن العناية بنفسها، وقد انطفأ الحسّ الجمالي بمجرد أن قُضي على علاقة الإغراء بين الجنسين»(*). ويستخف المؤلف في هذا المضمار من اعتبار الزواج الشرعي هو النكاح، ويعتبر أن الجنس كان أساساً في المجتمعات الإسلامية، بحجة ما في ألف ليلة وليلة من الأوصاف الجنسية التي اعتبرها المسلمون هبة إلهية. ويقول بأن أول إجراء سنّه المسيحيون بعد فتح الأندلس هو إغلاق الحمامات العامة، التي بلغ عددها في قرطبة وحدها مئتين وسبعين حماماً.. ثم يهاجم صراحة وبوضوح الحجاب والمناديل التي يُسمي الملتزمين فيها بـ «مرضى الكراهية والحقد»(**): لقد تحولت القاهرة إلى

(*) المرجع السابق ص ١٤١.

(**) المرجع السابق ص ١٤٣.

جحيم بعدما كانت جنة. يقول الكاتب واصفاً القاهرة: أضف إلى التلوث... الدعوات الصاخبة إلى الصلاة عبر مكبرات الصوت لدرجة أنها تزعج الأموات في قبورهم... ويقارن بين القاهرة المريضة بالعدمية والحقد لأنها محتشمة، وبين المدينة الغربية التي تحررت من الضغوط الموروثة... ويهاجم بشدة المتدينين: وهم في أفضل الأحوال من السذاجة بحيث يسمحون بأن تنطلي عليهم أحابيل اللاوعي، منافقون يُهيئون الساحة لرغبات الانتهاك وراء الجدران في مخادعهم أو في البلدان التي يشنّعون عليها، بعيداً عن أنظار بني قومهم(*).

يقرر المؤلف بشيء من التعالي أن هدف الوهابية هو العمل على نسيان الجسد وما يحيط به من أدات وفضاء وما يجسّد الجمال. كل هذه الإلغاءات تعمّم فقدان الذاكرة وهي إحدى مميزات الداء الذي يصيب المسلم. وينضم المؤلف إلى عديد المفكرين الرابط بين الفكر الوهابي والإرهاب الدولي معتبراً أموال المملكة العربية السعودية ودعمها المطلق للوهابية السبب الأساسي في داء الإسلام، الذي تفجّر بصورة عالية التقنية في أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١. وما من شك أن تبسيط الثورة ضد الإرهاب سواء الروسي أو الأمريكي وربطه مباشرة بالوهابية هو مسخ

(*) المرجع السابق ص ١٤٦.

للتحول العالمي الذي بدأ يتنامى في العالم الإسلامي ضد الطاغوت بألوانه وسلطاته... ويلجأ الكاتب إلى التزوير التاريخي، بعد التسطيح، فيدّعي أن مأساة الجزائر قد نشأت من الأصولية الوهابية حيث انتقل المجاهدون «الأفغان» من جبال هندوكوش إلى جبال الأورال، وباعتراضهم على تعطيل نتائج الانتخابات التي فاز بها الإسلاميون فوزاً ساحقاً عام ١٩٩٢، بدأ العنف العسكري (الوهابي) في الجزائر(*).

لا يشعر الكاتب بأدنى خجل أو حياء وهو يُفضل المدينة الغربية، الغارقة في المجون على أوصاف أبو فرج الأصفهاني، على المدينة المنورة التي نشأت الدولة الإسلامية في أحضانها الطاهرة، وذلك في معرض رفضه لأحلام طالبان بإنشاء المدينة الإسلامية في أفغانستان، والذي يؤلم حقاً هو ارتباط الكاتب بالمعاني الغنائية الغزلية، وكأنه جزء من فرقة كاباري مجاني عبر التاريخ، مفضلاً دائماً ذلك الجو الأحمر على صهيل المجاهدين وأمجادهم...

ليس فيما سلف من اعتداء على حرية المؤلف في التأليف، فكما هاجم المؤلف كل ما لا يراه حضارياً من

(*) وهي معلومات نقلها الكاتب عن بحث لمحمد المقدم بعنوان «رحلة الأفغان الجزائريين من القاعدة إلى الجماعة» نشر في الحياة عام ٢٠٠١، وهو بحث لا يخلو من المغالطات.

وجهة نظره، أهاجم فيه كل ما لا أراه حضارياً من وجهة نظري، ولكلّ ما يراه، مع الاحترام الشديد لكتاب المؤلف «قبر ابن عربي»!!



وثيقة غزو العالم!!

مع كثرة التهديدات الأمريكية ضد العراق وضد العالم الإسلامي وكثرة السيناريوهات وكثرة التوقعات، مع الحشود في الأرض والمياه العربية التي أصبحت تكفي لحرب عالمية ثالثة. هناك حقيقة واحدة تظهر جليّة دون حاجة للتأويل، وهي العداء الغربي للإسلام وللعرب، والترابط العضوي التفصيلي بين التطرف الصهيوني في إسرائيل والتطرف المسيحي في الغرب، والتقائهما حول تلك الحقيقة.

ولئن كانت بريطانيا قد ساهمت في رسم خريطة الشرق الأوسط في بداية القرن العشرين. فإن الولايات المتحدة الأمريكية ترغب بإعادة رسم تلك الخريطة في بداية القرن الحادي والعشرين، وكأن العالم العربي تحديداً، لا يختلف كثيراً، أمام بريطانيا وأمريكا، عن رقعة الشطرنج، حيث وصل «اللاعب» في لعبته الجديدة إلى مرحلة «كش ملك» في مصر وسورية والسعودية بعد العراق طبعاً. . . ولا يسعنا هنا إلا أن نتذكر كتاب (لعبة الأمم) لمايلز كوبلاند رئيس الجاسوسية الأمريكية في الستينات، وكيف جعل الدول

الكبرى كلاعب الشطرنج، الذي لا يجد مكاناً للضعيف بل ولا يحترمه أصلاً.

ماكس زينغر، خبير استراتيجي مقرّب جداً من الإدارة الأمريكية، يرأس معهد هدسون للدراسات السياسية والاستراتيجية في الولايات المتحدة، ويُعدّ منذ سنوات خطة متكاملة للصراع ضد ما سماه الإسلام الجهادي أو الإسلام السياسي المسلح... ويرى أن الحرب ضد هذا «الإسلام» قد تستمر بأشكال متعددة حتى ٢٠٢٠!!

يرى زينغر أن هناك جبهة إسلامية عالمية آخذة بالتكوّن والتبلور، وستضم هذه الجبهة العديد من الأطراف المعادية للغرب ولحضارته، في داخل الولايات المتحدة وخارجها، وستستمر بالجهاد ضد المصالح الأمريكية، مستخدمة كل الوسائل الإرهابية التي ربما تكون على مستويات متطورة جداً. يرى زينغر أن وجود تلك الجبهة «غير محددة بالتقرير الذي أطلقه معهد هدسون» سيؤدي حتماً إلى قيام الولايات المتحدة بحروب وقائية في العالم الإسلامي، كالحرب في أفغانستان، وكالحرب المزمعة على العراق، يتم بنتيجتها سقوط أنظمة وزعامات وقيام أنظمة وزعامات بديلة، تكون أكثر طواعية وملاءمة للولايات المتحدة في خططها للسيطرة على العالم الذي تنتمي له هذه الجبهة. ويفترض زينغر أن المتطرفين الإسلاميين أو الجهاديين سيسيطرون على الحكم في العديد من الدول العربية والإسلامية، لمجابهة المخطط

الأمريكي، وأن دولاً إسلامية مثل مصر والعراق والسعودية وإيران ستتمكن من الحصول على السلاح النووي، وربما السلاح الجرثومي أيضاً، وسيكون الشرق الأوسط مجالاً ضخماً للصراعات البينية، ومجالاً للصراعات ضد الغرب وأمريكا أيضاً.

أما إسرائيل فيرى زينغر أنها ستظل الأقوى وأنها ستتعرض لهجمات إسلامية متعاظمة وستدفع ثمن وجودها أثماناً باهظة...

وزينغر يمتد بتصوراته السوداوية إلى كل الأقطار التي توجد فيها أقليات إسلامية، فهو يتوقع للهند أن تفتت إلى دويلات بحسب التواجد الفعلي للمسلمين فيها. وهو بالعموم يرى أن المسلمين بحد ذاتهم سيتحولون إلى قنابل موقوتة أينما وجدوا في العالم... وأنه لا محالة، سيأتي اليوم الذي تتبلور فيه الصراعات بل والقطيعة بين أمريكا والغرب من جهة وبين الدول الإسلامية، أو بعضها على الأقل، من جهة ثانية، وربما امتدت تلك القطيعة إلى التجارة والتعليم والسياحة. وللبترول في مخططات زينغر مكان مرموق فإمداداته للغرب لن تتأثر بالصراعات المذكورة إذ ستفي فنزويلا(*) وغرب أفريقيا عند الضرورة بحاجة

(*) قد يكون لهذا التقرير علاقة بالاضطرابات والاضرابات التي تعمّ فنزويلا منذ أشهر طويلة، تطالب باستقالة الرئيس شيفيز المناوىء للسياسة الأمريكية.

الدول الغربية من كميات البترول الاستراتيجية اللازمة لبرامجها التنموية.

طرح زينغر تصوراته وخططه الأخيرة في مؤتمر هرتزليا السنوي، الذي ينظمه مركز هرتزليا في إسرائيل، برئاسة رجل الموساد الشهير ومستشار نتنياهو السياسي الدكتور عوزي أراد، الذي جمع في هذا المؤتمر، أهم مراكز الدراسات الاستراتيجية العالمية، المهتمة بالإسلام السياسي وكيفية محاصرته والقضاء عليه، وأهم رجال الإدارة الأمريكية والأحزاب الفاعلة في إسرائيل. ولا يخفى على أحد ما لاشتراك زينغر في مؤتمر هرتزليا لهذه الدورة بالذات، دورة عام ٢٠٠٢، والولايات المتحدة تخطط لغزو العراق، من أهمية استراتيجية فائقة.

يقسم زينغر العالم الإسلامي إلى ثلاثة أقسام: القسم المستغرب، والقسم الرافض للغرب ـ الداعي للتعايش مع الحضارة الغربية، وأخيراً القسم المتطرف بنظرته للغرب والداعي لمحاربته بكل أشكال القوة. يرى زينغر أن التطرف الإسلامي سيسيطر على ٩٠٠ مليون إنسان مسلم في العالم بينما سيظل في العالم الإسلامي ٤٠٠ مليون مسلم معارض للتطرف. وأن التطرف سيؤدي حتماً إلى سقوط عشرات آلاف القتلى حتى ٢٠٢٠ في إسرائيل والغرب وأمريكا، وأن على هذه الدول المتضررة من الإسلام العسكري أن تخطط للقضاء عليه ضمن المستويات التالية:

١ ـ إسقاط نظام صدام حسين من العراق، وذلك باعتماد المؤتمر الوطني العراقي بديلاً للنظام القائم في بغداد. وإسقاط النظام الإسلامي من إيران وتحويلها إلى دولة علمانية ودعم نظم الحداثة في كل من مصر وتركيا وسوريا. تقوية الدولة اللبنانية لبسط سلطها على كامل أراضيها وتقليص دور سوريا فيها(*).

٢ ـ طرد المنظمات «الإرهابية» (حسب تعبير زينغر) من سوريا واليمن والسودان وليبيا، والبدء بالمفاوضات لحل الصراع العربي الإسرائيلي، على أن يتضمن ذلك توطين اللاجئين والقضاء على «الإرهابيين». ومن البديهي أن زينغر يمثل في كل أطروحاته التوجه الصهيوني والأمريكي المتطرف، فلا حاجة لذكر ذلك بعد كل فقرة.

٣ ـ القضاء على المنظمات «الإرهابية» بالقضاء على مراكز ارتكازها جغرافياً ومالياً، وهو يُشير هنا بكل صلافة إلى المملكة العربية السعودية وسوريا وإيران. بموجب توجهات زيغر وعوزي أراد وأمثالهما من خبراء المخابرات، فقد أصدرت الإدارة الأمريكية وثيقة حكومية في النصف الثاني من سبتمبر ٢٠٠٢ باسم

(*) مما يشير إلى الخطوة القادمة ضد حزب الله وتخليص إسرائيل من توازن الرعب الذي يمنعها من بسط هيمنتها على المنطقة والقضاء المبرم على الانتفاضة الفلسطينية.

«استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة»، تشير صراحة إلى العديد مما ذكره زينغر ومما يراه أراد في معهديهما المذكورين، وبالأخص فيما يتعلق بالحرب على ما تسميه الوثيقة بالإرهاب (دون تعريفه)، وبناء التحالفات الدولية لهزيمة الدول التي تملك أسلحة الدمار الشامل (باستثناء إسرائيل)، والتعامل مع العالم باعتبار أمريكا هي القوة الكبرى والوحيدة في العالم. وتُشير الوثيقة بصراحة إلى أن الولايات المتحدة ستستخدم كافة الوسائل بما فيها المساعدات الخارجية والدبلوماسية والمؤسسات الدولية (كالأمم المتحدة والبنك الدولي وصندوق النقد والمعاهد العالمية. . .) لفرض سياساتها ولضمان إنهاء الإرهاب (يُسمّيه زينغر: الإسلام المسلح)، وتغيير الأنظمة التي ترعاه، مما يضمن للولايات المتحدة الحق بضربات وقائية استباقية نووية إذا ما اقتضى الأمر على أي منطقة في العالم. . .

من هنا علينا ألا ننظر للحرب المزمعة ضد العراق إن حدثت أو لم تحدث، على أنها الحرب الوحيدة أو الأخيرة في المنطقة، بل على أنها الجولة الأولى في سلسلة الحروب الأمريكية لتغيير العالم الإسلامي كله، وهو الأمر الذي لم يعد سراً، ولم يعد مموّهاً بل أصبح كالشمس ضمن وثيقة غير سرية منتشرة في جميع أنحاء العالم. . . إنها وثيقة الامبراطورية الأمريكية الجديدة لغزو العالم!!

الجزء الثاني

التطرف الصهيوني والإسلام

التنـــازل!!

في خفايا التاريخ أن الجيوش العربية ربما تكون قد ساهمت في تسليم الأراضي الفلسطينية للدولة الصهيونية، وبخاصة عبر الجنرال غلوب باشا القائد الأعلى للجيوش العربية الداخلة إلى فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥ لتحريرها من المغتصبين (!!). وفي خفايا التاريخ أيضاً أن هذا الإنجليزي قد سلّم اليهود عام ١٩٤٨ من أرض فلسطين أضعاف ما استولوا عليه في كل تاريخهم الاستدماري بعد سقوط الدولة العثمانية وعزل السلطان عبد الحميد الذي كان الحصن الحصين في وجه الاستيطان اليهودي في فلسطين.

حتى بداية عام ١٩٤٨ واليهود لا يملكون سوى ٢مليون دونم من أصل ٧٢,٢ مليون دونم من أرض فلسطين. بعد قرار التقسيم وبداية الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ احتلت إسرائيل ٧٧,٥٪ من الأرض الفلسطينية وذلك عبر المؤامرات. ومن ذلك أن العديد من العائلات اللبنانية ـ السورية قد سارعت لبيع ممتلكاتها وأراضيها في

فلسطين. فقد باعت تلك الأسر مرج ابن عامر ومساحته حوالي ٤٠٠ ألف دونم للصهاينة. ووادي الحوارث ومساحته حوالى ٣٢٠ ألف دونم. كما باعت أيضاً ممتلكاتها في الحولة وطولكرم وجنين وبيسان وعكا وصفد والناصرة، أما العائلات الفلسطينية فقد باعت حوالى ٣٠٠ ألف دونم للصهاينة، واعتبرت آنذاك بموجب فتاوى المشايخ، خائنة لاقت جزاءها قتلا وتذبيحاً على أيدي المجاهدين.

المساحات الكبرى من أرض فلسطين التي تملّكها اليهود، إمّا بيعت من الولاة الأتراك الخونة وتُقدر مساحتها بحوالى ٦٥٠ ألف دونم، وإمّا قدمها المندوب السامي البريطاني للوكالة اليهودية بالمجان وتُقدر مساحتها بأكثر من مليوني دونم، والأهم من كل ذلك أن غلوب باشا لعب دوراً رئيسياً في تسليم الأرض الفلسطينية لليهود وبخاصة أرض اللد والرملة، أرض الجليلين، الشونة والخليل، وصحراء النقب وما حولها، وتقدر مساحتها بحوالى ١٧ مليون دونم. أمّا القدس المسكينة، فلم يكن لليهود فيها عام ١٩١٨ سوى ٤٪ بينما يملك العرب ٩٤٪ وتملك الطوائف الأجنبية ٢٪ من مساحتها الكلية. خلال فترة الانتداب تمكن الصهاينة من زيادة ملكيتهم في القدس إلى ١٤٪ على حساب العرب. أما الزمن الحاسم في ملكية القدس فقد كان بعد تسلّم العرب لزمام الدفاع عنها عام

١٩٤٨، حيث أصبح اليهود يملكون ٧٣٪ من أرض القدس بينما لا يملك العرب سوى ٢٥٪، أما القدس الشرقية القديمة التي بقيت بيد العرب ومساحتها ٩٢٧ دونماً، فلم يكن بيد اليهود منها سوى أربعون دونماً حتى حرب ٦٧ حيث أصبح لليهود ٨٤٪ منها وللعرب ١٦٪ فقط. والآن عن أي جزء سيتنازل العرب؟ بل ماذا بقي بيد العرب ليتنازلوا عنه؟



العبيد

التفاصيل سنتركها للمؤرخين، أما بالعموم فإن الأرض الفلسطينية تتعرض لحملة من المجازر المتكررة والمنظمة بقصدين، الأول هو إهدار كرامة العرب عموماً، والقصد الثاني هو الانتقام الصهيوني من الوجود الفلسطيني ومن الدم الفلسطيني ومن الاستشهاد الفلسطيني، على أمل كسر شوكة هذا الشعب الأبي وتركيعه، كما فعل بعض الحكام بشعوبهم.

التفاصيل عن مجازر مخيم جنين انتشرت في معظم وسائل الإعلام ولكن الأصل في الأمر، أن تلك المجازر قد بدأت وانتهت وسحق المخيم وانتهت الجولة، في ظل صمت عالمي وعربي. حتى وإن تعالت القعقعات والجعجعات والهتافات والأصوات، على سياسة: العرب يصرخون والصهاينة يقتلون. الصهاينة لم يقتلوا أبناءنا فحسب، بل مثّلوا بجثثهم ولذلك فهم يرفضون قرارات الشرعية الدولية بإيفاد لجنة لتقصّي الحقائق، وهم أي

الصهاينة سرقوا أعضاء أجسام القتلى ومثّلوا بالموتى ولهوا بالشهداء، وبخاصة الأطفال.. وسنذكر حادثة واحدة لتأكيد التواطؤ العالمي على الدم العربي الفلسطيني، وهي حادثة أطفال غزّة: محمد أحمد لبد وأحمد محمد بنات ومحمد المدهون، وجميعهم طلاب مدرسة في السادسة عشرة من العمر... راقبتهم الدبابات الصهيونية وهم يلعبون في محيط بيوتهم، فأطلقت عليهم قذيفة مسمارية تكفي لتدمير دبابة، تناثرت أشلاء اثنين من الأطفال، وبقي الثالث على قيد الحياة يلفظ أنفاسه، لملم الصهاينة الجثث والصبي الذي يلفظ أنفاسه وأُخذوا جميعاً للتمثيل بهم أولاً ثم لاستخدامهم كفئران للتجارب الطبية، أخذت منهم الأعضاء النافعة لاستخدامها في عمليات نقل الأعضاء، وبعد أشهر طويلة أعيدت الجثث وهي تشبه كل شيء سوى الجثث البشرية... التهتك والدهس والتمزق كان جزءاً من الذي حدث للجثث التي وصلت فارغة من أحشائها وأعضائها الداخلية... لك الله يا أجساد الشهداء: محمد وأحمد ومحمد، ولك الله أيها الضمير العالمي الأصمَ!!

بينما تملأ الأغنيات والأناشيد السماء العربية والعالمية، تستمر التبادلات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية مع أمريكا، التي تموّل إسرائيل وتقويها عالمياً للقيام بواجبها الاستدماري في فلسطين، كما تستمر

وتتنامى نشاطات العصابات الصهيونية الإجرامية، القديمة/ الجديدة (*)، في الأرض المحتلة: عصابة كتائب شلهيفيت، عصابة المستوطنات، عصابة «انتقاماً للرضع»، عصابة الحرس المدني، وكلها عصابات مسلحة منظمة تدعمها الشرطة الصهيونية وتمولها الدولة ولها جذور تنظيمية في المجموعات الصهيونية العالمية، وهي تقتل وتدمر يومياً وتخطط وتنفذ للقضاء على كل شيء له علاقة بالفلسطينيين في فلسطين، وكأن الجيش الصهيوني المجرم ليس كافياً لتنفيذ المجازر فتدخلت العصابات الأهلية لدعمه في أكبر مجزرة نراها في زمن الانهزام العربي الحديث، مجزرة جنين.

ترى لمن يُترك الفلسطينيون؟ للعصابات الصهيونية أم للجيش الصهيوني؟! لمن يُترك الفلسطينيون؟ للقتل والموت من الجوع والعطش والحصار أم للصمت العربي والعالمي؟ وأين الخطة العربية تجاه المجازر في فلسطين، وهل نكتفي بالشجب أم نبدأ بالفعل؟

إذا كان الفعل هو المطلوب، وهذا ما تُجمع عليه الشعوب العربية المنتفضة في كل مكان، فلتبدأ حكوماتنا

(*) الكثير عن العصابات الصهيونية نجده في كتاب «التمرد» للإرهابي بيجين، نشر عام ١٩٥١، ويخص دور عصابة الأرغون في تأسيس الدولة الصهيونية في فلسطين.

بتحويل أقسام ودوائر المخابرات المتخصصة بقمع الشعب إلى دوائر ثقافية، ولتبدأ بمنح المواطنين حريتهم، طريقاً لمقابلة المجازر الصهيونية بما يناسبها من الرد، ولتفتح لهم مجالاً للتفكير الحر ثم لمقاومة العدو، فالعين بالعين والسن بالسن والبادىء أظلم، وإلا فإن المنظمات الصهيونية الجديدة قد قررت الإبادة الجماعية للعرب بلا حدود، وها هو الحاخام مائير كاهانا مجرم حركة (كاخ) ينادي: أيها اليهود اشتروا الأسلحة. . . بالقوة تتحقق الأهداف، وهو يقول صراحة بأن العنف هو الكفيل بإزالة العرب الغرباء من أرض إسرائيل، ولإقامة مملكة إسرائيل لا بد من ضم المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ وإجلاء جميع أعداء اليهود والقضاء على كل عبادة في جبل الهيكل، أي في مسجدي الصخرة والأقصى، إلاّ العبادة اليهودية.

نحن اليوم بحاجة إلى الحرية لنبدأ!!



الذئــب !!

الذئب، الذي أراد حجة لأكل النعجة المسكينة، فاتهمها بأنها تسخر منه بليّ فمها، وهو يدرك تماماً، بذئبيته الفطرية، أنها تجترّ ما بداخلها فقط.

الذئب الذي اتهم الحمار في مملكة الحيوان، بأنه رعى عشب الدير وتعدّى على المحرمات، فانقض عليه مع بقية المفترسين.

الضبع، الذي فتك بالأبرياء، وحرق القرى والأرض والهواء لإشباع نهمه الإجرامي، لا لشيء إلا أنه قوي، والآخر أضعف.

الجنود الذين أكلوا لحوم الأطفال والصبايا في صبرا وشاتيلا، والذين أصروا على قتل الحيوانات أيضاً، لأنها حملت الفلسطينيين على ظهورها.

أمريكا التي أفنت ملايين الهنود الحمر لإقامة الإمبراطورية الجديدة في أوروبا الجديدة. أمريكا التي حصدت آلاف النفوس بلا هوادة، في هيروشيما وناجازاكي

وفيتنام وأفغانستان والعراق، والحبل على الجرار.

إسرائيل، التي سرقت ديار الآخرين، وأعمارهم ومستقبلهم وأحلامهم، والتي تستخدم سلطان القوة الأمريكية، لتحقيق وجودها القذر على أقدس البقاع وأشرف المرابع.

إسرائيل التي ترفض الحق والشرعية الدولية... وتستخف بنداءات الأبرياء وبخضاب دمائهم.

وأنتم أيها الفلسطينيون في الأرض المحتلة، استمروا في جهادكم، وأحكموا الرمية، احرصوا على أن تصوبوا بنادقكم وزجاجاتكم الحارقة ومقاليعكم وهتافاتكم إلى نحر الصهاينة، فإذا أصبتم الكبد أصبتم أعداءكم في مقتل، لأن أعداءكم لا قلوب لهم، ومن لا قلب له لا روح فيه.. إياكم والتنازل، فأنتم الآن في قمة المجد، وشهداؤكم هم الأحياء.

قال لي صديق: الحق على مين، على أمريكا أم على القاعدة!

قلت: أية قاعدة؟ على علمي أننا نعيش بدون قاعدة.

من سقطات الزمخشري !!

من سقطات الزمخشري المشهورة، وهو شيخ اللغة وفارسها، تأويله لقول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ بأن (إلى) في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ لا تعدو كونها مفرد «آلاء» بمعنى نعم، فتتحول دلالة (إلى) الحرف إلى دلالة (إلى) الاسم، وتصبح (إلى) في الآية الكريمة اسماً منصوباً مفعولاً لكلمة (ناظرة).

هذا الضياع الزمخشري، بل هذا التحريف في تحوير دلالة الآية الواضحة، بأن المؤمنين الصادقين يرون الله تعالى وهم في جناته، لم يكن إلا لإرضاء التميز المعتزلي أو خوفاً من شيء يجول في الخواطر. هذا التحريف والتحوير القديم هو ذاته الذي عانينا منه بعد مؤتمر القمة العربي في بيروت، وبعد محاصرة عرفات وتعميم المجازر في الفلسطينيين على مرأى ومسمع وصمت العالم!!.

لقد عانت القضية الفلسطينية من الألفاظ الفضفاضة منذ اليوم الأول للانهزام عام ١٩٤٨م حتى اليوم حيث تتطاير أشلاؤنا على أرصفة الصهاينة، كما تتطاير مشاريعنا

ومؤتمراتنا في هواء القبائل العربية... لقد قتلتنا الألفاظ الفضفاضة وعمليات التأويل الزمخشرية: هل نرى الله تعالى يوم القيامة أم لا نراه؟ هل نسالم أم لا نسالم؟ هل نحارب أم لا نحارب؟.. هذا هو الحال العربي منذ خطابات جمال عبد الناصر النارية وصواريخه الورقية حتى لاءات الثوريين إلى الجمعة السوداء أو الجمع السوداء في فلسطين حيث تحول شارون إلى نيرون ونحن صامتون.

يأخذنا التأويل من الزمخشري إلى نص اللورد كارادون للقرار ٢٤٢ الذي وضعه الإنجليز بغموضه العتيد، خصيصاً لتمكين الصهاينة من السيطرة على المزيد من الأراضي الفلسطينية ثم احتلالها نهائياً، وكأن الهدف الذي أراده بلفور عام ١٩١٧م وتحقق جزؤه الأول عام ١٩٤٨م لم يكتمل، فجاءت الصيغة الإنجليزية المركبة للقرار ٢٤٢ لإكماله، وجاء شارون المجرم اليوم للحسم في ظلال ذلك القرار الأعرج. ألم يقل الحكماء: لو تقاتلت سمكتان في البحر، لكان الإنجليز من وراء قتالهما؟!!. وقرارات حل مسألة اللاجئين الفلسطينيين التي تمخضت عنها قمة بيروت هي الأخرى كالقرار ٢٤٢ بحاجة إلى تأويل زمخشري.

يقول القرار ٢٤٢ بعد فذلكات صاغها الإنجليز: «انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراضٍ محتلة إبان القتال الحديث البعيد..» فهل بعد هذا الإبهام من إبهام؟، وبالطبع لم يكن ذلك الإبهام مصادفة، فقد أراده الإنجليز

وأصر عليه اللورد كارادون ـ كاتب القرار ٢٤٢ـ ليُمكّن نيرون الجديد ـ شارون ـ من تحديد الأراضي العربية الجديدة التي ترغب إسرائيل بقضمها بعد حرب الخزي والعار عام ١٩٦٧م. وقرارات مسألة اللاجئين ستمكن إسرائيل من اختيار من تريد منهم ورفض من ترفض منهم أيضاً، فإسرائيل دولة حرب وإجرام وشارون ملك الحرب والإجرام.

ولأن الإنجليز يدركون أبعاد هذا الإبهام، كما يعرفون تماماً كيف يبقون العالم العربي في حالة حرب دائمة مع إسرائيل، فقد أصرّ اللورد على نصه للقرار وقال حينها: إما القرار بنصه وإلا فلا قرار. أما عرب قمة بيروت فقالوا بالسلام وانتهاء الصراع العربي الإسرائيلي دون بديل على أسلوب الزمخشري، وها هو شارون يبدأ بتنفيذ سياسة الترحيل وهدر دماء وكرامة العرب رداً على مبادرة السلام العربية...

بعد مؤتمر القمة العربية في بيروت، ماذا تغيّر من كل ذلك الإبهام؟ ولماذا لم يتمكن المؤتمرون بكل قدراتهم، من تحديد المطلوب العربي والموقف العربي، بكلمات ليس فيها مجال للتأويل، ببساطة الشكلى وببساطة حجر الانتفاضة، وهو ما يريده ويتمناه الشارع العربي الذي أصبح يكره التأويل إلى حد القرف... وماذا سنقول لأبنائنا عن القتل اليومي في فلسطين وعن الصمت العربي الرهيب؟!

حتى لا يحوّل الزمخشري الجديد حرف الجرّ إلى اسم مفعول استبعاداً لرؤية الله تعالى يوم القيامة، لا بد من الاتفاق على قرارات لا تُؤَوَّل: الجهاد حتى تحرير آخر ذرّة تراب من فلسطين، فتح الحدود العربية للمجاهدين وإخراج الصواريخ العربية من مكامنها العتيدة!!



المخابرات!!

بعد اعتقال عشرات المتظاهرين حول السفارة الإسرائيلية في إحدى الدول العربية، تساءل أحد الجرحى وهو يبكي بكاءً حاراً: لماذا يدافعون عن سفارة الدولة التي تقتلنا بوحشية الحيوانات الضارية، ولا يأبهون لما في داخلنا من غضب ولما يجري فينا من مجازر؟

وبالمحصلة بقيت السفارة في مكانها وبقي السفير في مكانه وبقيت قوات الأمن تحقق بسبب هيجان مئات آلاف المتظاهرين، وبقيت الهراوات، وخراطيم الماء المسمم، والرصاص المطاطي والكلاب والاعتقالات. . . بقي كل ذلك فاعلاً منفعلاً، وقد بحث مجلس وزراء الداخلية العرب في القاهرة، كيفية دعم الانتفاضة وإيقاف المجازر!!

هذه لوحة من أسوأ لوحات هذا القرن، في هذا الوطن المسكين فلماذا نُناقض أنفسنا بكل هذه الصلافة؟

ندعو لفتح الحدود أمام المجاهدين، ونعتقل المجاهدين عند أصغر محاولة لعبور الحدود، ندعو لدعم

الفلسطينيين المحاصرين بينما تُحاصر قوات الأمن من ينادي بدعمهم أو بإلغاء الوجود الصهيوني الدبلوماسي في بلادهم، ندعو للوحدة العربية، ونتصرف فرادى، نقول الموت لأمريكا ونقيم معها أفضل العلاقات السياسية والاقتصادية، لوحة من أسوأ لوحات هذا القرن، في هذا الوطن المسكين.

ماذا في جعبة المحققين أمام شاب شُجَ رأسه وعلاه الدم الأحمر، عن أي الأشياء سيسألونه؟

لماذا تتظاهر ضد النظام؟

أنا ضد الصهاينة ولست ضد النظام!

إذن أنت ضد النظام وضد الأمن!

خذوه ثم غلّوه، ثم الجحيم صلّوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه.

في دولة أخرى استشهد أحد من تطاول على النظام! عبرة لمن اعتبر. أما رفاقه فهم في غرف التحقيق لنفس السؤال. وبعد إجراء مسح ميداني دقيق دلّت المعلومات على أن كل أجهزة الأمن تسأل نفس الأسئلة وتتصرف ذات التصرف إزاء الشباب المعترضين، وهنا نسأل: كيف حدث كل هذا الاتفاق؟

قال أحدهم: لأن السيد واحد، ورزمة الأسئلة

والإجراءات تتبع العولمة والعدالة الكونية، فليس هناك استثناءات، وعلى كل مراكز المخابرات، في هذا الزمن الرديء، أن تلتزم بخطابات الرئيس بوش ومحتوى القرار ١٣٧٣ والتوجه الأمني الذي اتفق عليه في مجلس وزراء الداخلية العرب في بيروت قبل انعقاد مؤتمر القمة العربي فيها!!

آلاف الجرحى ينزفون في شوارع الأرض المحتلة وفي مخيم جنين، ولا تسمح قوات المجرم شارون لسيارات الإسعاف بإسعافهم. فإسرائيل ترفض لجنة تقصّي الحقائق، وترفض القرارات الدولية دفعة واحدة، وقد أمر المجرم موفاز بقصف المستشفيات ومراكز الصليب الأحمر الدولي للتأكد من موت الجرحى، الذين لا يستحقون الحياة لأنهم إرهابيون بنظره، والإرهابيون يستحقون أسوأ أشكال الموت. المجازر تستمر في كل مدن ومناطق الأرض المحتلة، الجيش الصهيوني كله يدخل هذه المعركة، بينما تكتفي الأنظمة العربية بإرسال الاعتراضات إلى الرئيس بوش وإلى الأمم المتحدة وإلى المنابر الدولية، وتكمل مراكز الأمن بكل كفاءة أيضاً حملات التحقيق مع الشباب والشابات الذين حاولوا اقتحام السفارات والمراكز الإسرائيلية في بعض الدول العربية!! لوحة من أسوأ لوحات هذا القرن في هذا الوطن المسكين.

وأنتم أيها الفلسطينيون، الصامدون أمام الوحوش

الحديدية، أنتم الأمل، أنتم أملنا في استعادة بعض ألوان اللوحة وبعض كرامتها.

على حواف هذه اللوحة هناك لون أبيض ينطلق من بدن طفل شهيد، تحمله الملائكة إلى جوار ربه، وها هو اللون الأسود، لون التحقيق في مراكز المخابرات العربية، يزول من اللوحة رغم كثافة السواد فيه!!



باعيل ومحمد برّاده!!

عَبْرَ الكاتب المغربي محمد برّادة، عرضت دار أندلس الإسرائيلية، على العديد من الكتّاب العرب، ترجمة أعمالهم إلى العبرية تحت شعار التواصل الحضاري. وقالت صاحبة الدار «باعيل ليرير» المنتمية إلى جماعة د. عزمي بشارة المسماة «التجمع الوطني الديمقراطي» أنها انتهت من ترجمة العديد من أعمال محمود درويش والطيب صالح وحنان الشيخ وجبرا إبراهيم جبرا وإلياس خوري إلى العبرية. وأنها في العديد من مواقفها لا توافق على السياسة الإسرائيلية التعسفية ضد الفلسطينيين.

محمد برّادة من المثقفين العرب الجريئين، الذين لا يرون ضرورة في اصطناع معارك إعلامية وشخصية بغير هدف محدد، لا سيّما وأن اللهجة الصهيونية أعنف بكثير، وأكثر وضوحاً وتخطيطاً مما يتصوره العديد من الإعلاميين العرب الذين يتمتعون بالمعارك الكلامية الخالية من المضمون الحقيقي.

في الأيام القليلة الماضية، تعاون برّادة مع أدونيس

ومحمود درويش والعديد من المثقفين العرب، لإلغاء مشروع إقامة مؤتمر عالمي في بيروت حول المذابح النازية. وعزى المثقفون حملتهم لأسباب عدة أهمها حاجة العرب اليوم لدعم الرأي العام العالمي. وضرورة ظهورهم بالمظهر الإنساني، وعدم الوقوع في فخ العداء للسامية والذي لن يفيد سوى الصهيونية العالمية.

قد يكون برّادة على حق في أن معظم المعارك في المنتديات الثقافية العربية تتمحور حول الأنا والمناطقية وحدود السياسة الإقليمية. ولكن ردة فعل معظم المبدعين العرب على «باعيل ليرير» مبررة ومباركة، وإن احتملت شكلاً ما من أشكال السلبية، لأن العرب اليوم إزاء صراع على مجرد وجودهم وكرامتهم. وما الخضوع لأفكار الترف الثقافي بترجمة الأدب العربي إلى العبرية في هذا الوقت بالذات (زمن الدم) وعبر دار أندلس الإسرائيلية بالذات، ما ذلك كله إلا صورة واقعية لقبول فكرة التطبيع مع الصهاينة، حتى وإن كان الفعل بحدِّ ذاته ـ أي الترجمة ـ من الوسائل الحضارية الهامة التي على الثقافة العربية أن تلجأ إليها في الاتجاهين: أي الترجمة من العربية إلى لغات العالم، والترجمة من لغات العالم إلى العربية...

عزيزي محمد برّادة أنا أقدر رأيك، ولكنني ضد المساهمة معك في الترجمة إلى العربية لا سيّما وأن الصهاينة يُترجمون من الأدب العربي فقط ما يُناسب

صراعهم مع العرب. وإن هُم ترجموا لكتاب جادّين فلا يُؤتمنوا على الترجمة، وأنت لا بدّ اطّلعت على كتاب محمد جلاء إدريس أستاذ الأدب المقارن والدراسات الإسرائيلية في كلية الآداب في جامعة طنطا، الذي أثبت العديد من صور التشويه والخيانة والإضافة والحذف في الترجمات العبرية لقصص يوسف إدريس.

وإلى «باعيل ليرير» أقول: ترجمي أولاً كتاباً عن مجازر شارون الكثيرة الشهيرة وبخاصة مجازر صبرا وشاتيلا، ولكل حادث حديثُ. أما قبل ذلك، فالعرض غير متكافىء وغير منطقي في هذا الوقت بالذات!!



المس الأسطوري !!

تاريخ العرب وبخاصة التاريخ السياسي هو الحلقة الأكثر بروزاً في سلسلة انهزامنا. حتى إن الجوانب المضيئة من ذلك التاريخ ومن تلك الثقافة، أصبحت هي الأخرى مشكوكاً فيها. أصبحنا نشك في كل حركة أو سكون من تاريخ الأمة العربية ومن ثقافاتنا العربية ومن مثقفينا العرب تحت مبرر كبير وهو أن التاريخ كذبة الأقوياء، وأن الثقافة هي ثقافة الممكن وأن المثقفين هم حملة المباخر. لذلك كله يظل المواطن العربي اليوم متردداً في قبول «المعلومة» ومتردداً في قبول «التاريخ» والثقافة، وعندما يأخذ شيئاً من هذا أو ذاك فإنه يأخذه على هواه. وبهذا يتحول تاريخنا الحديث إلى مجموعة أهواء وكلمة أهواء مشتقة من «هواء».

وعلى سبيل المثال لا الحصر حار الناس في بداية القرن العشرين في كيفية النظر إلى الانقلاب العربي على الخلافة العثمانية لصالح الإنجليز، بدأ البعض ينظرون إلى إسقاط العثمانيين على أنه الفتح الأكبر لأمة العرب. وعندما سقط العثمانيون عام ١٩٢٣م سقطت القدس أيضاً. عندما

سقط السلطان قامت إسرائيل، عندما سقط السلطان، سيطرت أوروبا على الشرق العربي. ومع ذلك تظل أفواهنا تلعن العثمانيين ونحن نعلم أنهم رغم تحجرهم وجبروتهم، إلا أنهم كانوا يُحيطون المقدسات بقلوبهم قبل مدافعهم!!

في نهاية القرن العشرين حار الناس أيضاً في كيفية النظر إلى الانقلاب العربي على الناصرية وعلى اليسار وحار الناس بالسلام مع إسرائيل. بدأ البعض ينظرون إلى عبد الناصر، وبخاصة بعد نكبة ٦٧ على أنه عدو الأمة الأول. بدأ آخرون ينظرون إلى السادات بعد زيارته القدس وبعد قوله: «إن حرب تشرين ٧٣ ستكون آخر الحروب العربية مع الكيان الإسرائيلي» على أنه بطل العبور.

في نهاية القرن العشرين أيضاً حار الناس في الزعامات الثورية وفي الإسلام الواعي والثائر. حاروا في الحروب العبثية ضد إيران، وضد الداخل العربي، وضد الذات، وضد التاريخ ذاته. حتى أصبح الإنسان العربي يعيش حائراً بين الهوس والاضطراب، وكأن الأحداث من حوله هي الجنون وكأنه هو المجنون، وكأن الأحداث من حوله هي غابة من السيوف والرماح والألغام الأرضية والصواريخ والصواعق، وهو الأعزل المشدوه إلى الحيرة والصرخات والخوف والذهان والتشتت والانفجار.

في نهاية القرن العشرين أيضاً وأيضاً، أصبح الإنسان العربي مشغولاً باستكناه المعاني الدقيقة لحالاته النفسية

الكثيرة، فهو يعاني من الهوس القتالي والنزوع إلى الثورة، وربما النزوع إلى الإرهاب لأنه مرهب من داخله ومرهب من خارجه في فكره وفي رزقه وفي أحلامه. مرهب في حاضره وفي مستقبله...

أصبح العربي يعاني من هوس السرقة والابتزاز وكأنه خارج حقيقته. أصبح يعاني من هوس الساحات والنزال. ففي بلاده جيوش دون انتصارات، وفي بلاده معارك دون أهداف، وفي بلاده انهزامات متكررة، مؤلمة، قاتلة....

وأصبح العربي يعاني من الهوس الانحداري وكأنه ينحدر من قمة إلى قاع إلى قاع...

وأصبح يعاني من المس الأساطيري وهو النزوع المفرط أو غير السوي إلى الكذب والمبالغة. فالعربي يتمتع أحياناً بحسّ يفوق الخيال، بل يتعدى الممكن والمنطق...

وأصبح العربي مهووساً بالعلاج من عقد وأمراض وهمية، وأصبح نتيجة انهزامه مهووساً بالنصر وبأنه الأفضل والأحسن. وفي المقابل أصبح يعاني عقدة الانسحاق والانبطاح والدونية، وأصبح يعوّض عن ذلك بحبه للمتع والطعام والسفر والتخيل، وربما تعداد الزواج، وأصبح العربي يخاف من النار ومن الساحات المفتوحة ومن المباني العالية، وأصبح يتعلق بالأشياء لأنه يحب التملك حتى ولو كان شكلياً... أصبح العربي قريباً من عبادة

جلاديه وقريباً من العبودية باسم الحرية....

حتى حب القراءة وحب الكتابة وحب الإنتاج الفكري وحب الرسم والتأريخ والتمثيل... أصبح مرضاً عند العربي، ذلك أنه ضاع في رهاب الاضطراب السياسي. فهو كالسائر على رأسه، وكالنائم على قميص زوجته المربوط بخيط رفيع من أعلى جبل الهيكل!!

عندما تزدحم الأحداث على الناس، وتتحير الأمة بين الحرب والسلام، وعندما تكثر التيارات السياسية والأحزاب ويتعدد الولاء. عندما يصبح الحق قضية نسبية، ينسبها الطاغية الأول إلى نفسه بقوة جيشه، ويبعدها الطاغية الثاني عن تصرفاته بقوة إعلامه وعلاقاته، ويصمت عنها الطاغية الثالث بقوة دهائه... عندما تتوزع الأمة بين القوى المتنافرة، يتحول الإنسان إلى الهوس والاضطراب ويبدأ بالسير على رأسه و بالاندساس والتلون كالحرباء والصراصير والدبابير والجنادب.

لماذا نتسلّح !!

لماذا تعربد إسرائيل في الأجواء والأراضي والمياه العربية دون حسيب ولا رقيب، وحتى دون صاروخ تائه يضرب بالخطأ طائرة معادية (!!)

لماذا إذن تنفق الدول العربية الجزء الأهم من ميزانياتها على السلاح والتسلح، إذا كانت الأجواء والأحشاء مستباحة إلى هذا الحدّ النكد؟!

هل أصبح مصير الصواريخ العربية وأجهزة الدفاع العربية كمصير صواريخ الورق القديمة أيام النكبات لعنها الله؟!

في نشرات الميزانيات العسكرية تقرأ العجب والعجاب، وعلى أرض الواقع ترى الأعجب من العجيب: الصين تنفق أكثر من ١٢ بليون دولاراً سنوياً على التسلح، وهذا يوازي حوالي ١،٣٥٪ من جملة إنتاجها القومي، بينما تنفق دولة عربية واحدة على التسلح أكثر من عشرين بليون دولاراً سنوياً، وهو ما يوازي حوالي ١٦٪ من جملة

إنتاجها القومي. . . ويتحمل الفرد العربي في تلك الدولة العربية ١٢٠٠ دولاراً سنوياً من ميزانية التسلح في بلاده.

إذا تسلحت الصين وردعت تايوان، فمن تردع الدول العربية؟ هل ردعت الدول العربية إسرائيل عن الأرض والمياه والسماء العربية؟ هل ردعت الدول العربية إسرائيل عن المسجد الأقصى وبيت الشرق ومقارّ السلطة الفلسطينية وبيوت الأبرياء ومخيماتهم؟.

إذا لم يكن بمقدور السلاح العربي ردع إسرائيل فلماذا تحول الأنظمة العربية الأرض العربيّة لأكبر ترسانة أسلحة وذخائر في العالم؟!

في نشرات الحضارة الحديثة قسّمت مراكز الدراسات الاستراتيجية العالم إلى ٥٥ دولة متقدمة معلوماتياً أو تحاول التقدم، والباقي تحت خط الجهل، وقسّمت هذه الدول الـ ٥٥ المتقدمة معلوماتياً إلى دول متقدمة فعلاً، ودول متقدمة غداً ودول تفكر في التقدم (مونامية). وكانت النتيجة المفجعة كالآتي:

١ ـ الدول المتقدمة فعلا: السويد، النرويج، فنلندا، الولايات المتحدة الأمريكية، أستراليا، اليابان، سويسرا، هولندا، كندا، ألمانيا، النمسا، وهونج كونج (١ ـ ١٥).

٢ ـ الدول اللاحقة بركب الدول المتقدمة فعلاً (١٦ـ ٢٧):

نيوزيلاندا، بلجيكا، تايوان، كوريا، إيرلندا، فرنسا، إسرائيل، إيطاليا، إسبانيا، البرتغال، اليونان، وجمهورية التشيك.

٣ ـ الدول التي تحاول عبور خط التخلف نحو التقدم المعلوماتي (٢٨ـ ٤٣): الإمارات العربية المتحدة، المجر، بولندا، الأرجنتين، ماليزيا، تشيلي، بلغاريا، رومانيا، كوستاريكا، بنما، جنوب أفريقيا، فنزويلا، روسيا، تركيا، المكسيك، والأكوادور.

٤ ـ الدول المتعثرة في محاولة عبور خط التخلف المعلوماتي (٤٤ـ ٥٥): المملكة العربية السعودية، البرازيل، كولومبيا، تايلاند، الفليبين، بيرو، الأردن، مصر، الصين، أندونيسيا، الهند وباكستان.

طبعاً مثل هذه التقارير المؤلمة غير منصفة تماماً، فالكثير من الدول العربية، تفوق بقدراتها الفنية الدول المتقدمة، لا سيّما وأنت تراقب قدرات البعض العربي بالرقص والغناء والاستمتاع والتمتع والتنطح والتنصت وكمّ الأفواه وكرّ الأقوال وفرّ الأفعال...

الآن أصبحنا ندرك لماذا نحوّل بلادنا إلى ترسانة عسكرية ضخمة!!

القذائف نساء هذه المرّة !!

من مخيم الدهيشة حيث المياه العفنة، والبيوت الرطبة والرجال الذين ينتظرون ساعة الإذن بلقاء الله. وعلى مرأى النظر من بيت لحم خرجت آيات الأخرس ذات الثمانية عشر عاماً، وتزيّنت بالانتقام للشهداء وللكرامة والتاريخ ففجّرت بجسدها الطيب متجر سوبر سول في القدس، حيث تناثرت خلاياها مع روائح الليمون وأريج الاستشهاد.. لقد اختارت آيات يوم الجمعة، قبل عيد الفصح اليهودي بساعات، واختارت أكثر المناطق ازدحاماً، واختارت أكثر الساعات حساسية في قضية أهلها وأمتها، ساعات العربدة الصهيونية في الأرض الفلسطينية دون حياء أو خوف.. فأثمرت اختياراتها ورفرفت مع الحور العين بإذن الله، ثم تضمنها الخاطر وسيظل يتضمنها إلى زمن بعيد..

بين سبتمبر ٢٠٠٠ وربيع ٢٠٠١ خرّجت مدرسة الجهاد الفلسطينية أكثر من عشرين فدائياً وفدائية، نجحوا في تدمير الأمن الصهيوني وأدّت عملياتهم لمقتل المئات، حيث اعترفت إسرائيل بمائة وسبعين منهم، وأما الجرحى

والمعاقين فبالآلاف..

وكما قرّرت ديما قدسية، ٢١ عاماً، أن تظل حول الرئيس عرفات، المحاصر بين أطلال مقره في رام الله، مهما كلفها ذلك من الأثمان، قررت المئات من المناضلات الفلسطينيات ذات القرار، فالحياة مع ذلك الاحتلال وتحته لا تساوي نفساً واحداً من حرية الانعتاق والتوجه إلى الشهادة. وهكذا تحولت شابات فلسطين إلى رجال في الفعل والعطاء، عجز عنه الكثيرون من أبناء الأمة، واكتفوا بالجمجمة المقهورة أو بالجعجعة التي ليس معها طحين ولا سمين!!

أحلام ناصر، ٢٢ عاماً، بقيت صامدة في قيادة فرق الهلال الأحمر الفلسطيني في رام الله، تنقذ المصابين، وتجاهد الغاصبين، حتى استقرت رصاصة آثمة في عمودها الفقري، فانهار العمود الفقري للآلاف، وربما للملايين من الرجال القاعدين من المحيط الهادر حتى الخليج الفائر كما قالت السجعة.

المناضلة مريم أبو دقة حاربت الصهاينة في معارك ٦٧ وهي لم تبلغ الخامسة عشرة من عمرها الطيب. دقت طبلاً للرجال، بزّت المتكلمين، خرجت للقتال وهي الدكتورة التي رفضت الدكترة، ولجأت إلى العسكرة التي تحمي الأهل والبلاد وتعزّ النفس في أزمنة الانكسار.

صرّحت المخابرات الإسرائيلية بأن لديها قائمة بأربعة آلاف مطلوب فلسطيني، وأن أخطر من في القائمة، ثمانون من المقاتلين، جميلة من بينهم، والصهاينة لا يعرفون اسمها الحقيقي ولا شكلها الحقيقي لأنها متخفية دائماً في الكوفية الفلسطينية التي تحوّلت في زمن الانتفاضة إلى شعار.

من قلب مخيم الأمعري، الذي يمثل مأساة إنسانية صارخة، ومن قلب الشباب والحيوية، انطلقت وفاء إدريس إلى قلب القدس الغربية في صبيحة يوم الأحد كانون الثاني ٢٠٠٢، لتنتقم بالنار والبارود من الطغاة المستوردين الذين نكّلوا بها وبأهلها ومواطنيها صغاراً وكباراً حتى تحوّلت من إذلالهم ومن ممارساتهم الحيوانية إلى آلة دمار لا يُبقي ولا يذر...

كانت وفاء تعمل متطوعة في الهلال الأحمر الفلسطيني، فتشاهد ساعة فساعة وتلمس ساعة فساعة، المآسي والموت والإجرام والتنكيل، الذي لا يمكن أن يزول من خلايا عقلها إلا بالانفجار الأكبر، وهكذا تنظمت وفاء في المقاومة لإحداث الانفجار الذي قد يساعدها على محو الأحداث المتراكمة في ذاتها عن هذا الاحتلال البغيض وعن ممارساته الحيوانية القذرة، وانفجرت وفاء وفاءً لكرامة وطن ووفاءً لتاريخ شعب لن يركع لغير الله سبحانه.

صرّح الرئيس بوش بأن ياسر عرفات فشل في إظهار التزامه بالسلام، وأنه قائد سيء ولعنة على شعبه، ثم فوّض شارون باعتباره رجل سلام، باقتحام المدن والمخيمات الفلسطينية وإتمام كل الإجراءات الضرورية لأمن إسرائيل. ولأمن إسرائيل بدأ المجرم شارون ببناء وتدعيم المستوطنات، فأكمل حتى الآن بناء ٣٤ مستوطنة جديدة، طبعاً على أنقاض البيوت الفلسطينية والمناطق البلدية والزراعية، وقرر تدمير مؤسسات السلطة الفلسطينية وبناها التحتية، بقوة الجيش الذي يتكون من الجنود الصهاينة الحاقدين، ومن أسلحة الحاقدين، وهو الأمر الذي جمع الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل، فللدولتين ذات الخصائص تقريباً: بُنيتا على أرض محتلة، تطورتا بالدم والبارود، تؤمنان بحق القوة وترفضان قوة الحق، تتمظهران بالديمقراطية وحقوق الإنسان، وتمارسان على أرض الواقع كل أصناف القهر السياسي والإجرام والإبادة.. وانطلاقاً من هذا التعويض الأمريكي وذلك الدعم السياسي والعسكري تحوّلت الآلة الصهيونية إلى كائن إجرامي خرافي، تنحصر تصرفاته بالقتل والتنكيل ثم الاستراحة ثم العودة لجولة جديدة من القتل والتنكيل، وهو الأمر الذي طوّر فكر المقاومة وأساليبها، تماماً كما طوّر عزيمة المقاومة وأوصلها إلى نقطة اللاعودة، ومن أبهى صورها مريم أبو دقة، ووفاء إدريس وآيات الأخرس وديما قدسية

وأحلام ناصر وعندليب طقاطقة.

لقد ولّدت سياسة الأرض المحروقة التي ينفذها السفاح شارون في مخيم جنين ونابلس وبقية الأرض الفلسطينية، ولّدت الحقد الذي تحوّل إلى نهج استشهادي يقوده الإنسان المضطهد الذي لن يهدأ بغير الحصول على حقوقه وكرامته، تماماً كما ولّدت سياسة الانحياز الأمريكية التي ينفذها الرئيس بوش في العالم كله، وخصوصاً في فلسطين و العراق، الكراهية العالمية للسياسة الأمريكية وللساسة الأمريكيين، حتى أن الداخل الأمريكي بدأ يتململ، وبدأت الثورة السوداء ترسم أولى خطواتها العملية، فبعد مقتل مالكوم إكس في الستينات وهو الزعيم الأسود الذي طالب بحقوق السود في أمريكا ثم طالب بالتعويض عن عبوديتهم وعن تاريخهم، يأتي اليوم القس جيسي جاكسون، ليطالب عبر مؤسسات قانونية وعبر حملات شعبية عارمة، بالتعويض للسود عن الرق والعبودية والممارسات اللاإنسانية التي لحقت بالشعب الأفريقي (الأمريكي) على يد الآباء البناة لما هو اليوم أمريكا العظمى. لا سيما وأن الوثائق المحفوظة تشير إلى أبشع الممارسات بحق السود على مر العقود، وكم هو مؤلم ومحرّك لثورة الشباب الأمريكان السود اليوم وهم يرون بوليصات التأمين التي تصف العبيد وتُعاملهم وكأنهم ممتلكات جامدة، وهم يرون وثائق صيد أجدادهم وصورهم

في الأقفاص التي تُحبس فيها الحيوانات، ثم استخدامهم بالقوة، بقوة القانون الأمريكي آنذاك، لزراعة الأرض وتدوير عجلات الصناعة والبناء. . . لقد أدرك السود اليوم أنهم هم بناة أمريكا ومن حقهم المطالبة بحقوقهم، فالظلم قد يمر ولكنه لا يستمر، والله يمهل ولا يهمل.

ذات الأسباب التي جعلت الفلسطينيين يقررون الثورة في الانتفاضة، هي ذاتها الأسباب التي جعلت السود في أمريكا يقررون الثورة ضد العبودية، القديمة والجديدة، والقادم هو الأسوأ. وإذا ظن الساسة الأمريكان أن الطائرات والصواريخ العابرة ستكون قادرة على حفظ الأمن الأمريكي، فعليهم أن ينظروا إلى الصواريخ البشرية السوداء الداخلية، ولهم بالأجساد الفلسطينية المتناثرة خير مثال، والتاريخ قد يتكرر حسب الظروف، والحل في الحل لا في التعقيد كما يقول الحكماء!!



تأريخ وهمي !!

حاول المؤرخ الدكتور كمال صليبي في كتابيه «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، و«خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل»، أن يصيغ نظرية جديدة ـ قديمة الجذور اليهودية، تعتمد على جغرافية المناطق وأسمائها الماضية والباقية. وليس بخاف على أحد أن هذا المنهج بمفرده لا يمكن أن يصنع تاريخاً، لا سيما وأن الأسماء تترواح من زمن إلى آخر بين التحوير والتبديل إضافة إلى أن الأسماء القديمة كانت بالعديد من اللغات والألسنيات.

نقطة الضعف الأخرى في منهج الصليبي أنه اعتمد على التوراة في قصصه وأساطيره وخرافاته، ولم يأت بذكر مقارن على قصص القرآن، وهو الكتاب الوحيد المحفوظ بالطرق العلمية المنزّه عن العيب أو التحريف، ولو عاد إلى نصوص القرآن الكريم في قصص آدم والجنة وإبراهيم وموسى وقصة الحوت ولعنة بني إسرائيل وسماتهم الخ.. لاقترب من المنطق العلمي أكثر، ولوفّر على التأريخ ذاته ذلك القدر الضخم من التصورات التي تصنع من الأسطورة التوراتية أسطورة أخرى، والتي بدورها تصنع من الخرافة

الإسرائيلية خرافة أخرى أكثر تعقيداً وإبهاماً. أما أن بني إسرائيل كانوا في الجزيرة العربية وأن التوراة نزلت فيها فهذه مجرد نظرية محبوكة، والتأريخ كان ولا يزال، لعبة الأذكياء أو كذبة الأقوياء لا فرق... والنظرية رغم جمالها بحاجة لتدعيم مقارن من كتب أخرى ومصادر أخرى غير أسفار العهد القديم وترجمات أسماء المدن والمناطق، حسب الحاجة والهوى. والآن لنستعرض أهم ما في «خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل» للصليبي.

يقتصر الكتاب عند اليهود (التوراة) على أسفار العهد القديم الخمسة المنسوبة إلى سيدنا موسى، وهي: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد وسفر التثنية. ويرى الصليبي أن هذه الأسفار هي مزيج من الحكايات الشعبية والأساطير والخرافات تم جمعها وتنسيقها في زمن متأخر من تاريخ بني إسرائيل(*). كما يرى أن التوراة جاءت من جزيرة العرب وليس من فلسطين، بحسب الرؤية التاريخية القديمة، فالأكثرية الساحقة من أسماء الأماكن التوراتية لا وجود لها في فلسطين، والأقلية الضئيلة الموجودة منها هناك لا تتطابق من ناحية الحدث مع تلك المذكورة بالأسماء ذاتها في التوراة(**). ويؤكد المؤلف أن

(*) خفايا التوراة ـ دار الساقي ط٢: ١٩٩١: ٦).

(**) مصدر سابق: ٩.

التوراة لم تأت من العراق أو الشام أو سيناء أو مصر (من النيل إلى الفرات) وإنما جاءت من جزيرة العرب!!

يؤكد الصليبي أن سفر التكوين، وهو السفر الأول من التوراة، يتكون من مجموعة من الأساطير، هي في أساسها أقدم من اليهودية بأجيال وأجيال، ويبدأ بإثبات أسطورية هذا السفر من خلال قصة آدم عليه السلام، حيث يرى أن الرب يهوه خلق آدم وهو الإنسان الأول وجد جميع البشر، وأن أحداث القصة تجري في جنة عدن، والجنة هذه هي اليوم واحة الجنينية بأسفل وادي بيشه إلى الشرق من عسير في الجزيرة العربية، وقد فصل الصليبي جغرافية هذه المناطق في كتابه «التوراة جاء من جزيرة الغرب». وأن الرب يهوه خلق الإنسان من تراب «أدمة» وهي منطقة من روافد وادي بيشة.

يضيف الصليبي ـ لتأكيد استنتاجاته ـ أن وادي بيشة قريب من بلدة النماص غرب عدنة والجنينة، تماماً كما جاء في القصة التوراتية، وما زالت هناك في مرتفعات عسير قرب النماص قرية تحمل اسم الرب يهوه (اسم الفعل من الجذر هيه)، وهي قرية آل هية (ءل هية، أي الإله هية) مما يزيد في مطابقة جغرافية هذه المنطقة مع جغرافية قصة خلق آدم(*).

(*) مصدر سابق: ٢٨.

ويرى الصليبي أن حواء (حوه) لم تكن زوجة آدم، بل إلهة أماً لجميع المخلوقات الحية، كما يرى أن الحنش، الوارد في قصة آدم، أيضاً من الآلهة الموجودة أصلاً في الجنة، ويؤكد ذلك بوجود قرية في وادي بيشه اسمها آل حية، وهو اسم حواء، وأن هناك قرية بجنوب عسير تسمى ال حنشية (ءل حنش). يصل الصليبي، عبر تحويل الخرافة التوراتية إلى خرافة تاريخية أخرى، إلى الاستنتاج التفصيلي التالي:

من هنا يبتدىء الاختلاط في القصة بين الخرافة والأسطورة. فهابيل في القصة، كما قلنا، هو الإله العربي القديم هبل. وما زالت هناك قرية في وادي بيشة تحمل اسمه. وربما تفترض القصة وقوع أحداثها في أرض عدن لهذا السبب. أما قايين (في النص العبري قين)، ففي اسمه ما يشير إلى أنه كان يعتبر الجد الأعلى لقبيلة (قين). وقد كانت هذه القبيلة في زمانها من القبائل الوضيعة الحال، شأنها في ذلك شأن الصلبة في الوقت الحاضر. وكانت القبائل العربية الأخرى تعتبرها من بقايا العرب البائدة. ويبدو أن شعب القين كان في قدمه يمارس النباتية، فيحجم عن أكل اللحوم وتقديم القرابين للآلهة منها. والأسطورة في قصتنا تمثل قايين (قين)، الجد الأعلى لشعب القين، على أنه كان في الأصل أخاً للإله هبل، فتخاصم مع أخيه هذا حول قضية أكل اللحوم أو عدم أكلها، وحول تقديم

القرابين من الحيوان أو من النبات. وانتهى الخصام بقتل جد شعب القين للإله هبل، فحل به وبذريته ما حل من التيه والتشتت ووضاعة الحال(*).

ويكمل الصليبي استنتاجاته مفسراً قصة آدم كالتالي:

بعد الانتهاء من سرد أسطورة «قايين»، أي شعب القين، ينتقل سفر التكوين مباشرة (٤ : ٢٥ـ ٢٦) إلى أسطورة «آدم» (ءدم) وذريته، وأولهم ابنه «شيت» (شت)، ثم حفيده «أنوش» (ءنوش). وقد افترض الأوائل الذين قاموا بجمع قصص سفر التكوين أن «آدم» المذكور هو نفسه الإنسان الأول (هـءدم، بالتعريف) الذي خلقه الرب يهوه في البداية وأسكنه جنة عدن، وذلك دون أن يلاحظوا أن اسم «آدم» في الأسطورة اللاحقة لا يحمل أداة التعريف [هـء في العبرية]. وقد عمدوا إلى الربط بين خرافة الإنسان الأول وأسطورة آدم في الجملة الأولى من الأسطورة بإضافة لفظة واحدة إلى هذه الأسطورة، وهي لفظة عود، أي «أيضاً». والأرجح أنَّ الجملة كانت تقول في الأصل: «وعرف (أي جامع) آدم امرأته، فولدت ابناً ودعت اسمه شيتا». ثم أضيفت لها لفظة عود، فصارت تقول: «وعرف آدم امرأته أيضاً (أي مرة أخرى)، فولدت له ابناً ودعت اسمه شيتا» (٤ : ٢٥).

(*) مصدر سابق: ٣٧.

ويروي الصليبي في الفصل الثاني من كتابه، قصة نوح عليه السلام على أنها حدثت خلال نزوح قوم نوح من وادي نجران إلى نحا في الحجاز (المصدر السابق: ٧٣). كما يخوض في نزوح بني إسرائيل من بابل إلى شنعار، ويرى أن شنعار (*) تقع في بني مالك إلى الجنوب من الطائف وليست في العراق كما هو معروف توراتياً وتاريخياً.

أما فيما يتعلق بسيدنا إبراهيم فيرى الصليبي أن هناك أكثر من إبراهيم: هناك إبرام (ابراهام أو إبراهيم)، عبراني، وهناك إبرام أرامي.

يتحدث التكوين ١٤ عن إبرام العبراني على أنه رجل حرب وزعامة وتوحيد، وكان له أخ اسمه لوط يسكن في سدوم، وكان إبرام يسكن في بلدة النمرة (نمر) الحالية في تهامة جنوب الحجاز المحاذية لمرتفعات عسير إلى الشرق من القنفذة، المجاورة لقرية خربان وهي حبرون التوراتية. ويتساءل الصليبي: هل إبراهيم هو الجد التاريخي للشعب العبراني الذي يعيش في جزيرة العرب؟!

أما إبراهيم (إبرام) الآرامي فكان يعيش في منطقة جبل أور، المعروفة أيضاً بجبل أيار بالحجاز إلى الجنوب من المدينة المنورة (المصدر السابق: ١٠٣). يراجع أيضاً

(*) للفكاهة: كان على الصليبي أن يضيف لبنان إلى نظريته لأن عندنا في منطقة غزير ضيعة اسمها «شننعار»!!

كتاب المؤلف: التوراة جاءت من جزيرة العرب (٢٥٩ـ ٢٦٣). ويرى الصليبي أن هناك أيضاً إبرام الساحر (إبرام التكوين ١٥)، وهناك إبرام الشباعة، وهناك إبراهام بئر السبع (أو شبعة). والملفت أن بئر السبع هي بلدة في عسير في أعالي وادي بيشة، وهي اليوم جزء من مدينة خميس مشيط، وليست بئر السبع المدينة الفلسطينية، (خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل: ١١٥): أما إبرام اليمن الصورة الأخيرة لإبراهيم ﷺ، فهو ابن تارح من أحفاد عابر بن سام بن نوح وقد يكون شخصية وهمية، وقد يكون الجد الأعلى لقبيلة قديمة من اليمن.

يصل الصليبي في تأريخه إلى سيدنا يوسف ﷺ فيرى أنه كان عبرانياً وكان موطنه أرض كنعان أي أرض تهامة من عسير، ويتتبع المؤلف المناطق التي عاش فيها يوسف فيقول أنه سكن مع والده يعقوب في حبرون وهي منطقة خربان بمنطقة المجاورة، وأن أخوته قرروا قتله في منطقة دوثان أي الدثنة بجبل فيفا في عسير، وأنقذته من القتل قافلة من التجار وهي في طريقها إلى مصرايم. وبهذا يؤكد الصليبي أنه لا لبس في أن أرض قصة يوسف هي أرض عسير وليس أرض فلسطين ومصر ووادي النيل. وأن والد يوسف هو إسرائيل بحسب التوراة، وإسرائيل هو الجد الأعلى لقبيلة من العبرانيين بتهامة عسير.

وفي التوراة أن قبيلة يوسف كانت تتألف من فرعين،

فرع منسي وفرع أفرايم. ومن قبائل الحجاز اليوم قبيلة اسمها «بنو يوسف». ومن غريب الأمر أن هذه القبيلة تعرف أيضاً باسم «الفرعين». ومن قبائل الحجاز أيضاً قبيلة آل منسي (منس)، وهو اسم فرع منسى (منشه) من قبيلة يوسف التوراتية بالذات. أما اسم أفرايم (أفريم، مثنى فر)، وهو الفرع الثاني من هذه القبيلة، فلعله اليوم اسم قبيلة الفيران (مثنى فير؟). وهناك في تهامة عسير، وهي الموطن الأصلي لبني يوسف العبرانيين، قريتان ما زالتا تحملان اسمي منسي وأفرايم، وهما المنشأة (منشه) والوفرين (تعريب واضح للعبري ءفريم الذي «هو أيضاً في صيغة المثنى)(*).

بهذا تتراوح إثباتات الصليبي لقصة يوسف بين الخرافة والأسطورة وبين التاريخ، وهو الأمر الذي يجعل مجمل الدراسة من مادة هذه الإثباتات بين الخرافة والأسطورة والتاريخ، وبحاجة للتأكيد إلى دراسات مقارنة ومصادر معلومات لا توراتية كالقرآن الكريم مثلاً والتاريخ الأقرب إلينا.

في الفصل الثامن يؤكد الصليبي أن بني إسرائيل عاشوا في مصرايم في وادي بيشة، مدة ٤٣٠ سنة، ثم قام فيهم موسى فأخرجهم من أرض مرايم وتاه بهم مدة ٤٠ سنة في البراري حتى أوصلهم إلى مشارف أرض كنعان بجنوب

(*) (المصدر السابق: ١٦٦).

الحجاز قرابة عام ١٤٤٠ ق.م.

إذن فقصة بني إسرائيل بحسب نظرية الصليبي تروى كما يلي:

ليس في المدونات التاريخية ما يثبت خروج بني إسرائيل من مصر إلى فلسطين عبر سيناء، كما هو الرأي السائد، بل من مصرايم، وهي مستعمرة مصرية في الجزيرة العربية، إلى جنوب الحجاز.

يرتبط موضوع جلاء بني إسرائيل بالسخرة والضغط المصري عليهم ويتجلى ذلك بالرواية التي تقول بأن المصريين طلبوا من بني إسرائيل بناء مدينتي فيثوم ورعمسيس الخاصتين بخزن الحبوب الناتج من الجزيرة العربية، وهكذا خرج بنو إسرائيل من مصرايم لا إلى البحر، كما هو معروف تاريخياً، بل إلى اليابسة، إلى منطقة تسمى (يام)، وهذا ما جعل المؤرخين يظنون بأنها اليم بمعنى البحر. وتقول الرواية بأنهم خرجوا بمحاذاة منطقة يم المعروفة اليوم برمال بحر صافي ولا علاقة لذلك بالبحر الأحمر(*).

بعد النزوح إلى يام، اضطر بنو إسرائيل للنزوح إلى اليمن بقيادة موسى، ثم عادوا منها إلى جيزان حيث

(*) خفايا التوراة: ٢٤٤.

اصطدموا بالعماليق، وعماليق كما يقول صليبي هي قرية جيزانية لا تزال موجودة حتى اليوم (المصدر السابق: ٢٤٩)!!

يؤكد الصليبي في كتابيه الأمور التالية:

الأصول الوثنية للديانة اليهودية، ولذلك فالتوراة تتحدث عن قبيلة من الآلهة لا تختلف في تركيبها عن قبائل البشر، وجميعهم من آلهة جزير العرب القدامى، والدليل أن أسماءهم ما زالت محفوظة في الجزيرة العربية. ثم جاء الرب يهوه وسيطر على الآلهة، فخاف الناس وهرعوا إلى عبادته حتى جاء موسى فأعلن التوحيد وأعلن أن الإله الواحد هو يهوه. وبذلك يثبت الصليبي الأصول الوثنية لليهودية والنصرانية معاً.

الشعب الإسرائيلي بدأ وعاش في غرب الجزيرة العربية من الطائف وحدود اليمن وليس في فلسطين، وذلك في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر قبل الميلاد. وفي القرن التاسع عشر قبل الميلاد حدث قحط عظيم في بلاد تهامة فنزح بنو إسرائيل منها هرباً من المجاعة إلى أرض مصرايم، وكانت آنذاك مستعمرة مصرية مزدهرة بوادي بيشة وما يليه من أرض السراة بعسير، حيث مكثوا فيها أربعة قرون ونيف.

كان يوسف ممن تمصر بطبيعة الاحتكاك بين المصريين

والعبرانيين، وكذلك موسى، الذي تربى عند فرعون مصرايم، ثم دفعه جذره العبراني للوقوف مع قومه ضد فرعون ثم قرر الخروج من مصرايم للاستقلال بقومه، فوافق الفرعون على خروجه مع قومه بشرط أن تكون الوجهة إلى الحجاز لا إلى اليمامة في نجد داخل الجزيرة العربية. وبالفعل أكمل موسى بقومه الخروج حتى وصل اليمن ثم جيزان بأرض تهامة. ولخلاف مع أهل البلاد الأصليين فر بنو إسرائيل من اليمن وتاهوا ٤٠ عاماً بين تهامة عسير وتهامة الحجاز حتى بلاد زهران. وبعد التيه تمكن موسى من جمع بني إسرائيل كشعب واحد تحت قيادته لتبليغهم دعوته وفرائض يهوه عليهم وأحكام شريعته...

بعد اتحاد بني إسرائيل العبرانيين وبني يعقوب الآراميين في شعب «جميع إسرائيل» تحت قيادة موسى، تكوّنت لهذا الشعب مملكة بسراة زهران هي مملكة الملك شاول، وسرعان ما ظهر داود منافساً، فأطاح بالملك شاول وحل محله، ثم خلف الملك لابنه سليمان، وبعد وفاة سليمان انقسمت مملكته إلى مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل.

والخلاصة أن الصليبي يؤكد أن الجزيرة العربية هي المسرح الحقيقي التاريخي لبني إسرائيل، وأن المعلومات المعروفة لدى الغالبية العظمى من المؤرخين هي معلومات واهمة.

والآن ما هو المراد من مثل هذه الدراسة؟ ولماذا

أهمل الصليبي الدراسات المقارنة، ولماذا أهمل القرآن الكريم كمصدر لقصص بني إسرائيل، ولماذا ركّز على الاستنتاجات الجغرافية مع أنها الأضعف في حلقة الدلالة؟!

صدرت دراسة حديثة عن «هرتزليا» وهو أحد المعاهد الاستراتيجية الصهيونية في إسرائيل، تُشير إلى ضرورة إعداد الدراسات الميدانية للتعويضات التي على حكومة المملكة العربية السعودية دفعها لإسرائيل، نظير ممتلكاتها في الحجاز والجزيرة العربية. . . . وبهذا يكون كمال الصليبي قد ختم حياته العلمية بخدمة جليلة أسداها للدكتور عوزي أراد رئيس المركز!!

عندما تتحرك القبور!!

سأل الولد والده: لماذا نحن على هذا الحال الرديء، كل شيء فينا قاتم؟!

رد الوالد: لأننا جبناء، لم نقرر الثورة على الانهزام، ومنتهى ما نستطيع فعله، هو رؤية الظلم في مسرحيات محمد الماغوط، وقراءة الطاغوت في قصص زكريا تامر!

قال الولد مستغرباً: وهل أنت جبان يا والدي؟

هز الوالد رأسه بنعم، وطفرت من عينيه دمعة، هي الأخرى، علامة أخرى من علامات الانهزام العربي، الذي نتحدث عنه فقط بأسلوب الجدّات، وهنّ يلقنّ الحفيدات قصص ليلى والذئب.

قال الوالد مكملاً: من زمان بعيد، مما رواه جدّك عن أبيه، أننا عاملنا الأحداث في بلادنا بسلبية الخونة (وحتى لا يسأل الولد والده: وهل أنت خائن يا والدي؟) أكمل الوالد: ونحن جميعاً مذنبون، وعلينا جزء كبير من تبعات الخيانة والتخلف والذل الذي نُعانيه من الداخل ومن

الخارج... حاربنا الأتراك وصادقنا الإنجليز، حاربنا بشيء وهمي اسمه الثورة العربية، ثم اكتشفنا متأخرين أننا نحارب في صفوف أعدائنا، وأننا نُساهم في بيع مقدساتنا، فقد سلَّم الإنجليز فلسطين لليهود الصهاينة... يا ولدي وعندما رفضنا ذلك، رفضناه بإفك مبين، فقد اجتمعت كل دولنا العربية وأرسلت ثلاثة آلاف جندي عربي للدفاع عن فلسطين، مقابل جيش صهيوني قوامه ١٠٦ آلاف مقاتل. تصوّر يا ولدي، أن بعض قادة جيش الإنقاذ كانوا يلعبون القمار على رواتب جيشهم، بينما كانت العصابات الصهيونية تنشر الرعب والقتل أينما وصلت، وتزرع الألغام أينما احتلت، وتقصف الأعمار بكفاءة المجرمين المحترفين، حتى تحول الفلسطينيون إلى مشردين وتحولت المدن إلى مخيمات، والفاجعة يا ولدي أن الجامعة العربية قررت بالإجماع، عام ١٩٤٨، رفض قيام الدولة الإسرائيلية ورفض ذوبان المشردين الفلسطينيين في المجتمعات العربية تمهيداً لعودتهم السريعة إلى وطنهم فلسطين خلال أيام، وإن طالت النكبة فخلال شهر، وهكذا انتشرت في بلادنا العربية مأساة «مخيمات اللاجئين الفلسطينيين»، حيث عاشوا ويعيشون فيها معيشة المهانة والانتظار الطويل، ولكن مخيم جنين يا ولدي فرّخ أبطالاً أعلوا هاماتنا، ولذلك اخترعت الأنظمة لقاء القاهرة بين فتح وحماس لكبح المخيمات (!). يا ولدي، لقد أجرمت الجامعة

العربية بحق الفلسطينيين حين خدعت شعوبها بفكرة العودة وهي خديعة إنجليزية أيضاً وها نحن اليوم نحتفل بمناسبة مرور نصف قرن وخمس سنوات على مأساة التهجير المستمرة بفضل الإجرام السياسي والفكري وبفضل المجرمين الحاكمين. . واليوم يا ولدي، نحن في عصر الترحيل الثاني، شارون سيرحّل بقية الفلسطينيين عن الضفة الغربية وعن غزّة، ومؤتمر القمة العربية في بيروت يا ولدي حرّك آلة الحرب الصهيونية لاستباحة الدماء وهتك الكرامة، وعاد الصمت ليحكم البلاد العربية من جديد. . .

صمت الولد وقال: وإلى أين؟

صمت الوالد وقال: إلى القبر.

صمت الولد وقال: ولكننا أحياء!

صمت الوالد وقال: نحن قبورنا تتحرّك!



النسر الذي هوى !!

عندما حطّ كولومبوس في إحدى الجزر الكاريبية، أظهر جهله بالجغرافيا فظن أنه في سواحل الهند الشرقية، ، فأطلق على من رآهم من السكان اسم الهنود الحمر، وبقيت هذه التسمية الغبية فاعلة حتى اليوم. أما الحقيقة، فهؤلاء الناس الحمر هم الأمريكيون الحقيقيون، الذين يمتدون في جذورهم الضاربة في الأرض الأمريكية إلى آلاف السنين، بينما عمر الأمريكيين الجدد بدأ فقط منذ عام ١٤٩٢. بدأ الجنود الفاتحين البيض ومعظمهم من اللصوص والمغامرين والجواسيس بالقضاء على القبائل الأصلية بتهمة الوحشية واستخدام (التوماهوك) في قتل الأوروبيين عن قرب، حتى تمكنت الآلات العسكرية الأوروبية من السيطرة على الديار الواسعة الشاسعة، الآمنة المتحضرة قبل مجيء كولومبوس الأبيض القاتل!!

يقول أمريكي أصيل (هندي أحمر): «لقد ولدتني مياه بلادي والأرض هي أمي، إن الأرض جزء من جسدي ولن أتخلى عنها أبداً، هذا النسر رمز للحق، والنار والرقص

(Powwow) جزءان من عبادتي، ولا ألجأ إلى للحرب إلا للدفاع عن القبيلة!!

في المقابل يرى المبشّر المزنّر بمسدسين ضرورة إبادة المتخلفين الحمر وإزالة آثار حضارتهم ومعابدهم، فحضارة (المايا) قد تظهر، لو تركت دون تزوير أبيض، أكثر إنسانية وتقدماً من حضارة الأوروبيين الفاتحين.

يورد محمد جلال عناية في كتابه «أمريكا وأزمة ضمير» الصادر عام ٢٠٠٢ عن (ديفيد ستانرد) في كتابه (محرقة أمريكية) ما يلي: «بعد أجيال قليلة من مواجهة الهنود الحمر الأولى للأوروبيين، فإن الغالبية العظمى من شعوب نصف الكرة الغربي (الهنود الحمر) تمت إبادتهم». ويتابع ستانرد مفصلاً: «إن السرعة والمقدار اللذين تم بهما تدميرهم وإبادتهم تنوع امن مكان إلى آخر، وبين فترة زمنية وأخرى... وفي المعدل فإنه من بين كل عشرين شخصاً من الهنود الحمر بقي شخص واحد بعد أن اكتظت الأرض الأمريكية بعشرات الملايين من الناس (الأوروبيين) وانتهى حمّام الدم».

أما الكاتب «ت. تودوروف» فإنه يهدي كتابه «فتح أمريكا» إلى: «ذكرى امرأة من المايا افترستها الكلاب». وقبل هذا الإهداء، وعلى نفس الصفحة يروي «تودوروف» قصة هذه المرأة كما يلي: «الكابتن ألونسو لوبيزدي أفيلا صهر الحاكم منتيجو أسر خلال حرب البكلان امرأة من

الهنود الحمر، وكانت شابة جميلة وفاتنة. وكانت هذه المرأة قد عاهدت زوجها على أن تظل وفية له إذا ما قتل في الحرب وأن لا تقيم علاقة مع رجل آخر. وقد ألقي بها فريسة للكلاب لأنها اختارت أن تضحي بحياتها حتى لا يدنسها رجل آخر».

في المحصلة، تاريخياً فإن الأوروبي الأبيض جاء إلى أمريكا غازياً ناهباً لا مكتشفاً، فقتل سكانها أو أرهقهم بالضرائب العجيبة، وسرق ثرواتها، واستعبد سكانها الباقين على قيد الحياة، حتى تدهور عدد السكان (الحمر) من ١٥ مليوناً عام ١٤٩٢م إلى ٢٦٩ ألف نسمة عام ١٩٠١. تماماً كما فعل الأوروبيون في أفريقيا...

في يوميات كولومبس عام ١٤٩٥ ما يشير إلى أنه جاء إلى الأرض الجديدة باحثاً عن الذهب، ولا شيء غير الذهب. وفي الحقيقة أن كل ما فعله الاستعمار الأسباني في الأمريكيتين هو سرقة الذهب والفضة والقضاء على السكان الأصليين. أما الاستعمار البريطاني فقد أكمل المشوار الحربي منذ عام ١٦٠٧ مع إضافة العلوية البريطانية البروتستانتية إلى لائحة القتل والنهب والفتح الامبراطوري الأرذل. وعندما دخلت فرنسا على خط اقتسام غنائم أمريكا، تحالفت، كالعادة، مع الهنود الحمر ضد الانجليز، فأوقع القائد الهندي (بونتياك) هزيمة بالانجليز... وعندما تصالح الانجليز مع الفرنسيين لاحقاً، دفع الهنود الحمر

ثمن صلحهم ما تبقى من دمائهم!!

أخيراً بدأت حرب الاستقلال ضد الإنجليز عام ١٧٧٥، وانتهت، فقرر المنتصرون ترحيل أهل البلاد الأصليين عن بلادهم إلى غرب نهر المسيسيبي، بموجب قرار الكونجرس الأمريكي عام ١٨٣٠. وقد أعطى القانون الجديد لرئيس الجمهورية سلطة استخدام القوة لتنفيذ هذا الترحيل الذي أطلق عليه الهنود اسم «طريق الدموع» وللقارىء الحصيف أن يقارن بين الاحتلالين الأمريكي والصهيوني وأن يقارن بين الشعبين الهندي الأحمر والفلسطيني وأن يُقارن بين شارون المجرم الذي يُخطط لترحيل الفلسطينيين عن ديارهم، وبين الرؤساء الأمريكان الذين نفذوا جريمة ترحيل الأمريكان الأصليين. . .

للقارىء أن يُقارن بين السلوكين العدائيين، المسلحين بالنار والبارود والإفك والتستر بالتمدن والتقدم والاختراع، ليدرك أن طبائع الذئاب واحدة، وأن سلوكهم واحد، وغاياتهم ومبرراتهم واحدة، لذلك كله فهناك التقاء كلّي بين جورج بوش الابن وشارون، فيما يفعل الصهاينة اليوم بفلسطين، فكيف يستنكر بوش اليوم ما مارسه كولومبوس بالأمس؟ وكيف يستنكر بوش اليوم السياسة الاستيطانية الإسرائيلية وسياسة الإفناء العرقي، وقد بُنيت الولايات المتحدة الأمريكية على أساسها؟!

من مثل هذه الأحداث علينا ألا نتعجب من

المخططات الأمريكية لغزو العراق ولتنصيب حاكم عسكري أمريكي عليه لمدة ٧ سنوات على الأقل، حسب الخطة، للتصرف ببترول العراق... ولكِ الله يا عراق!!



بين القدس وبغداد!!

كابوس طويل هو الذي ينتابنا جميعاً ونحن نراقب الأحداث في فلسطين، وآخرها مجزرة غزّة في ليل ٧ أكتوبر، ونحن مراقب الإفك وفي مجلس الأمن المستضعف، ونحن نراقب العهر السياسي في الإدارة الأمريكية المصرّة على الحرب. الكابوس يقول بأن الصفعة الجديدة التي تسددها الولايات المتحدة الأمريكية للمجموعة العربية، هي قرارها الاعتراف بنهاية الصراع حول القدس وحسم الموضوع لصالح إسرائيل. والذي غاب حقاً عن تلك الإدارة أن القدس لا تتعلق بالفلسطينيين وحدهم، وإنما تتعلق بربع سكان العالم، الذين يعتبرونها مدينة مقدسة، وفي قدسيتها ما يسمح لهم، بل ويدعوهم، للجهاد في سبيل استرجاعها، مما يحتّم تأجيج الصراع بين الشرق والغرب مرّة أخرى، ولكنه تأجيج مقدس هذه المرّة وليس ببعيد عن تصريح القسّ «الجاهل» بأن النبي محمد ﷺ شخص إرهابي!.

يبدو أن هناك اضطراباً شديداً في الإدارة الأمريكية، فالجمع بين مجازر شارون، وبين الاعتراف الأمريكي

باحتلال القدس، والإصرار الأمريكي على غزو العراق، ثم الإصرار الأمريكي على استصدار قرار يُجيز التفتيش في المساجد العراقية (حسب ما ورد في وسائل الإعلام)، كلها أمور تُشير إلى رغبة امبراطورية بالسيطرة على الشرق العربي تحت شتى المبررات والمشاريع.

إن سقوط القدس بيد الصليبيين منذ ألف عام، حتّم صراعاً دموياً مريراً لأكثر من قرنين من الزمان، بين الشرق والغرب، وحوّل المنطقة الأكثر تحضراً آنذاك، بغداد، إلى دار حرب وإدارة صراع، مما أنعش المنطقة الأكثر تخلفاً آنذاك، أوروبا، وأهّلها تدريجياً للدخول في النهضة الصناعية والعملية، التي ثمارها اليوم، تهديدات المارد الأمريكي بإعادة الشرق إلى ألف سنة للوراء، وهو الأمر الذي يحصر الشرق في زاوية حرجة، سيكون الصراع بشتى أشكاله، هو المخرج الوحيد لانفراجها التدريجي، الذي يعني أيضاً الحياة والكرامة، وتحقيق القدر الحضاري الذي يميّز الشرق العربي عن بقية أرجاء الدنيا...

ترغب الولايات المتحدة الأمريكية، على ما يبدو، بالدخول والاستقرار في عمق الشرق العربي بالقرب من إسرائيل، قريباً من منابع النفط بالسعودية والعراق وإيران والإمارات العربية المتحدة والكويت. كما ترغب على ما يبدو في قمع التميز الشرقي، لصالح التوليفة العولمية اليانكية العسكرية الجديدة، وهو الأمر الذي لن يترك

للمنطقة، من خلاله، العديد من الخيارات...

يقول المثل العربي: «درهم مال يحتاج لدرهمي عقل» والآن يمكن تحوير هذا المثل، وتوجيهه إلى الولايات المتحدة، «أن درهم قوة يحتاج لدرهمي حكمة»، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بمقدسات المسلمين ودينهم!!

تُرى هل قرأ الرئيس بوش عن استعمار بقي في أرض مستعمرة؟ طبعاً لن يتذكر إلاّ إسرائيل، ولكن إسرائيل ستزول، بإذن الله، في المعركة القادمة حتماً... وها هي الحمامة علامة، ولن يفهم هذا التعبير إلّا لبناني قُحّ!!



كوهين من جديد!!

يوسف كوهين مواطن من «إسرائيل»، درس القرآن الكريم فأسلم هو وعائلته وأصبح يوسف خطاب إعجاباً بتاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد رفض البقاء ضمن الأساطير اليهودية، التي لم تقنعه ساعة واحدة، فبقي يبحث في القرآن وفي الإسلام على أمل الوصول إلى الحقيقة، فكانت الحقيقة بنبذه لمركزه القديم في حركة شاس الأكثر تطرفاً في العالم، وفي إسرائيل خصوصاً، وقد قدّم فكره الجديد لرئيسه القديم عوفاديا يوسف، داعياً إياه للإسلام وترك الخزعبلات التي يتمرغ فيها عشرات آلاف اليهود ضمن حركاتهم العنصرية والخرافية المتشدّدة.

الأخطر في الأمر، أن يوسف خطاب قد انتظم في حماس وأعلن ضرورة الجهاد ضد الاحتلال الصهيوني في فلسطين. . .

في الهجمة الجديدة على الإسلام، قررت المنظمة الصهيونية العالمية تمويل عشرات المراكز البحثية والمخابراتية للبحث عن شبهات للكيد للإسلام وللمسلمين،

فنشرت مؤسسة «يهودا» ومقرها القدس، آلاف الأبحاث بهدف تشويه الصورة الإنسانية للإسلام وتحويلها إلى صورة وحشية إرهابية، وقد وضع الحاخام أليعازر كوهين كل إمكانياته وإمكانيات جماعته في تزوير معاني القرآن الكريم في سورتي البقرة والأنعام، وآيات الجهاد والدفاع عن إنسانية الإنسان، وإلصاق التهم بالمسلمين الفاتحين... ومن رحم دراسة أو تزوير أليعازر للقرآن، فهم يوسف خطاب خطة التزوير هذه فرفضها، ورد عليها عملياً بإشهار إسلامه هو وعائلته الكريمة، مفنداً الأكاذيب التي تروّج لها المنظمة الصهيونية العالمية، وهكذا سخّر الله تعالى عبداً من عباده للدفاع عن دينه...

إن واجب المفكرين المسلمين اليوم، يدعوهم لوضع خطط إبداعية لعرض إسلامهم بالشكل الصحيح، ولعرض تاريخهم بالشكل الصحيح، لتلافي ولرد شبهات الهجمة الصهيونية المنظمة والممولة إلى حدّ بعيد... ومن واجب المسلمين أن يعودوا إلى حقيقة دينهم، حيث الحب والتسامح والرقي والعلاقات الاجتماعية السمحة، حتى لا يظل لهؤلاء الصهاينة مبرر لعرض البأس الإسلامي ـ الإسلامي والتحدث عن مجازر الجزائر وحلبجة وغيرهما، وعن غزو العراق للكويت، وعن التعذيب في السجون العربية وعن كبت الحريات واغتصاب السلطات...

إذا أردنا أن نردّ على نيسان شور الباحثة الإسرائيلية في

معهد هاحشمونيئم في بئر سبع، التي تقول بأن سعادة البشرية لا بد وأن تمر بضرب الإسلام وتدمير القرآن وسحق الفلسطينيين، وأن «غزو» المسلمين للأندلس وإقامة الامبراطورية الإسلامية في العالم لا بدّ وأن يُقابل اليوم بسحق المسلمين والبداية من العراق...

للرد على نيسان لا بدّ من أن يتماسك المجتمع الإسلامي، وأن يشد الحزام نحو الجديّة، فالتحدي العالمي قد وصل إلى حدّ الإفناء، والرد الفاعل سيكون بالحضارة، وبترشيد الواقع البربري وفضح الجريمة الصهيونية في فلسطين ومن يقف خلفها في العالم...

لقد بدأت المعركة، وكلٌّ على ثَغْر، فالحذر الحذر!!



المركز!!

يظن الكثيرون أن المسجد الأقصى، بالنسبة للمسلمين، هو مجرد بناء تاريخي هام. وهذا الظن بحد ذاته هو نكبة أخرى في عالم النكبات التي نعيشها في تاريخنا المعاصر. المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين هو مؤشر وجود وتجذر وتديّن والتزام وشريعة وجهاد. ومهما أصبحنا دبلوماسيين وتحولنا إلى سياسيين في طرح القضايا المتعلقة بالمسجد الأقصى فإن علينا ألا نميِّع مركزيته في حياتنا ومركزيته في وجودنا ومركزيته في تاريخنا. «ومن يهن يسهل الهوان عليه»، ومن يتنازل في أساسياته في صغيرة، يتنازل في كبيرة، ويخطىء من يظن أن أنصاف الحلول، هي الحل لقضية صراعنا مع الصهاينة على القدس، فالقدس لنا، ومن أجلها حارب العالم الإسلامي الغرب لأكثر من قرنين من الزمان دفعة واحدة، واليوم لا بدّ أن نكون مستعدين لمعركة طويلة الأمد من أجل القدس، لأن القدس وحدها هي المؤهلة لجمع الأمة على قضية مركزية لا خلاف فيها ولا خلاف حولها من أي مفهوم انطلقنا وعلى

أي أساس فكرنا. . .

يقول الحاخام «افرايم شاخ» نجل الحاخام «أليعازر شاخ»: «المسجد الأقصى عبارة عن سرطان بدأ يتفشى، ويجلب علينا الويلات، وواجبنا ـ حسبما تحتم علينا التوراة ـ تطهير هذا المكان من العرب والمسلمين». وفي هذا القول ما يوحّد العرب والمسلمين على قضية مركزية هي القدس، وعلى قضية مركزية هي الصراع مع الباطل لتحقيق كرامتنا ووجودنا وجذورنا في بلادنا العربية المقدسة.

في هذه الأيام تمر علينا ذكرى مرور ٢٣ عاماً على حريق المسجد الأقصى (بين ٢١/٨/١٩٦٩ واليوم)، الذي أضرمه الاسترالي «روهان»، بأمر من الله كما قال، وأتى الحريق على منبر صلاح الدين الأيوبي وعلى العديد من الأعمدة والأقواس والزخارف والسقف والشبابيك، وقد قدّر الشهود العيان دمار أكثر من ١٥٠٠م٢ من المساحة الكلية للمسجد الشريف. . . فماذا فعل العرب وماذا فعل المسلمون؟!

لم يتمكن العرب ولم يتمكن المسلمون من تحويل المسجد الأقصى إلى قضية مركزية، ولذلك تمادى الصهاينة بالحفر تحت المسجد، مما سيؤدي حتماً في يوم قريب إلى تصدع أساساته وانهياره. والمسجد هو عبارة عن أحجار لا يضرّها الانهيار، ولكن الذي يضره الانهيار هو مفهوم التخلي والخيانة للتاريخ والمقدسات وهو حالنا اليوم

فلماذا؟!

لماذا لم تطلب الدول الإسلامية من مجلس الأمن إصدار قرار يُدين الممارسات الإسرائيلية الإرهابية ويحتم على الكيان الصهيوني احترام القدس باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الدين الإسلامي الذي يتعبده أكثر من خمس البشر على الكرة الأرضية؟!

لماذا لم تتوحد البلاد العربية حول القدس وللدفاع عن القدس، وهي فرصة ذهبية ومبرر سياسي للوحدة والاتحاد؟ وإذا لم يوحّد هذا المسجد الشريف أمة العرب، فعلام ستتوحد؟!



تحرير الروح من العبودية!!

عامان مرّا على تحرير جنوب لبنان من الاحتلال الصهيوني الفاجر، وهو التحرير الأول في الشرق العربي لأرض عربية محتلة بقوة السلاح، وبدماء الأحرار والمجاهدين، وبصدق النبرة وقوة العزيمة. عملية تحرير الجنوب اللبناني هي التي دفعت بالمجاهدين الفلسطينيين لهذا الكفاح النوعي على أرضهم. الجنوبيون هم الذين علموا جيرانهم كيفية تقديم الأرواح لتخليد الحقوق والإصرار على تحصيلها بالطرق المباشرة، التي تكسب المجد كما تكسب الأرض.

لقد حرر الرئيس السادات سيناء أولاً بالسلاح وبنصر أكتوبر ثم جاءت مرحلة المفاوضات، التي كبّل بها المصريين بمعاهدة كامب ديفيد التي تحظر على مصر، رسمياً على الأقل، التمتع بحقائق التاريخ والجغرافيا، ولقد رأينا بأم العين كيف أُغلقت الحدود المصرية أمام الفلسطينيين في زمن العسرة، ورأينا بأم العين كيف تعاملت قوى الأمن مع المظاهرات التي تشجب المجازر الصهيونية

في جنين ونابلس والقدس وغزّة وبقية الأراضي الفلسطينية الملتهبة.

تحرير الجنوب اللبناني بقوة السلاح، حتّم علينا أن نلتفت إلى حقيقة تاريخية هامة، وهي أن العدو الصهيوني لا يؤمن بغير القوة ولا يحترم غير القوي، وأنه إنما يُمارس قوته للتشفي ولإذلال الأمة العربية لا لمجرد الاحتلال وكسب الأرض، إنه يُعذب الواقعين تحت الاحتلال بشكل مَرَضي، بالحواجز والاعتقالات وإغلاق الطرق والمنافذ وتنظيم الجواسيس والعملاء والمخبرين، وتسخير الأهالي ونشر الرذيلة، وهي الوسائل التي يستخدمها العدو لتفريغ الروح من محتواها الإنساني الحرّ، طريقاً لإذلال الشعب واستهلاك قدراته الوطنية، وهو الأمر الذي فشل الصهاينة في فرضه على الجنوبيين، فثاروا بالجسد كما ثاروا بالروح، وبتلك الثورة المزدوجة حرروا أرضهم وأعزّوا أمتهم.

إن جوهر التحرير لن يتبلور ويسود حتى تتحرر العقول من عبوديتها، فالتحرير الحقيقي ليس للأرض وحدها، لأن الأرض بسكانها لا بأحجارها وسهولها ووديانها... وتحرير العقول لا يكون إلا بنبذ الفرقة، والالتقاء حول القواسم الحضارية المشتركة، بعيداً عن الطائفية والمناطقية والمذهبية... تلك المعاني التي تزداد حدّة مع مرور الأيام، وهي وإن انحسرت في مكان فإنها إنما تُفرّخ في

أمكنة، وهي وإن غابت لساعة فإنها تفعل على مدار الساعات مهددة جوهر التحرير ومعناه، معيدة الوطن والمُواطن إلى مَواطن العبودية، التي عانى منها الشعب اللبناني على يد الصهاينة وعلى يد زعمائه، فهل بقي الصهاينة لتبقى العقول بعيدة عن التحرير؟!

إن حرية الإنسان هي الشرط الأول لتقدمه وسعادته ولاشتراكه مع المملكة الإنسانية في حضارة الإنسان، وما لم يحقق الشعب لنفسه الحرية، تماماً كما حقق لنفسه تحرير الأرض، فإنه سيظل رهين الاحتلال بكل أبعاده، ذلك الاحتلال الذي يبدأ من الأرض فيمتد إلى العقل ثم إلى الروح والحلق والرقبة والقلب والدم والعصب... ولنتصور إنساناًيعيش ببقية ما في المخلوقات جميعاً، بالجلد والعظم والشعر واللحم والشحم. هذا هو الإنسان العبد، وهذا هو الإنسان الذي لا نقبله ولا نرضاه، وهذا هو الإنسان الذي لا ينتمي إلى هذه الأرض الطيبة المباركة، ليس ممن ينتمون إلى أكناف بيت المقدس الطاهرة المرابطة، التي سيظهر حولها الحق وينتهي في معاركها الصراع الأبدي بين الحق والباطل...

جواسيس!!

ولد في الاسكندرية بتاريخ ٢٦/ ١٢/ ١٩٢٤ ثم غادر إلى إسرائيل في صيف ١٩٥٥ فأصبح الجاسوس الإسرائيلي الأخطر في المحيط العربي، وعندما حطّت رحاله في مصر كان جمال عبد الناصر في قمة حماسه العربي فأبعده إلى إيطاليا، رغم علم المخابرات المصرية بأنه جاسوس إسرائيلي من الدرجة الرفيعة جداً.

بعد استحالة قيامه بدوره في مصر، قرر رؤساء «كامل أمين ثابت» المعروف بإيلي كوهين، إرساله إلى سوريا عام ١٩٦٢، وبالفعل بدأ كوهين مهمته الجاسوسية الجديدة، فاخترق الدولة السورية كرجل أعمال عالمي، وعرف الكثير من أسرار الجيش السوري، وقبل نكسة حزيران بعام أعدم كوهين شنقاً في ساحة المرجة في الشام يوم ١٨/ ٥/ ١٩٩٥، فتحول في إسرائيل إلى بطل قومي، عزّت به غولدا مائير، وأطلق اسمه على شوارع عديدة في القرى والمدن وعلى مدارس ومراكز ثقافية مختلفة في الكيان الصهيوني.

بعد شهر من تأرجح جثة كوهين على المشنقة، تمكنت

المخابرات المصرية من إلقاء القبض على الجاسوس الإسرائيلي (وولفغانغ لوتس) وزوجته الجاسوسة أيضاً. وقد كان لوتس من أذكى جواسيس إسرائيل في البلاد العربية، فقد اتخذ من تربية الخيول وظيفة وهواية لتغطية نشاطاته التجسسية في مصر، واتخذ من نادي الجزيرة للفروسية مقراً دائماً، دوام وجود الضباط المصريين المهمّين فيه.

كان يوسف علي غراب رئيس دائرة الشرطة في مصر أول أصدقاء الجاسوس لوتس، وهو الذي أدخله إلى عالم الضباط المصريين وإلى أسرارهم، فوصل إلى الجنرال عبد السلام وإلى الجنرال فؤاد عثمان، ومنهما عرف الكثير من أسرار الجيش المصري ودور الاتحاد السوفيتي في تسليحه وتدريبه...

ومن أغرب القصص الجاسوسية في دنيا العرب، أن الجاسوس باروخ مزراحي كان يعمل مع كوهين في سوريا، وعندما انتقل كوهين، طلبت المخابرات الإسرائيلية إلى مزراحي مغادرة سوريا إلى اليمن لإكمال مهمته، وبالفعل ذهب مزراحي إلى اليمن وبقي فيها حتى الخامس من حزيران ١٩٦٧ يوم النكبة العربية الكبرى... قال (شموئيل شيغف) مؤلف كتاب «وحيداً في دمشق» الذي حكى قصة إيلي كوهين، أن مصر أطلقت سراح مزراحي بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ضمن عملية تبادل لـ ٥٢ ضابطاً مصرياً.

هكذا بكل بساطة.

العريضي ضد أمريكا!!(*)

عزيزي وزير الإعلام الأستاذ غازي العريضي

* **الإعلام، سلطة مَن في لبنان؟**

- الإعلام سلطة الناس.

* **ما حدود رقابة الدولة عليه في لبنان؟**

- رقابة الدولة على الإعلام في لبنان محدودة نسبياً، وهي تتدخل من وقت لآخر، ويقابلها اعتراض كبير، فلبنان لا يعيش إلاّ في أجواء الحرية المطلقة ومنها حرية الإعلام.

* **ما حدود التنسيق بينكم في وزارة الإعلام وبين النظام العالمي؟**

- تحاول الدوائر الأمريكية في لبنان الضغط على الإعلام

(*) من مقابلة لمجلة «العالِم» أجراها المؤلف مع الأستاذ العريضي، باعتباره شخصية فكرية سامقة إضافة إلى موقعه الحكومي كوزير للإعلام اللبناني.

اللبناني أحياناً، وغالباً ما تفشل في تحقيق مآربها لأننا نؤمن بحريتنا ونعمل على أساسها وبخاصة فيما يتعلق بكرامة الوطن وعدالة قضاياه ومنها التحرير والاستقلال.

* **هل من ضغوطات أمريكية حديثة على لبنان بعد حوادث ١١ أيلول؟**

- اعترف أمامك أن الأمريكان بعد حوادث أيلول كانوا منزعجين تماماً من تصريحات وزير الإعلام اللبناني، وقد اتصلوا وأبدوا هذا الإنزعاج، واتصلوا بغيري طبعاً، وكان لدي إصرار على موقفي. وكان في هذا المكان، حيث تجلس الآن، السفير الأمريكي، يعرض علينا بعض القضايا التنسيقية (!) التي رُفضت من حيث المبدأ، مما سبب انزعاجاً أمريكياً، بعد نقاش حاد جداً ولوقت طويل، انتهى بأن للبنان مواقف ثابتة لا يمكن تغييرها كما أن لأمريكا مواقف أخرى تتوافق مع مصالحها وتوجهاتها الجديدة بعد حوادث ١١ أيلول. السفير الأمريكي خرج من مكتبي غير راضٍ عما دار بيننا من نقاش.

* **هل يمكن اعتبار لبنان دولة متمردة على النظام العالمي الجديد؟**

- أولاً نحن يهمنا سعادة لبنان، وسعادة الشعب اللبناني، بالدرجة الأولى، وهذا واجبنا طبعاً، وهذا ترجمة

مباشرة لانتمائنا الوطني ولالتزامنا بوطننا، وليس لدينا مانع على الإطلاق من التعاون مع أي جهة تتحسس معنا وتؤمن بقضايانا العادلة، ولكننا لسنا مستعدين في أي حال من الأحوال للتنازل عن ثوابتنا الوطنية المحقة. من حقنا أن نعبر عن وجهة نظرنا وأن نناقش، ونحن لدينا ثوابت ولدينا مصالح ولدينا تاريخ ولدينا تراث ولن نفرط بذلك من أجل سعادة هذا أو ذاك. نحن نتمسك بهذه الثوابت ومن خلالها نتعاطى مع الآخرين راغبين بكل محبة وبكل إيجابية أن نصل إلى قواسم مشتركة.

*** هل لبنان مستهدف؟**

- لا أعتقد أن أمريكا تستهدف لبنان بهذا المعنى أو تريد شن حرب على لبنان، وفي كل الاتصالات وكل المشاورات التي حصلت ليس ثمة ما يشير إلى هذا الأمر، ولكن طبعاً هناك خلاف في وجهة النظر حول المقاومة ورأيهم بالإرهاب ومع ذلك قطعنا شوطاً كبيراً في الاتصالات لا سيما على المستوى الأوروبي، كما بدأ عدد كبير من الذين يزورون لبنان بتفهم وجهة النظر اللبنانية.

*** كيف ينظر الأمريكان لحزب الله؟ وكيف تنظرون إليه؟**

- الولايات المتحدة الأمريكية تعترف بحزب الله، والدليل على ذلك هو تفاهم نيسان، الذي كانت أمريكا طرفاً

فيه، وهي تحاول الآن التفاوض مباشرة أو عبر وسطاء مع الحزب لتعديل مواقفه ليتناسب مع السياسة الأمريكية في العالم، وبخاصة بعد الحوادث الإرهابية على نيويورك وواشنطن. ومما لا شك فيه أن هناك نقاط اختلاف جوهرية بين الحزب وبين أمريكا. أما نحن فنرى أن كل بندقية تعمل على تحرير الأرض من الاحتلال هي بندقية شرعية ولا بد من الوقوف معها.

*** وعن تصنيف حزب الله إرهابياً؟**

- نحن ضد هذا التصنيف. نحن لسنا مستعدين لقبول هذا المنطق الأعوج.

*** ماذا عن تعريف الإرهاب؟**

- منذ الثمانينيات ونحن نحاول التفريق بين التحرير والإرهاب. وفي اللقاء الذي حصل بين المرحوم الرئيس الأسد والرئيس الأمريكي كلينتون في جنيف في ١٦ كانون الثاني ١٩٩٤. كان الموقف السوري واضحاً من حيث التفريق بين المفهومين. ومع أن سوريا كانت على لائحة الإرهاب ومتهمة بالإرهاب، إلا أن المفهوم العربي العريق لم يتغير، وهذا ما نتمسك به في سوريا ولبنان وفي كل الدول العربية بشكل مباشر أو غير مباشر.

- ومن التاريخ أذكر أن الرئيس الأسد رحمه الله سأل الرئيس كلينتون عن سبب رفضه لدخول الجيش

الأمريكي في الحرب ضد فيتنام، وهنا أدرك الرئيس الأمريكي الفرق الحقيقي بين الإرهاب والتحرير.

* **النظام العالمي الجديد، عبر مجلس الأمن ومنظمة التجارة العالمية أو عبر الولايات المتحدة وبريطانيا... أصبح يخطط وينفذ خططه للعالم حسب مصلحة هذا النظام بغض النظر عن ظروف وقوانين بلاد العالم الأخرى، فمثلاً قرار مجلس الأمن ١٣٧٣، يُحاصر العالم كله تحت مبررات محاربة الإرهاب، كيف تنظرون لهذا النظام ولهذا القرار بالذات كنموذج للقرارات اللاحقة لأمريكا ما بعد ١١ سبتمبر؟!**

- نحن ضد الإرهاب ونحن لسنا على الحياد فيما يخص الإرهاب فنحن في عمق المعركة ضد الإرهاب الإسرائيلي، وضد الذين أرهبوا أمريكا، ولكننا أيضاً ضد إرهاب الشعوب، وضد القوة الغاشمة والسيطرة على العالم.

- القرار ١٣٧٣ يدّعي مطاردة الإرهاب ومحاصرة أمواله، ويدعي وضع العالم أمام مسؤولياته باتجاه الإرهاب، ولكن هذا الممارسات تتضمن الكثير من الإساءة للشعوب، ويدخل القرار ١٣٧٣ في هذا المضمار، إن على أمريكا أن تستفيد من أحداث نيويورك وواشنطن وذلك بالتعامل العادل مع شعوب العالم، فهي فرصة تاريخية لأمريكا لتصحيح الأخطاء تحت ما سمي بنظام

العالم الجديد، وهذا لصالح أمريكا ولصالح الإنسانية جمعاء. يجب محاربة الفقر، يجب إعادة توزيع الثروات، يجب محاربة الاستعمار والتمييز العنصري والاحتلال والتخلف... وبهذا يُحارب الإرهاب لا بالقتل ومقابلته بقتل آخر.

- لماذا يُراد تنفيذ القرار ١٣٧٣ بهذه العجالة وتتغاضى الولايات المتحدة الأمريكية عن تنفيذ القرارات الدولية الأخرى التي تدين إسرائيل والتي تقرر إقامة الدولة الفلسطينية وإزالة الاحتلال!

- هذه هي المشكلة مع أمريكا، إنها عملية الهروب إلى الأمام، والضغط على الحريات والضغط على الدول والأنظمة وهذا لن يزيد الواقع الدولي إلّا تعقيداً، ولن يساعد على الاستقرار الدولي إطلاقاً.

* **كيف تقيّم مواقف المملكة العربية السعودية إزاء كل ما حدث في أفغانستان وفلسطين وبخاصة ممارسات شارون الإرهابية؟**

- إنني أنظر بتقدير وإجلال لموقف المملكة العربية السعودية فيما يخص حقوق العرب والمسلمين في العالم، وما مواقف خادم الحرمين الشريفين والأمير عبدالله والأمير سلطان ووزير الخارجية السعودي إلّا علامات مضيئة في السياسة الدولية الحديثة.

- عندما نسمع من السعودية موقفاً يرفض استهداف

حزب الله أو الجهاد الإسلامي أو حماس، لأنها منظمات تقاتل إسرائيل، نمتلىء فخراً، لأن هذا الموقف يُدعّم الحق العربي دولياً، ويعطي للدول العربية ثقلاً عالمياً في الحلول السياسية القادمة.

- إن الخوف لن يكون، بغياب مثل هذه المواقف الجريئة، على فلسطين أو لبنان فحسب بل على العالمين العربي والإسلامي دفعة واحدة.

- صحيح أن شارون قتل حتى الآن ١٠٠٠ فلسطيني، وسقط في الانتفاضات آلاف من الجرحى، ولكن في المقابل ألحق النضال الفلسطيني بإسرائيل أفدح الأضرار اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ويكفي أن نذكر بداية الهجرة المعاكسة من إسرائيل.

* **هل تنظر إلى الصراع كجوهر بين الشمال والجنوب؟**

- نعم هناك صراع بين الشمال والجنوب، صراع اقتصادي اجتماعي، صراع بين الأغنياء والفقراء، صراع بين الجائعين والشركات الصناعية الكبرى في الغرب التي تتحكم بمصائر الشعوب، وبل تحكم الشعوب وهذا ما حدا بعمال العالم لرفض العولمة الرأسمالية، في سياتل وفي سدني وفي واشنطن وجنوى، هناك حركات تقوم في وجه هذه السياسة في دول أوروبية وعربية عديدة، ومؤخراً في قطر، وقبلها في جنوب أفريقيا، في مؤتمر دوربان، حيث اجتمعت آراء أكثر من ٣٠٠٠ منظمة

عالمية، ٩٩٪ منهم غربيون، ضد سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، وضد التمييز والإرهاب والعنصرية.

- اليوم الصراع بين الشمال والجنوب جوهره اقتصادي، هناك ضرورة لتعميق الحوار بين الشعوب ضمن نظرة إنسانية متقدمة، لا تعتمد المادة فحسب، وعلى أساليب السيطرة والهيمنة على العالم.

* **المطلوب إذاً هو الاستمرار في الحوار، بغض النظر عن التسمية.**

- أنا ضد مقولة صراع الحضارات، حتى من أطلق هذه النظرية (هانتنغتون) ذاته، يرى الآن بطلان هذا الصراع، وهذا ما كتبه هانتنغتون ونشره في الأيام القليلة الماضية مقرراً سقوط نظرية صراع الحضارات، مؤمناً من جديد بضرورة حوار الحضارات، من جهة أخرى فإن رئيس البنك الدولي يدعو الآن إلى عولمة الفقر، أي الاهتمام بالفقراء وبقضايا الشعوب الاقتصادية والاجتماعية وبالحوار بين الشمال والجنوب.

* **بعد القرن الخامس عشر الميلادي، عندما كانت الدول الأوروبية في بداية عصر النهضة والتنوير، كانت النظرة إلى الشرق نظرة سيئة، كان الأوروبيون يحتقرون الشرق، وقد نقلوا احتقارهم (الثقافي) إلى نابليون الذي غزا الشرق تحت شعارات كُشفت فيما بعد. عندما قويت الدول الأوروبية تحوّلت تلك النظرة (الثقافية) إلى**

استعمار (استدمار)، واليوم تتكرر هذه النظرة نحو الشرق ونحو العرب والمسلمين، كيف ترى ذلك؟

- قبل كل شيء، لا بد من الإشارة إلى أن الشعب الأمريكي هو شعب جاهل، بغير تاريخ ولا حضارة ولا تراث، ومن الخطأ المقارنة بين حضارة من هذا النوع، عمرها لا يتعدى ٢٠٠ سنة، مركبة مثل الـ PUZZLE وكل اهتماماتها بالمسألة الاقتصادية، وبين الحضارة العربية الإسلامية العريقة.

- النقطة الثانية، هناك استغباء أمريكي للعالم، هناك استعلاء واستكبار على الآخر، هذه أمريكا. والحقيقة أن جزءاً كبيراً من الإبداع الأمريكي هو إبداع عربي، ويكفي عد أسماء العرب والمسلمين الذي أخذوا جوائز لإبداعهم وإنجازاتهم وابتكاراتهم العلمية، لكن المشكلة أننا لا نجيد عرض مثل هذه الحقائق في إعلامنا، وهذا ما أردنا طرحه على مجلس وزراء الإعلام العرب عند طرح مشروع الخطة الإعلامية العربية الموحدة. نحن بحاجة إلى إمكانيات مالية كبيرة في قطاع الإعلام، لنتمكن من الوقوف في وجه الإعلام الغربي والإعلام الصهيوني الذي يتحكم بمفاصل المعلوماتية العالمية. المال يتحكم بالإعلام، ونحن نملك المال ونملك القضية وعلينا أن نملك الإرادة لجمع كل ذلك في خطة فاعلة على الأرض.

* **هل نجحتم معالي الوزير في تنفيذ مثل هذه الخطة الإعلامية؟**

- أنا بمزيد الأسف لم أنجح، ونترك الأمر لكل دولة عربية على حدة.

* **هل الإعلام بهذا الشمول وبهذه القوة ممنوع من النضوج في البلاد العربية؟**

- في بعض الدول العربية نعم، ولكن مع الوقت لم تعد المسافة بعيدة عن التغيير، والواقع سيفرض نفسه.

* **نتابع بشغف الحرب في أفغانستان، كيف تُقيّم ما يجري في تلك البقعة من العالم؟**

- لا بد من الالتفات إلى أننا نتحدث عن منطقة تحتوي على أكثر من نصف سكان العالم، تحتوي على أسلحة نووية، تحتوي على أكثر من ١٦٪ من مخزون البترول العالمي... إذاً لا بد من السيطرة على هذه المنطقة بعد إكمال السيطرة على الخليج، بسبب الخطأ التاريخي الذي ارتكبه صدام حسين، عن وعي أو غير وعي. بالنهاية فُتحت كل الطرقات أمام الأمريكيين للتواجد المباشر بالمنطقة تحت ذريعة أمنية، ولكن المشروع الأمريكي أكبر، وصدام حسين استُدرج إلى هذه الحرب بطريقة أو بأخرى، تماماً كاستدراج أمريكا للطالبان في أفغانستان. النموذج العراقي متكرر إذاً في آسيا الوسطى، مع اختلاف الأسماء: صدام في العراق

وابن لادن في أفغانستان. وبهذا يصبح العراق هو الشرق الأوسط الأول وأفغانستان هو الشرق الأوسط الثاني. من جهة أخرى كان لا بد للولايات المتحدة الأمريكية بعد أن أصبحت القطب الأقوى في العالم من أن تصل إلى آسيا الوسطى لكي تحيك النظام العالمي الجديد حسب مصالحها في هذه المنطقة الحيوية الهامة استراتيجياً واقتصادياً وفكرياً.

* **هل ستنجح الولايات المتحدة الأمريكية في السيطرة على هذه المنطقة من العالم بعد سيطرتها على الخليج؟**

- أنا أعتبر أنها نجحت؟ أنا وأنت تركنا صدام؟ كلا. من إذاً؟ باول. لماذا؟ لأنهم يريدون لصدام أن يشكل رعباً للمنطقة. كل ٣ أو ٤ أشهر يحمل البارودة و«يقوص» طلقة بالصحراء. ثم تنطلق الصرخة على أنه اخترق الحدود الكويتية... وبهذا تظل المنطقة مرتبطة بالخوف وبالقوة الخارجية، وهذا ما سيحدث في أفغانستان، ثم يقول الأفغان بعد فوات الأوان: الله لا يوفق طالبان!

* **ترون أن الطاقة النووية في آسيا الوسطى كانت من أسباب الحرب الأفغانية؟**

- ولإسرائيل دور في هذا الموضوع، وقد خططت لنسف المفاعل النووي الباكستاني بعد ساعات من نجاح التفجيرات الباكستانية إلا أن الخطة لم تكتمل ولم تنجح وبُرّرت على أنها تنسيق أمريكي - إسرائيلي لحماية

المنشآت النووية في باكستان.

* **في الحقيقة كانت إسرائيل ترغب في تدمير المنشآت كما ورد في واحدة من صحفهم؟**

- كانوا خائفين من انقلاب في باكستان تستلم بعده بعض المنظمات الإسلامية الحكم والقنبلة النووية أيضاً، مما يشكل تهديداً استراتيجياً لأمريكا كما لحلفائها بالمنطقة وبخاصة إسرائيل.

* **بالنسبة للقضية الفلسطينية هل ستعلن الدولة الفلسطينية قريباً؟**

- لا لن تُعلن الدولة الفلسطينية في المدى المنظور، وتراهن إسرائيل على إثارة مشاكل داخل الدول العربية، وبالتالي اهتمام كل دولة بشأنها الإقليمي، وهنا سينفرد شارون بالفلسطينيين دون حسيب أو رقيب، أكثر مما يجري الآن ضد الشعب الفلسطيني بكثير.

* **وما الأكثر مما يجري الآن في فلسطين؟**

- الترانسفير، طرد الفلسطينيين جميعاً من بلادهم. شارون يسعى لدفع الفلسطينيين إلى حرب أهلية فلسطينية ـ فلسطينية، بعد تغييب عدد من القيادات الأساسية التي تشكل ضماناً للشعب الفلسطيني. ثم تفرض أمراً واقعاً ليس منه البحث بقضية اللاجئين ولا بالقدس ولا بالمستوطنات، ضمن دويلة فلسطينية.

*** هل يتحمل الشارع الإسرائيلي المزيد من القتل؟**

- الشارع الإسرائيلي يتحمل أكثر، وهو الذي يدعم شارون على الرغم من أن شارون لم يتمكن من تحقيق وعوده للإسرائيليين بالأمن والأمان والازدهار. ثقة الشارع الإسرائيلي بشارون لم تتزعزع حتى الآن، هم يطالبون بالمزيد من الإرهاب والقتل والتدمير والتهجير. إكمال مشروع الترانسفير وتهجير واقتلاع الفلسطينيين من جذورهم يتوقف على الموقف العربي كما ذكرت آنفاً.
- إذا أدرك العرب كيف يتعاطون مع المسألة، فإن ذلك سيضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لفرض الحل العادل في الشرق الأوسط، لأنها الدولة الوحيدة القادرة على إنقاذ الوضع في الشرق الأوسط.

*** يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية ليس عندها الإمكانية الحقيقية للضغط على إسرائيل؟**

- معنى ذلك أنه يجب أن نتوقع الأسوأ مع آرييل شارون وغيره من الإرهابيين الإسرائيليين.

*** هل تتصور أن تظل البندقية هي الحل للقضية الفلسطينية؟**

- لا حل إلا بذلك، لكن أيضاً في الوقت ذاته يجب أن نكون واقعيين. إلى متى يستطيع هذا الشعب الفلسطيني أن يتحمل ويصبر. المقاومة نجحت في لبنان لأنه توفر لها العمق الشعبي والدعم الحكومي، أما في فلسطين

فأين الدعم المشابه؟

* **في الختام بالنسبة للإعلام اللبناني الذي يتميز في كل الدول العربية والعالم بأنه إعلام خاص بحرياته وحورياته، هل من قيود أو توجيهات؟**

- أولاً، لا نستطيع أن نضع قيوداً على إعلامنا، ولن يستطيع أحد أن يضع قيوداً على الإعلام عموماً، فقد أصبح الإعلام كالهواء يصل إلى كل مكان في حياتنا، عبر الفضائيات وعبر الإنترنت. والإعلام اللبناني يعكس تنوعاً هو صورة للحياة اللبنانية، طبعاً غير موجود في الدول العربية الأخرى. الإعلام اللبناني إعلام متنوع وحيوي وكان له دور في المقاومة وفي الانتصار والتحرير أيضاً، ولا يجب أن يُنظر له من زاوية واحدة. أما أنا فلا أشاهد إلاّ الإعلام اللبناني الجادّ والفاعل.

الجزء الثالث

نتـائج الإرهـاب

الحمار على رأس القافلة!!

تعجب الحمار الأول فرفس جاره، شهنق الحمار الثاني فرفس الماء والحمار ووصل إلى الجحش الصغير المشدوه فأدماه، ثم نادى رئيس العشيرة آمراً بالرحيل.

لماذا لا يكون الحمار على رأس القافلة إذن، وهو الذي يجيد الرفس وهو الذي يجيد الشهنقة والإدماء، ثم أليس هو الحمار الذي يحمل أسفاراً ولا يفقه منها شيئاً، وهو صاحب الرأس الكبير، والصوت الجهور؟!

عندما اجتمعت لجنة نوبل للآداب ٢٠٠١، اختارت المتعصب الأعمى نيبول، ولنوبل ٢٠٠٢ اختارت الصهيوني الحاقد كيرتيش، وعندما اختلف المنتخبون في أمريكا اختاروا بوش، وعندما أراد الصهاينة أن يبيدوا الفلسطينيين، اختاروا محاصرة عرفات أي المحافظة عليه، ويقول البعض بعد كل ذلك: لماذا اعتقل الصهاينة البرغوثي!!

عندما دخل الصهاينة إلى سيناء قتلوا الأسرى المصريين بدم بارد، سحقوا عظامهم، عندما حارب

الأمريكان العراق دمّروا الجامعات والجسور قبل الدبابات والصواريخ، عندما ثار الشعب ضد المجازر في جنين تصدت المخابرات العربية في العديد من البلاد العربية للمتظاهرين وقلّمت أظفارهم، ولولا الحياء لقصفت أعمارهم، ويسأل البعض بعد كل هذا التاريخ المرعب للأمة العربية: لماذا يسير الحمار على رأس القافلة؟!



لماذا نقاطع إسرائيل؟!

منذ عام ١٩٥١ حيث صدر قرار جامعة الدول العربية بفرض مقاطعة البضائع الإسرائيلية، وكل ما يدعم إسرائيل، والكثير من الدول العربية تفضل التعامل مع إسرائيل بشكل ذكي... فبينما تصدر النداءات المتتالية لمقاطعة علكة التشيكلس، وشوكولا الكيت كات، وعطر CK ، وسجائر مالبورو، وشامبو هيد أند شولدرز ومنظفات تايد، ومعجون سيجنال والرز الأمريكي والكوكا كولا والتويكس وماك دونالدز وكنتاكي وبيتزا هت والكتشب وهمبرغر أمريكا، وسيارات فورد، ومبيدات ريد وأقلام شيفر وباركر ومستحضرات التجميل وبخاصة إيفون... بينما تصدر النداءات المتتالية لمقاطعة البضائع الإسرائيلية أو الأمريكية الداعمة لإسرائيل، تحرص العديد من زعامات الدول العربية، على عدم استخدام النياشين المشبوهة وأزرار البدلات العسكرية والأوسمة والأربطة الخاصة بالضباط وضباط الصف والأمن العام والأمن الخاص والمحققين... تخوفاً من أن تكون مصنوعة في إسرائيل،

كما تحرص تلك الزعامات على عدم إكمال صفقات الأسلحة الأمريكية القديمة أو المفروضة عليهم وبخاصة عبر المصانع المشتركة مع المصالح الصهيونية، طبعاً حرصاً واضحاً على تنفيذ قرار الجامعة العربية بمقاطعة إسرائيل الصادر عام ١٩٥١. أما ما نراه في السفارة الإسرائيلية، في القاهرة، وما يتفاوض فيه وعبره الخبراء الصهاينة مع نظرائهم من بعض الأقطار العربية فقضية وقتية، ليست ضمن حيثيات قرار مقاطعة إسرائيل، المضحك حتى الإغماء!!

الطامة الكبرى ستكون بالأثر الرجعي للهدايا التذكارية، التي قدمها وايزمان وموشي دايان وغولدا مائير وبيغن وبيريز، للزعماء العرب، قبل وبعد وأثناء المفاوضات، والولائم والعزائم والنزهات والجلسات. فتلك الجلسات وهي كثيرة وممتدة على امتداد أعمار بعض زعمائنا، قد تكون تضمنت أيضاً استخدام علكة التشيكلس أو تناول البيتزا هت مع قليل من الكتشب الأحمر القاني، لذلك نجد في وصايا معظم الزعماء العرب، بعد عمر طويل، أن يُقاطع الورثة استلام أية قطعة مشبوهة، أو أي وسام قد يكون صُنع في إسرائيل...

حقاً إن مقاطعة إسرائيل حملة عربية عامة!!

محاور الشر!!

سواء أكان هناك حرب في العراق أو لم يكن هناك من حرب، فاللهجة الأمريكية في التعامل مع العرب لا تحمل سوى مفهوم الحرب الصليبية الحاقدة، وهي الحرب بذاتها إن لم تكن أكثر فتكاً من الحرب... بعد القرار ١٣٧٣ الذي يمتهن الوطن العربي بدوله وشعوبه، والقرار ١٤٤١ الذي يفرض الهوان على العراق، وبعد التصريحات النارية من بوش وحاشيته، هل لنا أن نسأل: ماذا تريد أمريكا؟ هل ستطلب منّا تفسيراً وتفصيلاً لرواية انقسام المسلمين في آخر الزمان إلى ٧٢ فرقة، وهل ستطلب مستقبلاً كشفاً بهذه الفرق، والإفصاح عن الفرقة الناجية وعن مدى تعاونها مع المخابرات الأمريكية؟

وإذا وصل التمادي بالولايات المتحدة لأن تتدخل في تفاصيل الاجتهادات الإسلامية نحو أهل الذمة، وكيفية تعامل الحكام المسلمين مع الأقليات عبر مئات السنين الماضية، وإذا وصل التمادي للتدخل في التبرعات والصدقات والهبات وأعمال الخير، فأي خير سنُرجي من

النظام العالمي القادم إلينا مع الغزو الأمريكي لبلادنا والقادم إلينا مع قوانين العولمة والشركات الكبرى وصقور اليمين المتطرف... الذين يتصرفون دون حياء من التاريخ؟!

لقد قسمت الولايات المتحدة العالم إلى محاور خير ومحاور شر، ثم قسمت محاور الشر إلى درجات، تترجى بعضها بالسياسة (كوريا الشمالية) وتهدد بعضها الآخر بالحرب (العراق)، ثم تهدد الدول السائرة في فلكها بقطع المساعدات إذا هي لم تلتزم بالسلوك الأمريكاني البوشي الجديد... إنه سلوك البلطجة الذي يمتحن الله به العباد، مما يذكرنا بقول الرسول الكريم ﷺ : الظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه.

إن الحديث عن الإفك العالمي الجديد، يدعونا لتذكر ما جاء على لسان سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أثناء الفتنة بينه وبين الأمويين: «لو غزانا بنو الأصفر، ويعني الروم، لوضعت يدي بيد معاوية»...

لقد غزانا كل من يستطيع الغزو، وتحولنا إلى مثال عالمي للامتهان، وآن الأوان أن نجمع قوانا في اتحاد، أو حتى في وحدة مؤقتة، على الأقل حتى لا يستفرد بنا أعداؤنا، ونأسف عندها كالأغبياء، مرددين الأثر الحيواني الحكيم: لقد قتلتُ عندما قتل الثور الأبيض!!

الإفـك!!

تحارب الصهيونية العالمية عموماً، وإسرائيل خصوصاً، العرب بسلاحين: الإعلام الفاجر والسلاح الفاجر.

تشير التقارير إلى أن الإعلام الإسرائيلي الداعر وشبكات الدعارة الملموسة والمرئية والمسموعة، تعتبر المدخول الرابع الأكبر لإسرائيل، إضافة إلى التقنيات المتطورة وصناعة السلاح وصناعة المجوهرات. وتشير التقارير أيضاً إلى أن الشرق الأوسط من أفضل زبائن الإعلام الصهيوني، بشكل غير مباشر طبعاً، لأن بلاد الشرق الأوسط ملتزمة بقوانين مقاطعة المنتجات الإسرائيلية، إضافة إلى العديد من الأسباب المنطقية التي تجعل التبادل التجاري، وبخاصة الإعلامي، عبر أطراف أخرى، فمن هي هذه الأطراف، وكيف تصل إلى الشرق؟ هذا ما تحاول مؤسسات رفض التطبيع كشفه وتعرية أبعاده.

تعتبر الروسيات من أهم روافد الدعارة الصهيونية في إسرائيل، كما أنهن ـ أي الروسيات أيضاً ـ من أهم روافد الرقص ومتتبعاته في مصر وبعض الدول العربية الأخرى.

فقد أظهرت آخر التحقيقات الميدانية أن في مصر وحدها الآن أكثر من خمسة آلاف راقصة، منهن ثلاثة آلاف من روسيا، وتتقاضى الراقصة في الوصلة الواحدة عشرة آلاف جنيه وتتعاقد مع خمسة فنادق كل ليلة، وبالتالي تتقاضى الراقصة يومياً حوالي ٥٠ ألف جنيه (طبعاً دون ضرائب وطبعاً تحت حماية خاصة)، مما يجعل مصر تفقد ألفي مليون جنيه سنوياً (٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه) على الراقصات الأجنبيات فقط. أما تكاليف الراقصات الوطنيات فحدث ولا تتحرج، ولكن التقارير تشير إلى أنهن مظلومات أمام الراقصات الأجنبيات، طبعاً لأسباب وطنية تتعلق بدفع الضرائب والالتزام بالواقع الوطني العام، إضافة إلى أن الراقصة الأجنبية على حد تعبير «فيفي عبده» تشبه الموز المستورد الذي لا طعم له، أما الراقصة الوطنية فهي مثل صباع الموز البلدي أبو نقطة. والجدير بالذكر أن فيفي عبده الراقصة المصرية المشهورة، تسمى في مصر أحياناً بالهرم الرابع وهي عضو عامل في النقابة العامة للصحافة والإعلام!!

أما السلاح الصهيوني الفاجر فهو أكثر غرابة من قصة الراقصات الروسيات لأن إسرائيل إضافة إلى قدراتها النووية (السادسة عالمياً)، تملك أكثر من مليون جندي مستعد لقتال العرب وأكثر من ٤ آلاف دبابة، وأكثر من ٦ آلاف ناقلة جند، وأكثر من ٥٠٠ طائرة قتالية متطورة، وأكثر من ٤٠٠

صاروخ لئيم!! وهي تهدد بتدمير بلاد العرب من الخليج الهادر، إلى السد العالي إلى دمشق وبيروت، إلى كل المناطق المقاومة في هذا الشرق!!

المشكلة ليست بالقوة العسكرية، فالقوة العسكرية الإسرائيلية انهزمت أمام المقاومة اللبنانية الباسلة، وانسحقت أمامها صاغرة منكسرة. المشكلة الحقيقية بالإعلام الفاجر، بالراقصات، وما يصلنا عبر المحطات التلفزيونية الفضائية، وما يدخل إلى عقول أبنائنا في موجات الإنترنت وعبر ذبذبات الأثير وفي حنايا الإعلام، من تحت الركبة طبعاً، إلى قلب الدماغ طبعاً!!





السلاطين!!

مما لا شك فيه أننا غالباً ما نصل متأخرين، وبذلك نفقد جدوى الوصول: عندما كانت الأمم الأوروبية تُنظم ثورتها العلمية ـ الصناعية كُنّا مشغولين بالقضايا الإشراقية، والأمور الفرعية والهامشية. . . وعندما صنع الأوروبيون التلغراف تطيّر منه العرب على اعتباره شيطاناً، وعندما أطلقوا الراديو، استعمله السلاطين لإيهام شعوبهم بأنهم يتحدثون مع الملائكة. في زمن الثروات بُنيت الامبراطوريات الإقليمية واستخدمت الأموال لشراء الكماليات، حتى أصبحنا نحتل المرتبة الأولى عالمياً باستيراد السيارات الفخمة والقصور الضخمة والعطور المنعشة والأشربة المفرفشة والأدوية المدوّشة. . . وأصبحنا على رأس مستوردي الكمبيوترات لاستخدامها بالألعاب وللاطلاع على آخر أخبار الفن والفضائح، والويل والثبور وعظائم الأمور تحلّ بنا عندما يتعطل جهاز الكمبيوتر، لأننا أيضاً على رأس جهلة العالم بتقنياته وأسراره وأغواره وبشاشته ومسماره. وبينما أصبح واضحاً حتى لأرباع المثقفين أن الثروات

(كالغاز والنفط والبذور والمعادن والأرض والبيئة. . .) لا تُباع بالورق المسمى «الدولار»، لأن الدولار يظل ورقاً، ويمكن، بلعبة بنكية عالمية محبوكة أو بعذر من البنك الدولي، أن تصبح الدولارات كلها رقماً لا يحلّ ولا يربط، بينما الثروات الحقيقية هي مواد نافذة تذهب ولا تعود، وهي ملك للشعوب والأجيال، ومن حق الشعوب على الحكّام استبدال هذه الثروات الحقيقية بثروات باقية كالمصانع والمعاهد العلمية والمختبرات الفاعلة والمراكز البحثية الصانعة للمعادلات والأسرار الاستراتيجية. . .

بينما أصبحت هذه القضايا واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، لا نزال ننهب ثرواتنا، بل ونضخها في أرض الآخرين، وكأنه ليس عندنا أرض وليس لنا أرض ولسنا ملتصقين بأرض. . . ولذلك فنحن في حقيقة الأمر كالهباء المعلق في الهواء، كموجات الأثير على أحسن الأوجه والتفاسير، ولا نستحق غير الهزائم!!

ما أشطرنا في التبرير، ونحن نقف عاجزين عن التفكير والعمل والإبداع، فنعود فوراً إلى الذاكرة التاريخية، نتحدث عن البيروني وابن سينا ثم عن صلاح الدين ويوسف بن تاشفين. . . وما أكثر غباءنا ونحن نحذف أنفسنا من سجل الموجودين الفاعلين حيث نرتبط ارتباطاً عجيباً بالماضي ونستهزىء بالحاضر، وتكون النتيجة، طبعاً، أننا نصل متأخرين، ولا نقطف غير الهزائم.

إيه الأس توك ده؟!

صدر في مصر كتاب للسيدة برلنتي عبد الحميد بعنوان «الطريق إلى قدري. . إلى عامر» تؤرخ فيه للثورة المصرية وهزيمة حزيران ١٩٦٧ وللوحدة بين سوريا ومصر ثم للانفصال. . . وتؤكد أن عبد الناصر لا عبد الحكيم عامر هو المسؤول الحقيقي عن النكسة وعن آثار العدوان الثلاثي على مصر. . . وتورد تفاصيل حول دور عبد الحميد السراج في إفساد العلاقة بين عبد الناصر وعامر. ويكمل الكتاب كامل القصة دفاعاً عن المشير، ولكن كيف ملكت برلنتي عبد الحميد كل هذه الأسرار والمعلومات عن قادة العرب، وكيف وصلت إلى قلب الأحداث في أخطر مرحلة من مراحل التكوين السياسي في الوطن العربي؟

يشهد من يعرف برلتني عبد الحميد بأنها تملك طاقة أنثوية طاغية، وأنها كانت تستعمل تلك الطاقة في التأثير على المشير الذي كان هو القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية والمفوّض الأعلى في سوريا، وأنها كانت صاحبة القول الفصل في حياة المشير، مما يجعل الكتاب من أهم الكتب الصادرة في الوطن العربي والمؤرخة لزعمائه، الذين

ساهموا مساهمات حقيقية في صنع النكبة والنكسة والحالقة بين الأعوام ١٩٤٨ إلى اليوم. وهنا يطرأ السؤال النقدي الهام حول المؤلفة: من هي برلنتي عبد الحميد؟ والسؤال الآخر: من هو عبد الحميد السراج.

كتب أحد القوميين السوريين كتاباً عن عبد الحميد السراج سمّاه «السلطان الأحمر»، فمن سيكتب الكتاب الأحمر عن برلنتي عبد الحميد طبعاً بسبب التشابه بين الإسمين!!

في مصر يطلقون على الفتاة الخارقة الجمال الدلوعة اصطلاح: «استوك بيتوك»، واستخدم هذا الاصطلاح في أغنية شبابية شهيرة تقول: «أيه الاستوك ده»؟! (*)

ويقولون أيضاً في وصف المرأة ذات القوام الخارق «طلقة» أو «هكشة»، وقد اصطلح الشعب أخيراً على إطلاق اصطلاح لفظة «أوجو» على ذات الطاقة الجنسية الخارقة.

ترى من يُؤرخ لِمن؟!

(*) من أهبط الأغاني المصرية الحديثة، والتي تمثل اهتمام بعض الشرائح الاجتماعية العربية، ولذلك فقد انتشرت انتشاراً واسعاً كالسرطان في الجسد الحيّ. من كلمات الأغنية (للتاريخ العربي):

إيـــــه الأس تـــــوك ده	الـــلـــي مـــاشـــي تـــوك ده
كلمني فهمني، إيه ورد الجناين ده	الـــلـــي يـــصـــحـــي الـــنـــايـــم ده
إيـــه يـــا تـــرافـــولـــتـــا ده	إيـــه يـــا كـــازانـــوفـــا ده
عـــيـــب عـــلـــيـــك فـــي الـــسـن ده	يـــطـــلـــع مـــنـــك كـــل ده!!

الحمار والبغل!!

لم يشهد التاريخ القديم أو الحديث صراعاً طائفياً أو عرقياً أو مذهبياً أو مناطقياً جاء بخير. . فقد كانت النتائج دائماً مدمرة على جميع الأطراف، سواء في الجوانب المادية، أو في الجوانب الروحية والنفسية. . وكل صراع، ما لم يكن بين الحق والباطل، ومن أجل نصرة الحق، فهو صراع «طائفي» باطل، وهنا تصبح الطائفية هي السلوك الحيواني النازع إلى الصراع من أجل الشهوة وإشباع الغريزة الحيوانية البدائية في الإنسان!!

تكوين الاتحاد السوفييتي ثم تفككه، كان على أساس طائفي، ولذلك فقد كانت الشيوعية ذاتها من تلك الصراعات، وربما أوصلتها إلى عنق الزجاجة فور انتهاء زمن القمع الشيوعي والاتجاه نحو الانفتاح، وقد اتهم المفكرون الشيوعيون ستالين وجعلوه السبب الرئيسي للصراعات الطائفية المدمرة في المنظومة الاشتراكية والسبب الرئيسي لفشل الاتحاد السوفييتي وانحلاله. وهذا بالطبع من وسائل التبرير وضمن سياسة كبش الفداء. والحقيقة أن

الصراعات في المنظومة الاشتراكية كانت تتمحور دوماً حول العرق واللغة والثقافة والدين والأرض، وهي الأمور التي تشكل المفهوم الطائفي في نهاية المطاف.. ويقال عن يوغسلافيا وعن العديد من دول أوروبا الشرقية ما يقال عن الاتحاد السوفييتي السابق. ولا بدّ هنا من التذكير بالصراعات الطائفية القذرة التي دارت في روسيا ثم في أوكرانيا وبيلاروس وأوزبكستان وكازخستان وطاجيكستان وقازقستان وتركمنستان وأذربيجان وجورجيا وأرمينيا ومولدوفيا وليتوانيا وأستونيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا وسلوفينيا والجبل الأسود...

مثل هذه الطائفية دمّرت أفريقيا أيضاً كما دمّرت الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية والكاريبي. وها هي إسرائيل تمثل الطائفية السوداء القائمة بكل أبعادها، وتمارس انطلاقاً منها أبشع الممارسات المدونة في التاريخ الإنساني... فهي الدولة الطائفية بامتياز.

الطائفية ليست للبشر المتحضرين، إنها صفة الإنسان الأول فقط!!

الطائفية جذر من جذور التخلف إلى الإنسان الأول، إنسان الأحجار والنار والقتل والنسيان. وهي في سلم التطور وفي علم التطور، مرتبطة بالحيوان أكثر منها ارتباطاً بالإنسان، فالحيّات مثلاً على اختلاف أشكالها وألوانها من طائفة تطورية واحدة وتنحاز إلى طوائفها في الحياة، والقرود

كذلك، فالغوريلا والشمبانزي من طائفة تطورية واحدة. أما الإنسان فطائفته ليست مرتبطة بالمملكة الحيوانية بقدر ارتباطها بالقمر وأثره على ماء العقل الذي أفرز المعاني الراقية، وانتقل من مجتمع الأمومة إلى مجتمع الأبوة والمدنية والمدينة، وإن كان في المجتمعات القروية فهو ذاته متمدن وهو في أصغر قرية في هذا العالم الشاسع...

ولو كانت الطائفية سمة بشرية راقية لارتبط موسى ﷺ بفرعون، ولانحاز هارون إلى هامان، فكل هؤلاء من «طائفة» الفراعنة الأكثر ارتباطاً بالطوائفية، ولكن دين موسى أو وصايا موسى كانت أكثر إنسانية فابتعدت عن طائفة فرعون إلى العقل والروح، حيث الأساس الإنساني الأول للمملكة الحضارية التي نعيشها اليوم...

وبالمثل لو كانت الطائفية سمة بشرية راقية لارتبط عيسى ﷺ بفلسطين وحدها، ولاتخذ لنفسه المتاريس فيها، ولكن دين المحبة أنكر الطائفة ليجتاز الحدود إلى أوروبا والعالم بأسره...

ومحمد ﷺ، أنكر عمه أبا لهب واقترب من سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، وتعاهد مع الفضول، وارتبط مع الكرام من كل الأصناف وحذّر من العصبية والطائفية، لأنه ﷺ يدرك كنبي أن الإنسانية لا ترتبط بغير الفكر الراقي، ولا تنتشر بغير العقل والتحضر...

وفي التاريخ كله بغير استثناء، لم يجتمع المتحضّرون على طائفة كعنصر جامع بمفرده، ففي الوقت الذي بدأت فيه الحركة العلمية بالنمو في الجزيرة العربية، كان المفهوم الإنساني وحده هو معيار المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وعنما اختل ذلك المعيار الإنساني إلى معيار الطائفة، ذي الجذور الحيوانية، اختلت الحركة العلمية في الجزيرة كلها، واعتراها الوهن والتصدع حتى رأينا الجزيرة تتقاتل، كما في الجاهلية وأسوأ، على أساس الطائفة والعشيرة والقبيلة والعصبية.

في زمن الوعي لم ينكر الرسول محمد ﷺ على النضر بن الحارث بقاءه على كفره، وهو الطبيب العارف بشؤون الطب والصيدلة، ولم ينكر عليه اشتراكه مع قومه في غزوة بدر ضد المسلمين، وهو ابن خالته، لقد دعاه بالحسنى إلى العقل والابتعاد عن مفهوم الطائفة فلم يستجب له، فتركه وشأنه إلى دعوة غيره، وهذا هو المفهوم الحضاري الذي نحن بحاجة لاستذكاره: أن نتعاون فيما اتفقنا فيه، وأن يعذر بعضنا بعضاً على ما اختلفنا فيه، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة...

لو تصفحنا بشكل دقيق أحداث ومراحل التطور العلمي عند العرب بين القرن السابع الميلادي والقرن الخامس عشر الميلادي (وهي فترة الحضارة العربية في تاريخ البشرية)، لوجدنا أن ذلك التطور العلمي قام على أسس إنسانية لا

تكترث للدين أو الجذور أو العصبية، فَمَنْ من هؤلاء من قريش: تياذوق طبيب عام ٦٧٣م؟ أم جبرائيل بن بختيشوع طبيب عام ٨٢٨م؟ أم حنين بن إسحاق عالم عام ٨٧٣م؟ أم قسطا بن لوقا عالم عام ٩١٢م؟ أم إسحاق الإسرائيلي طبيب عام ٩٣٢م؟ أم ابن بكلارش صيدلي عام ١٠٠٦م؟ وحدّث عن آلاف الأسماء من آلاف البقاع من آلاف المفاهيم التي وحّدها العلم وصهرتها الحضارة بعيداً عن الطائفة المجرّدة لكونها مجرد طائفة التي لا تأتي بخير. . .

عندما بدأت بذور الطائفية تنتشر في بلاد العرب سقط العرب، وعندما أصبحت مفاهيم أوروبا متمحورة حول الطائفية والجذور النقية تحوّلت أوروبا إلى كتلة نار، وعندما أدركت البشرية أخطاءها وعدّلت المسار بالنهج العلمي، بدأ في الحضارة الإنسانية عصر الثورات، وتحوّلت البشرية فيها إلى قرية واحدة، ولا عجب أن يُشارك العربي أحمد زويل بما بدأه نيوتن وأينشتاين وأن يصبح نجيب محفوظ الحائز العربي الأول على جائزة نوبل في الآداب. . . ومهما كان رأي البعض بالبعض، فهذا من معايير التحضر التي قد تنقذ الأمم من الهلاك، وهو عدم قبول الآخر وعدم احترام أفكاره ومعتقداته، فالله تعالى قد خلق الناس أحراراً، كي يعيشوا أحراراً، ويتقدموا أحراراً، وهذا يُخالف النهج الطائفي الذي يستعبد الإنسان قبل ولادته وبعد ولادته، وقبل دفنه وبعد دفنه، فهو من المهد إلى اللحد مصنف

لطائفة ومتحيّز لها، تماماً كما تُصنّف الضفادع والجنادب والخنازير. . .

لقد اكتوت البشرية بالمفهوم الطائفي حتى العظم، فالانشقاق الأول في الخلافة الإسلامية كان طائفياً عندما قسّم قريش إلى بني هاشم وبني مخزوم وبني أمية. . . والانشقاق الأول في الأمم التركية والمغولية والصينية والصفراء كان طائفياً وأدَّى إلى أكبر المآسي وأعمق الانشقاقات وأبشع الحروب والمجازر، وكذلك الحال في أفريقيا وأوروبا. . . كما أن أمريكا على الطريق الطائفي، ولنا أن نراقب ملايين القتلى والمشردين والجائعين على مساحة الأرض من التوتسي والهوتو إلى أفغانستان وكوريا وروسيا وفلسطين المحتلة ـ بأبشع نظام طائفي عرفه التاريخ ـ ولبنان. . . لماذا يموت الإنسان من أجل طائفته وهي سمة حيوانية؛ هل ارتدَّ الإنسان عن إنسانيته، وهل نحن إزاء نظرية تطور عكسي يُعيد البشرية إلى الحقول وحروب الرماح الحجرية والكهوف؟! أم أن البشرية إزاء التحدي القادر على إخراجها من هذا المستنقع العفن المليء بالأوبئة والصديد، إلى جنة الإنسان الواحد والمجتمع الواحد المبني على الكدّ والعمل، واحترام الآخر وقبوله، وصون الحريات، وصناعة الأفضل للتاريخ البشري؟!

الخيبات!!

ليس مستغرباً على الإطلاق أن يطالعنا العالم، عبر تقرير «نادر فرجاني» الصادر عن الأمم المتحدة، بأن العالم كله يتقدم والعرب يتخلفون.

وليس مستغرباً ألا يرى العالم فينا إلا صور الاستبداد المتقدمة، ونماذج التخلف المتقدم، وطرق النهب المقنن، ووسائل السلب المبرر، وفنون إذلال الشعوب ومصادرة حرياتها، ناهيك عن سرقة ثرواتها، وتبديدها في الخطط والمخططات ذات العلاقة بكل شيء، إلا بالتقدم والحرية.

تحل علينا المناسبات فنحتفل بانتصارات المناسبات، ونحن مهزومون في المناسبات وعلى كل جهة وعلى كل صعيد، مسجونون في أقفاص الوهم والخوف من المخابرات والمخبرين، كالفئران المحاطة بعشرات الأفخاخ الحديدية، على شكل القطط والذئاب. عاطلون عن العمل، نحلم بالهجرة.

يحل علينا أيلول، فنحتفل بإنجازات أيلول، وننظر إلى

الواقع فلا نجد في أيلول غير التخلف والجهل والاستبداد المهيمن على أجسادنا وعلى أرواحنا، بل وعلى خيالاتنا من اللجان، وما حولها من أجهزة التنصت، التي تحصى على الإنسان العربي أنفاسه، وتحصي عليه عدد مرات الشهيق والزفير، وغالباً ما يُسأل العربي عبر رجال الأمن عن أحلامه، وهل رأى فيها ما يهدِّد الأمن القومي وقضية فلسطين؟!

يحل علينا تموز، فنحتفل بتموز الثورة، وليتنا في زمن ما قبل الثورة، لكُنّا على الأقل عرفنا من يحكمنا ومن يضطهدنا، ولكنّا عرفنا عدد المعتقلات ومناطق السجون وأسماء المسجونين. أما اليوم، بعد الثورة، فعشرات الأجهزة الأمنية، هي التي تقوم باضطهادنا، تحت شعارات براقة لا تُقاوم، ولكل اضطهاد لون، ولكل اضطهاد مبرر وميزانية ورؤساء ومراكز قوى، والكل يضطهد الكل، فمن يبقى في الأمة للتنمية والإبداع والإنتاج والتفكير وبناء الوطن؟!

نحتفل بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لأنها أزالت الملكية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالانجليز والإقطاع حتى في اختيار النساء... ويُسجل لنا التاريخ غير الموثق، ومعظم تاريخنا من هذا الصنف، أن الديوان الملكي أصدر فرماناً، إرهاصاً لوجود تململ في الجيش المصري داخل مصر وفي فلسطين، يقضي بطلاق الملك فاروق من الملكة فريدة،

ذات القوة الخارقة، وبمنع زواجها من آخر (وهذه إرادة ملكية عجيبة!!)، كما يقضي الفرمان بطلاق الأميرة فوزية (أخت الملك) من شاه إيران محمد رضا بهلوي، وبرغبة الملك بالزواج من صاحبة الجذر الملكي ابنة طوسون الشهير عاشقة البرتغال، كما ذكرت الوثائق!!

وما كادت الرغبات الملكية أن تتحقق حتى ضاعت فلسطين ولم تتمكن الجيوش العربية المتخاذلة من الدفاع عنها لأنها كانت مشغولة بحماية أنظمتها فالجيوش عندنا لحماية العروش وليست لتحرير الأرض وصون الوطن، ولذلك وصلت مصر والأمة العربية إلى أبشع نكسة في تاريخها القديم والحديث، وسيطرت إسرائيل على القدس واحتلت أجزاء عزيزة من لبنان وسوريا، ولولا الحياء المرحلي لامتدت من النهر إلى البحر... لذلك كله نحتفل كل سنة بذكريات انتصاراتنا في تشرين وتموز وسبتمبر ويوليو وبقية أشهر الله، وأشهر الله تشهد بأنها لم تكن كذلك...



حقائق مـرّة!!

حرب لبنان أشهر من حرب إبادة وأسوأ من محاولة تقسيم وأسفه من حرب أهلية. حرب لبنان هي الدليل الدامغ على أن نار الحقد الصهيوني على العرب، كل العرب، لن تكتفي بأقل من إبادة العرب، والتمثيل بقتلاهم والتلهّي بمنظر دمائهم وأشلائهم وروائح قتلاهم!!

منذ الثلاثينات والصهاينة يحاولون اختراق الواقع العربي، ويحاولون صناعة زعامات وقادة عرب متعاونين ومتفاهمين مع الحلم الصهيوني، وبخاصة في لبنان، حيث توهم الصهاينة أنه الجزء الأضعف من الوطن العربي، وإذا به، والحمد للّه، هو الجزء الأقوى والأفعل.. هكذا أثبتت حرب التحرير، وهكذا انسحقت إسرائيل من جنوب لبنان.

حاييم وايزمان اجتمع مع البطريرك الماروني أنطونيوس عريضة عام ١٩٣٧، ثم اجتمع مع الرئيس اميل اده، فهل بدأت بذرة الأحلام الصهيونية من ذلك التاريخ؟

يقول إيلات الياهو في كتابه «جلوس صهيون والعرب»

أن صداقة لبنان وإسرائيل، من ضرورات الثقافة الغربية في الشرق الأوسط، ويقول بأن وايزمن كان يرى في اده صديقاً مخلصاً لليهود، ويضيف إيلات أن اده يرى في الصهيونية وفلسطين اليهودية حليفتين للبنان المسيحي المحرر والمحصن من التبعية للعالم العربي أو السوري(*).

ولطالما خطط بن غوريون وأراد قيام دولة مسيحية في لبنان قبل سنوات طوال من تأسيس إسرائيل عام ١٩٤٨، وهذا ما جاء في خطابه أمام المجلس العالمي لعمال صهيون عام ١٩٣٧ حيث قال: «إن جوار لبنان يُشكّل دعامة سياسية رائعة للدولة اليهودية، إن مصير المسيحيين في لبنان كمصيرنا..».

في شباط ١٩٣٣ أدلى البطريرك عريضة بحديث إلى جريدة المقطَّم المصرية، وكانت المفاوضات العربية ـ الفرنسية على أشدِّها آنذاك، قال فيه أن لبنان بين البلدان التي قبلت الانتداب الفرنسي بطيبة خاطر وذلك لاختلاف مذاهب سكانه، أما الأقليات والأكثريات وقولهم فينا فلا يعنينا، فلبنان وطن مسيحي(**).

(*) (وثائق الحرب اللبنانية: المركز العربي للأبحاث والتوثيق: رجا سري الدين: ٤).

(**) (صراع الواحات والنفط ـ هموم الخليج العربي ـ رياض نجيب الريس: ١٩٧٣).

عام ١٩٣٥، تراجع البطريرك عن موقفه من سوريا قائلاً «إن قضية اتفاقنا مع السوريين هي قضية مصلحة أو مصيبة جمعتنا»... وعادت اللُّحمة سياسياً، إلا أن الصهاينة أصرّوا على حلمهم بعزل الموارنة في لبنان عن محيطهم العربي، وهذا ما أورده موشى شاريت رئيس وزراء إسرائيل في منتصف الخمسينات في مذكراته، نقلاً عن بن غوريون: «لقد حان الوقت لدفع لبنان، أي الموارنة في هذا البلد إلى إعلان دولة مسيحية». أما الياهو ساسون فقد أورد حواراً مع رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري، ملؤه الغرابة ومنه أن الرئيس الخوري قال له: «يوجد بيننا وبينكم حاجز يجب إزالته، وهذا الحاجز هو جبل عامل، هناك ضرورة لتفريغ هذه المنطقة من السكان الشيعة الذين يُشكِّلون خطراً على بلدينا، وقد سبق لهم أثناء فترة الاضطرابات في فلسطين أن تعاونوا مع عصابات المفتي (*) لتهريب السلاح والرجال». ويروي إلياهو عن الرئيس الخوري قوله: «الحل بإقراض البطريرك عريضة مبلغاً كبيراً من المال لتوطين الموارنة اللبنانيين في جبل عامل بعد تفريغه من الشيعة.

(*) يقصد فخامته المرحوم محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين، الذي قاد نضالاً عسكرياً وسياسياً ضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين. عاش بعد نفيه في لبنان ومات فيها..

في ذكرى الحرب، علينا أن نتذكر المراحل القادمة في بناء الكيان الصهيوني، وعلينا أن نتذكر لماذا قُتل حبيقة ومن الذي قتله، وهل كانت في جعبته إجابات وذكريات لا يعرفها غيره؟! وعلينا أن نتصور أفضل الأشكال الدستورية لحكم هذاالبلد باعتبار أن الدنيا تتغير أيضاً!!

المقلّدون؟! (*)

الإعلام العربي منذ أيام الشعر عند العرب، وإعلام «قل للمليحة في الخمار الأسود» حتى «الفتاة» عام ١٨٩٢ في مصر و«الحوادث» عام ١٩١١ في لبنان و«أم القرى» في مكة المكرمة عام ١٩٢٥ حتى مجلة «العالِم» اليوم... هو إعلام عربي يعتمد بجوهره على إعلام خارجي، وهو بذلك لا يأخذ صفة السلطة الرابعة كما هو الحال في الدول الأكثر ليبرالية وتقدماً وإنما يأخذ صفة الإعلام التابع المقلد السلبي غالباً وذلك لأسباب عديدة أهمها: قيامُ الإعلام العربي على أسس ثقافية متناقضة، والتوهانية بين المفهوم القطري للنهضة ومفهوم الأمة، ثم التركيز على قضايا التحرر من الاستعمار وما هو الاستعمار، وما هو الوطن، ومن هو المواطن انطلاقاً من مفاهيم السلطات، حتى أصبح

(*) من ندوة متخصصة جمعت المؤلف ومعالي الأستاذ غازي العريضي وزير الإعلام اللبناني حول آفاق الإعلام العربي ومعوقاته نُظمت في قاعة اليونيسكو في بيروت في آذار ٢٠٠٢.

همّ الإعلام العربي إضفاء الشرعية على الكيان بينما همّ الإعلام العالمي في الغرب تحسين الكيان ونقده، بحثاً عن التقويم والتطوير لمناحي الحياة المختلفة.

في أزمنة الاستقلال انتقل الإعلام العربي إلى مرحلة التقليد، ونقل المعلومات عن وكالات الأنباء العالمية، فنَقَل بالحوامل الإعلامية العربية، المقروءة والمسموعة والمرئية، الأوضاع الغربية من فكر واجتماع وسياسة وفن وحرب وسلام، تاركاً للعربي المجال واسعاً لاكتشاف تخلفه واندساسه بالغرب، والتحسر على ضياعه وذوبانه في الكم الهائل من المعلومات الغربية عن ثقافته وأبعاده. ولو قارنت عناوين معظم الصحف العربية اليومية ببعضها البعض نجدها في كل صباح متشابهة بالصور والأخبار والمحتوى والتوجه، لأنها جميعاً نقلت أخبارها وصورها ومحتواها وتوجهها من «الأسوشييتد برس» الأمريكية و«اليونايتد برس» الأمريكية أيضاً وربما من رويتر البريطانية ووكالة الصحافة الفرنسية أو وكالة الأنباء الألمانية أو تاس السوفييتية. ويكفي أن نقارن كمّاً بين ١٧٧٢ صحيفة يومية أمريكية تصدر كلَّ صباح وتُوزَّع أكثر من ٦٢ مليون نسخة وبين ١٥ صحيفة يومية مصرية، توزع ما لا يزيد على ٧٧٥ ألف نسخة. وأن نوازن بين أربعين مليون كلمة صادرة عن وكالات الأنباء المذكورة آنفاً وبين واحد بالمائة من هذا الكم يصدر على استحياء عن كل وكالات

أنباء العالم الثالث، الذي يمثل حوالي ٨٠٪ من سكان الكون، ونحن من هذا العالم بكل فخر. ثم لنتصور أثر ذلك الانتشار الإعلامي الغربي على أفكارنا نحن العرب وعلى عواطفنا وقراراتنا.

تحوَّل الإعلامُ بفضل الإمكانيات الضخمة مالياً وتقنياً في جزء من العالم إلى سلطة حقيقية تتحكم في دقائق حياتنا الشخصية والعامة، وتوجه سياسة بلادنا وأفكار سياسيينا دون أن يشعر أحدٌ بما يجول في خلفية عقله، ومن البديهي هنا أن نذكر السيطرة اليهودية العالمية على الإعلام، فإذا أراد الإعلام العالمي من ذلك الجزء من العالم التقرير مثلاً بأن الإسلام الحركي هو الصورة الموازية للإرهاب العالمي تمكّن من ذلك، وإذا قرر أن بن لادن هو من فجّر الأبراج التجارية في نيويورك والبنتاغون في واشنطن تمكن من ذلك أيضاً، وإذا قرر أن المرأة مسحوقة في الشرق، تمكن من ذلك وإذا قرر أن الحرية معدومة في الشرق تمكن من ذلك أيضاً، إلى درجة أن الإعلام العالمي أصبح هو الحاكم الفعلي للعالم، أي أنه خَلَفَ مملكة الرودشيلد في الحكومة الخفية التي تحكم العالم. ومن المؤسف أن إعلامنا في عدد كبير من الدول العربية، لا يزال بمعظمه، تابعاً لتلك الحكومة الخفية التي تحكم العالم. لذا فلا يُستبعد أن يُستخدم الإعلام بشكلٍ من الأشكال استخداماً سلبياً ضد القضايا الوطنية،

وبالأحرى ضد القضايا المتعلقة بجوهر المجتمعات العربية. وإذا لم يُقرر لهذا الأمر الاهتمام المتناسب مع أهميته، فإننا نسير حتماً نحو درك التضليل الإعلامي العام الذي غالباً ما يتمخض عن ممارسات وخطط تتناسب مع ذلك التضليل الإعلامي.

تحولت العولمة بعد الحرب العالمية الثانية إلى تيار يحكم العالم. ومع أن الهجوم على أمريكا في ٩/١١/ ٢٠٠١م قد يمثل زمناً فاصلاً بين العالم قبل الهجوم والعالم بعده، كما أنه ـ أي الهجوم على أمريكا ـ قد يُشير إلى نهاية التاريخ الأمريكي، الذي طالما تغنى به فوكوياما، معتبراً أن الإنجازات الأمريكية في السوق والدولة هي منتهى غاية التاريخ الإنساني من حركة التاريخ، كما أنه، أي الهجوم على أمريكا، قد يمثل نقطة البداية لصراع طويل بين الحضارات لا سمح الله ولا قدّر، وبخاصة إذا ما استخدم الإعلام بكل فاعلياته في تأليب الحضارات على الحضارات وفي تضخيم القضايا الصغيرة والنفخ في القدرات كما حدث قبل حرب الخليج وكما حدث بعد الهجوم على أمريكا وكما حدث قبل غزو العراق وكما يحدث الآن في التحضير لغزوه! أقول مع كل تلك الاعتبارات وغيرها من الهواجس، تحولت العولمة فعلاً وواقعاً إلى تيار كاسح: مداه السوق والإنتاج والربح، وضماناته الجيوش الجرّارة، وحامله الإعلام،

الذي تُسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية عبر ملكية وتبعية أكثر من ٥٠٪ من كل صحف العالم اليومية، ٤٥٪ من كل محطات الإذاعة العالمية، ٢٦٪ من كل المحطات التلفزيونية العالمية. أما شبكات الانترنت، وهي الاختراع الأمريكي العسكري العولمي بامتياز ـ فلا بدّ وأن تمر أو تستقر في برجٍ من البروج الإعلامية الأمريكية، الصهيونية حتماً.

هذه الهيمنة العالمية الصهيونية على الإعلام، لا يقابلها شيءٌ متناسبٌ من الذاتية الإعلامية العربية، ولا يمكن أصلاً الوقوف أمامها لأنها تيارٌ جارف. ومن هنا وجب التنبه إلى ضرورة البدء بترشيد الإعلام العربي في مجالاته المختلفة لمواكبة التيار، ضمن الهوية والحاجة الذاتية، لا في السياسة والفنون فحسب، بل في كل المجالات الحياتية المؤثرة: محطات فضائية متخصصة، شبكات انترنت مع خدماتها وبرامج تدريب تتماشى مع هذا الحلم العربي الإعلامي الكبير...

وأخيراً، فإن الأنظمة السياسية في العالم الثالث لا تستسيغ الحرية الإعلامية تجنباً لسلطة المراقبة وخوفاً من كشف المستور، ولذلك فهي غالباً ما تسعى لتحويل سلطة الإعلام إلى إعلام السلطة أي إضافة السلطة الرابعة إلى السلطات المركزية، مما يحول دون نشوء وتطور المؤسسات الإعلامية بالشكل المتناسب مع تطور الأحداث

وتطور العالم، وحيث أن العالم يتحول تدريجياً إلى قرية واحدة وإلى شاشة واحدة، فلا بدّ من الإقدام ولو تدريجياً على رفع سقف الحريات الإعلامية، وسيلة لتطوير القدرات الإعلامية نحو الفعل الاجتماعي والسياسي بعيداً عن القول الجاهز، وكليشات «أمرك سيدي»!!



سفينة نوح!!

«فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً، وجعل ثلاثة أثافيَّ لِقِدْره»(*).

كانوا يؤمنون بالينابيع والجوهر والانسجام وفلسفة الأشكال، وكانوا يؤمنون بالأرقام، حتى قالوا: «الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة». وفي جوهر هذا الاعتقاد الرقمي هناك رغبة فكرية جامحة بالمعرفة، معرفة المستقبل والكون والحياة والرابط بين الأشياء في دائرة الوعي والحس والحدس والشعور... إنه البحث الدائم عن الانسجام، الذي هو هوس المفكر ومنتهى غاية العابد والعالم...

واليوم تغيّر الحال فإذا سافر الرجل، فنزل منزلاً، أخذ أربعة كتب فنظر في أحسنها، فإن لم يجد ما يستحسنه،

(*) ابن الكلبي: كتاب الأصنام: ص ٣٣.

قذف بها في سلة النفايات. ثم اتجه إلى الجرائد والمجلات يقلّب أنظاره فيها وفي الفضائيات المتبارية في كل شيء إلا النهضة والأخلاقية، فلا يجد سوى الكذب والادعاء والدعارة المجانية، فالأول في المكتوب نصّبوه رباً، والثاني في المسموع والمرئي نصّبوه رباً آخر، وها هو الحرّ أينما حل، يظل مكتوماً مغلقاً من الأعلى ومن الأسفل.

قابيل وهابيل، ذو القرنين، الخضر، جلجامش، نوح، السفينة... البحث عن عين الحياة، حتى أساطير وهب بن منبه في «التيجان»، والثعالبي في «عرائس المجالس»، لم تصل إلى هذا الإفك العالمي الذي يحرّكه شخص واحد ينصب نفسه ضمن حاشيته «ربّاً» وكأنه ريح عاتية، تهرب أمامها الكائنات إلى سفينة نوح: «فلمّا كان مستهل شهر رجب نودي من التنور: قم يا نوح فاحمل في سفينتك من كل زوجين اثنين، فحمل في الباب الأول الرجال وفي الباب الثاني النساء وفي الباب الثالث الوحوش وفي الباب الرابع الطير وفي الباب الخامس السباع، وفي الباب السادس الحية والعقرب، وفي الباب السابع الأسد...» والرئيس بوش واقف على صدر حاملة الطائرات خطيباً مقرراً، حاملاً عصاه مهدّداً العراق أولاً والذي ليس معنا هو علينا. ويقول عنه الهاشمي رفسنجاني بأنه رئيس وقح، ولكن السفينة تُكمل الإبحار فأين المطر الذي يُغرق

السفينة؟، أما إذا نجت وهي تحمل الرئيس وكل الرؤوس النووية ومن كل زوجين اثنين، بما فيهم بعض رؤساء بلادنا وبعض زعماء الأحزاب وبعض أصحاب المناشير والدف والمزمار. . . .، إذا نجت السفينة وهي تحمل الرئيس ونائب الرئيس ورامسفيلد وزير الدفاع، الذي يجوب العالم بحثاً عن الدعم المطلق لتدمير العراق نهائياً، وربما لمحوها عن الخريطة وربما لمحو جيرانها أيضاً. . . إذا نجت السفينة. . . فعلينا أن نفكر جديّاً بوصف سفينة نوح في «عرائس المجالس»، وأن نتخذ أربعة أحجار، فننظر إلى أكرهها شكلاً وأن نتخذه رئيساً!!



فلسفة القراطية!!

الأغبياء يقولون: كل فرنجي برنجي، ولذلك فسارتر مثلاً هو فيلسوف الوجودية الأفضل في الدنيا وهو الجامع الأجمع للمادية الوجودية والماركسية معاً، وكذلك صاحبة مخدعه الفيلسوفة «سيمون دي بوفوار»، وصاحبتها وربما وصاحبتهما معاً «بيانكا لامبلان» التي أصدرت مؤخراً كتاباً بعنوان «علاقة مشينة» لوصف وفضح قرطة المنحرفين، الذين طبّلنا لهم طويلاً في أواسط القرن الماضي حتى أصبحنا من المطبلين بامتياز، وزمّرنا لهم ومعهم في بلادنا وبخاصة في مصر، حتى أصبحنا (أعني المثقفين) من المزمرين بامتياز أيضاً. ويا ليت انتهى الأمر على التطبيل والتزمير، فالمعلومات، الصادرة من «الداخل» تُشير إلى أن قرطة المنحرفين «هؤلاء»، كانوا مجرد نقلة للفكر القديم بثوب الجديد، كانوا مجرد كتبة للفكر القديم بأقلام جديدة، تزعم دمج الفكرين: الوجودي الماركسي في فلسفة جديدة، والحقيقة أن الفلسفة الجديدة هي فلسفة «القراطية» من «قَرَطَ» والعياذ بالله. . .

بدأ جان بول سارتر قراءاته التي وصفت له العالم وكأنه جنة عدن، وفي الواقع وجد نفسه في نار الله الموقدة، فحاول ربط الماركسية بالوجودية عبر تحوير أفكار المبدعين السابقين أمثال ماركس وهيجل وتوماس هربز، ثم عبر تحديث الألفاظ وإثارتها بالشبق الوجودي الجديد، الذي لا يُمانع من أن ينزو الرجل على أقرب المقربين إليه كزوجة صديقه أو زوجة ابنه أو حتى ابنه ذاته!!. إن كتاب سارتر «نقد العقل الديالكتيكي» يظل كتاباً رائعاً حتى يقرأ المثقف فضائح سارتر، على لسان المفضوحة سيمون دي بوفوار، ومع بيانكا لامبلان، ثم مع زوجة ابنه، ثم مع تلميذاته، وربما تلاميذه، هنا يبصق القارىء على منهج سارتر الذي كذب على التاريخ، قبلنا، حين سماه «المنهج التقدمي الارتدادي»، وهو في الحقيقة ارتداد نحو الحيوانية والتخلف.

إننا مدعوون اليوم، أكثر من أي يوم سابق، كنا فيه مبهورين بالأكاذيب المنمقة بالكتب والمسرحيات والنظريات لسارتر وقرطته، لأن نرفض الثقافة الكاذبة التي تسقط عند أول امتحان لابتسامة امرأة، في سقفية من سقفيات سارتر، تحت حجج كتابة التاريخ الإنساني، ألا لعنة الله على التاريخ الذي سيكتبه منحرف، حتى ولو تضمن ألفاظاً رنّانة ونظريات رائعة منمقة، لا تلبث أن تتطاير في الهواء إزاء أول امتحان نجح فيه عنترة عندما قال:

وأغـض طـرفـي إن بـدت لـي جـارتـي
حـــتـــى يـــواري جـــارتـــي مـــأواهـــا

مسرحية «الذباب» ورواية «الغثيان» وكتاب «الكلمات» لسارتر، ونظريات الدمج بين الإنساني والاقتصادي، والاغتراب، والصراع، والندرة، والرعب المنتج للحرية، وحتى أكذوبة سارتر في العقد الاجتماعي... كلها أكذوبات وجودية خدعتنا وأوهمتنا بالجديد، وهي في الحقيقة مجرد نهم ينبع من داخلنا، سببه الخواء وعدم ثقتنا بما لدينا من أفكار ومفكرين، وسببه الانهزام ورغبتنا الجامحة بتقليد الآخر، المنتصر، حتى ولو كان على شاكلة سارتر صاحب النظرية القراطية الفاسدة وصاحب شعار: «ادفع دولاراً تقتل عربياً».

أنا لم أقرأ كتاب بيانكا لامبلان «علاقة مشينة» وسأكتفي بتصفُّح ما فيه، لأنني أكره البونوغرافي الفرنسي، الآن على الأقل!!

بهرام

موسى، بهرام، وأمل حسين، يمثلون المستضعفين في العالم اليوم.

٤٠٠ مهاجر من دول عربية وإسلامية هربوا من جحيم التخلف وفقدان الكرامة إلى المجهول القاتم.

عندما أقلعت سفينة المهاجرين الصغيرة من السواحل الأندونيسية، كان الركاب جميعاً يتذكرون قصة المنحوس ويدَوِّرونها في مخيلتهم، ولكنهم كانوا أمام نارين، وأخيراً فضلوا نار الاستمرار في الإبحار إلى أستراليا إلى مكان يطعمهم ويحميهم، أو على الأقل لا يقليهم أو يشويهم.

بعد الإبحار بيوم واحد غرقت السفينة في وسط البحر، ولم ينج من المهاجرين المنحوسين سوى ٤٤ شخصاً...

قال موسى العربي: «لقد أفلتوا ألواح الخشب، وغرقوا بهدوء، الواحد تلو الآخر».

قال بهرام الأفغاني: «رأيت أشقائي الأربعة وأبناء عمي الثلاثة يغرقون أمام عيني... أريد الذهاب إلى بلد

يطعمني، نحن نموت في أفغانستان».

قالت أمل وهي تحتضن ابنها مجيد: «لقد بعنا كل شيء لتوفير النقود للمهرّبين، أريد اللحاق بزوجي في مالبورن، أريد الهرب من الجحيم... لا أريد العودة إلى العراق وإلا فإنني سأتعرض للقتل...».

في تلك البلاد، أيام الزنج والاضطهاد، حاول موسى الأول، وهو من سلالة سيدنا موسى الذي نجا من الغرق، مساعدة والده صياد السمك الكهل من الغرق في مياه النهر، وعندما أصبحا على الضفة، تنهّد الأب بصعوبة وقال لموسى: ابحث عن بلد آخر يا ولدي، فالبلاد لم تعد هي البلاد!! ولكن موسى يعلم أنه منحوس، فكيف سيسافر؟ وكيف سيفرّ من رئيس الشرطة الذي منع الشعب من مغادرة البلاد ليكون الشعب كله في جيش الخليفة؟!

أخيراً... ركب موسى السفينة، وفي وسط البحر، هاج البحر وأرغى وأزبد، واسودت في قلب موسى الآمال، وتوقع شرّاً، وما هي إلا لحظات وإذا بالقبطان يُعلن أن حمولة السفينة لا تتسع لأكثر من عشرين شخصاً، وأن على الباقين ترك السفينة فوراً.. وأجريت القرعة، وكان على موسى أن يقذف بنفسه في البحر!!

موسى يعلم أنه منحوس. وقذف بنفسه في البحر، وغرق إلى القاع وأكلت جسده الأسماك واستنسخت منه

الملايين، أصبح هذا البلد مملوءاً بأشخاص من نسل موسى، وفي يوم الخميس ٢٠/ ١٠/ ٢٠٠١، بعد انهيار مركز التجارة في نيويورك بأيام حاول موسى الابن الهرب من بلده، فغرقت السفينة أثناء هروبه، ولكن موسى العربي كان أفضل من جدّه موسى الأول، فقد أنقذه الصيادون، وهو متعلق بخشبة الخلاص. . .

كانت الكلمة الأولى لموسى بعد أن عادت له الحياة من الغرق المحتّم:

لا أريد العود إلى العراق!!



العيب!!

أليس من العيب أن تملأ المظاهرات المنددة بالتهديد الأمريكي لضرب العراق أرجاء العالم كله باستثناء الدول العربية؟ وهل على العربي الراغب بالتعبير عن قرفه من الأوضاع العربية المتردية أن يسافر إلى الخارج للمشاركة بالمظاهرات؟

واشنطن، سان فرانسيسكو، لندن، سدني، باريس... وكل العواصم الحيّة تصرخ عالياً: أوقفوا طبول الحرب. ادفعوا مال الحرب للصحة والتعليم وللعاطلين عن العمل، كل الدنيا مشغولة بالهمّ العولمي وبروز مفهوم امبراطوري بدأ يمس الجميع، إلا العربي فهو مشغول بحكّ جلده استجابة لقسم الحجاج القديم ـ الجديد: والله لأجعلن لكل واحد منكم شغلاً في جسده...

هذا الاستغراب يأخذنا إلى طبائع الاستبداد وإلى طبيعة المستبدين، وإلى سلوك العبيد إزاء هذه الأنظمة العجيبة. كما يجعلنا لا نستغرب سلوك الرئيس الأمريكي بوش الانفرادي ومقولته في إعلانه الحرب على العرب

خصوصاً: «من ليس معنا فهو مع الإرهاب». أليست هذه هي جملة الغالبية العظمى من الحكام العرب الذين لا يقبلون المراجعة أو النصح أو المنافسة، ويحرصون على نسبة ١٠٠٪ من التأييد في الانتخابات والاستفتاءات؟ ألم يصرخ عبد الملك بن مروان وهو على منبر الرسول الكريم ﷺ مهدداً المعارضين: «والله لا يأمرني أحد منكم بتقوى الله إلا قطعت رأسه»؟ وما الفرق بين سلوك الرئيس الأمريكي إزاء المعارضة هنا وهناك وبين سلوك بعض رؤسائنا وحكامنا إزاء المعارضة في بلادهم؟ ألم تطارد أجهزة الأمن العربية المتظاهرين وتقطع دابرهم؟ وإذا كان الرئيس بوش يحدث العالم بكل هذا الصلف والعنجهية، وإذا كان يعامل المعارضة بالاستخفاف حتى في بلاده، ويعامل المتهمين كمجرمي حرب قبل محاكمتهم... ولكنه في ذات الوقت لا يمنع الشعب من التعبير عن رأيه. ولا يمنع الجمعيات من تنظيم المسيرات وإعداد الأبحاث والبرامج المخالفة لسياسته... أليس بوش بهذه الفسحة الديمقراطية للشعب، أكثر ديمقراطية من العديد من حكام بلادنا، وبخاصة عندما يسخّرون شعوبهم لإقامة المؤسسات الأمنية القادرة على عدّ أنفاس الناس والوصول إلى أحلامهم؟! على الأقل بوش اقترح إنشاء وزارة للأمن، بينما وزارات الأمن العربية هي أضخم الوزارات وأكثر سلطة وتسلطاً في رقاب العرب منذ عشرات السنين، وربما

تكون المؤسسات الأمنية العربية هي الأفعل في العالم كله. . .

صدق المثل القائل: من كان بيته من زجاج، فعليه ألا يرشق الناس بالحجارة.



الجـزار!!

من أقدار المنطقة العربية أن تبقى رهينة الأسرار والأغرار: بقايا الأنظمة الاستدمارية في الجيش والمخابرات والاقتصاد والسياسة، وحتى في الفكر، فهؤلاء هم الذين يصولون ويجولون في الوطن العربي وهم الذي يحددون له الكثير من اتجاهاته.. ألم يكن جلوب باشا البريطاني في الأردن هو قائد الجيش الذي سُلّمت فلسطين في أيامه لليهود؟. وإيلي كوهين: الجاسوس الشهير الذي أُعدم في دمشق ألم يكن شخصية نافذة جداً إلى أن اكتشف أمره. واليوم... أيان هندرسن في البحرين... أظهر فيلم وثائقي أنتج مؤخراً أن العقيد هندرسن الاسكتلندي الأصل يمارس أبشع الجرائم كرئيس للأمن العام البحريني منذ ثلاثين عاماً. وقد طالبت العديد من لجان وهيئات حقوق الإنسان العربية والعالمية بتقديم جزار البحرين، كما يسمى، للمحاكمة في بريطانيا، إلا أن الحكومات البريطانية المتعاقبة كانت ترفض ذلك حفاظاً على الكثير من الأسرار، التي يمتلكها العقيد هندرسن، والتي قد تمس الأطراف البحرينية والبريطانية على حد سواء وقد أظهر الفيلم الوثائقي المدعم بالوثائق، الذي بثته قناة كارلون البريطانية، أن هندرسن قد خلّف أعداداً

ضخمة من المواطنين المعاقين جسدياً ونفسياً ممن حقق معهم وعاملهم بمنتهى القسوة والوحشية ـ حفاظاً على «عروبة» البحرين وعلى علاقاتها ببريطانيا على حد تعبير هندرسن ـ وقد أظهر الفيلم الذي أخذ عنوان «عين عمياء للجزار» أصنافاً شتى من وسائل التعذيب والقتل المريب لآلاف النشطاء السياسيين المعارضين. وكتبت مجلة المشاهد السياسي في عددها ٣٣١ عن الفيلم الوثائقي بشيء من التفصيل المرعب، وبخاصة ما يتعلق بنشاطات هندرسن في سلب القرى والاعتداءات الجنسية والسادية واستعمال آلات العذيب الحديثة والمبتكرة، وحجز الأطفال بدون إعلام آبائهم، ثم إعادتهم لذويهم بعد أشهر في أكياس الجثث.

إن قضية هندرسن تُعيد إلى الأذهان حكايات أفلام الرعب الخيالية والتاريخية، كما تُذكرنا دائماً بأن ما خفي أعظم، وأن الشعوب وحدها، وإن ظلمت وأُرهبت، هي لتي ستفوز مؤخراً على المستعمرين، ولكن المشكلة الوحيدة هنا، عندما تكون الضحية قد أصبحت في القبر، أو في مصحّ نفسي أو على كرسي متحرك، هنا تفوز الشعوب، ولكن متأخرة، ويقلق الظالم ولا ينام!! (*)

(*) وصلتني رسالة من قارىء عربي أعجب بهذه المقالة المنشورة في مجلة العالِم، وعلّق في نهايتها: . . . . وهل يجرؤ الكاتب على فضح الجرائم في بلاد عربية أخرى؟ وقال: وهذا يدل على الحرية في بلادي (يعني في بلاده)!!.

الأغنياء الفقراء!!

أنفق العالم على مونديال كوريا ـ اليابان ٢٠٠٢، حوالي ٣٠٠ مليار دولار، بينما لم ينفق دولاراً واحداً على اللجنة المتخصصة بالتنسيق بين الأقوال والأفعال، لجنة «عولمي» الأخلاقية. ولا بد للقارىء قبل الدخول في المزيد من التفاصيل، من أخذ فكرة، ولو مختصرة، عن هذه اللجنة، التي هي الجزء الرئيسي من مطالب حكماء العولمة، الذين يرون ضرورة ترشيدها أخلاقياً، فلا يُغالي الأغنياء في سلوكهم ولا يخاف الفقراء من فقرهم. فالعالم قرية واحدة، طبعاً قبل إعلان فرنسا وألمانيا والصين معارضتهم للحرب ضد العراق، بواسطة الهواء الواحد الذي يتنفسه الإنسان على كوكبه الصغير، برغم الهوة الضخمة بين ثروة فلان التي تُقدّر بـ ٢٥ مليار دولار، وثروة فلان التي أصبحت ٤ مليارات دولار، من جهة. وبين ثروة توما توما من الزائير، وهو من مصابي الأيبولا الذين يعملون في المناجم بأجر قدره ثلاثين دولاراً في الشهر. ينفق منها ٣٠ دولاراً لشراء الدواء المضاد للفيروس ولكنه

يظل مصاباً!!

لجنة «عولمي» كانت تناقش في آخر اجتماعاتها ثروة أغنى ١١ عربياً. وبذلك تكون منطقة الخليج العربي قد أصبحت الثانية بالمليارات الشخصية، بعد الولايات المتحدة الأمريكية. حيث يملك ستة خليجيين أكثر من ١٠٠ مليار دولار، ويصبح أثرى خمسين «إنساناً» في العالم هم بالترتيب: ١٧ أمريكياً (يساعدون إسرائيل دون حساب)، ٦ ألمان وثلاثة فرنسيين وسويسريان وإطاليان وكندي وصيني وأسباني وياباني ونمساوي وهندي واحد. لذا قررت «اللجنة» البحث بسبب امتلاك الهند للقنبلة النووية ووصولها إلى اكتفاء ذاتي بنسبة ٩٧٪، بينما لا تزال الدول العربية الأكثر استيراداً والأكثر اعتماداً على القمح الأمريكي والأفلام الأمريكية العنيفة!!

لجنة «عولمي» تكاد تصل إلى قناعة بأن على الأغنياء العرب، الذين يملكون أكثر من ١٥٠ مليار دولار، الذين يستثمرون معظم أموالهم في مشاريع خارجية، طبعاً في السياحة والترفيه والدعارة وما شابه... أن يتحولوا إلى الاستثمار في بلادهم مهما بلغت صعوبة الاستثمارات فيها، لأن الجزء الحقيقي سيكون للأجيال القادمة من أبنائنا وأبنائهم المنتظرين للفرج القريب. وبعد الاطلاع على مجمل الاستثمارات العربية، وعلى نتائج تقرير التنمية العربية، لم يستغرب مقرر «اللجنة» أن إسرائيل هي الدولة

الخامسة في العالم، في أبحاث الخلايا الجذعية والأكثر تقدماً في العالم في مجال الاستنساخ. بينما العالم العربي لم يعرف حتى الآن ماهية هذه الخلايا أو دورها المستقبلي في استنساخ «الأغنى» بصورة وطنية، لا سيما وأن الدول العربية لا تزال تتنافس مع الولايات المتحدة الأمريكية على مرتبة السادس الأغنى في العالم، مما يجعل مهمة الرئيس بوش في شن الحرب على المنطقة أمراً حتمياً من وجهة نظر الصهاينة أولاً، والمرابين أمثال جورج سوروس الذي يفاخر بتدمير الاقتصاد الآسيوي، بعد ذلك!!



العضاريط

انعقد في لبنان يوم ١٩/ ١/ ٢٠٠١ في فندث البريستول مؤتمر وزراء الإعلام العرب، تحدثوا فأبدعوا. ثم في ٢٠/ ١/ ٢٠٠١م أي بعد خطاباتهم بيوم واحد زاروا الجنوب ومعتقلات الأمس، ولأنهم زاروا أيضاً بوابة فاطمة، فإن بعضهم، كما أخبرتني الحمامة، سمع الرئيس الإسرائيلي «موشي كاتساف» وهو يقول: «هناك فرق كبير بيننا كيهود وبين أعدائنا العرب، ليس فقط في الإمكانات بل في الأخلاق والثقافة وتقديس الحياة وأهمية الضمير. إنهم جيراننا ولكن يبدو أن مئات الأمتار تفصلهم عنا. إنهم قوم لا ينتمون إلى هذه المنطقة ولا إلى هذا العالم بل أنهم ينتمون إلى كوكب آخر».

ورداً على هذا الكلام الاستفزازي، الصحيح في معظمه، دبَّج أحد الوزراء خطاباً حول دور المثقفين العرب وحول الفاعلية الإعلامية العربية في الرد على المزاعم الصهيونية فقال:

«أورد الفيروزأبادي في الجزء الثاني من محيطه في

باب الطاء فصل العين، أن العضرط (هو المثقف أو الإعلامي) مفرد عضارط وعضاريط وعضارطة، والمفرد عضرط هو الخادم على طعام بطنه والأجير...» (ص ٣٨٧).

وحتى لا يمر الكلام دون قرارات وتوصيات، فقد أوصى الوزراء بإنشاء فضائية عربية ناطقة باللغة الإنجليزية وأخرى باللغة العبرية، وأوصى الوزراء أيضاً بالتقليل من برامج الكباريه المفتوح، المبثوث ٢٤ على ٢٤ في الفضائيات العربية.

وبصفتي مديراً لتحرير مجلة العالِم، وهي صورة من صور الجدّية الإعلامية العربية، اتصلتُ بمعاليه في فندق فينيسيا حيث يسكن الوزراء، وكان الحوار إيجابياً للغاية، فمعاليه يؤكد على ضرورة بلورة خطة إعلامية عربية لدعم القضايا العربية القومية، ولا سيما الانتفاضة في الأرض المحتلة، وعندما سألته عن «الخطة» ظن معاليه، أنني أتحدث عن «الخبطة» (الصحفية طبعاً)، وهنا حدثت اللخبطة... والذي عزّاني، وربما يُعزّي القراء أيضاً، أن الخطة واللخبطة والخبطة كلها من نفس المصدر (حسب الفيروزأبادي دائماً!!)

بناء الفينيسيا من الضخامة والفخامة والرخامة بمكان، بحيث جعلني أشعر بأن المتحدث فيه، أمام الأحجار المنحوتة كأحجار الشطرنج، لن يركز إلا لبرهة صغيرة على

أي موضوع مهما كان هاماً، ثم يعود للمقارنة بين هذه الأحجار الأنيقة وبين كومات الخراب الناتجة من القصف الإسرائيلي على بيوت ومخيمات أبنائنا وأهلنا في فلسطين بطائرات فـ ١٦ العملاقة. بعد المقارنة التي طرأت بلمحة بصر، غرقتُ بطوفان فخامة البروتوكول المصاحب لمعاليه، وفجأة انتابني شعور بالاستسخاف للإعلام العربي الذي أمارسه وهو مهنتي وعدتُ أتذكر الصفحات الصفراء التي سوّدها الفيروزأبادي باشتقاق العضاريط من عضرط!!

أما مقررات مجلس وزراء الإعلام العرب في ختام دورته الـ ٣٤ فكانت بدعم لبنان والمطالبة بالانسحاب الإسرائيلي من مزارع شبعا والجولان... حتى حدود الرابع من حزيران ٦٧، وكذلك من جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة، وكانت المقررات لدعم الانتفاضة الفلسطينية، وكانت للاستفادة من التجربة اللبنانية في الإعلام المقاوم من حيث التركيز على مخاطبة الرأي العام الإسرائيلي في وقت أثبتت هذه التجربة نجاحها... وكانت المقررات لدعم القدس! ورفض التطبيع مع إسرائيل ورصد جرائم إسرائيل ومحاكمة شارون كمجرم حرب، وأخيراً أشاد المجتمعون بالسيدة ماري روبنسن المفوضة السامية لحقوق الإنسان...

لحظات وبدأت محطة الـ LBC ببث وقائع الاحتفال بعيد الموسيقى في ساحة ساسين في الأشرفية. وعرضت

محطة المستقبل واحداً من أروع أفلام الرومانس، بينما كان وزير الدفاع الإسرائيلي يُصرّ على ملاحقة أعضاء تنظيمي الجهاد وحماس حتى آخر إرهابي...

فلافل، أحذية، كذب، إدعاء، إعلام عربي، فضاءٌ قاتل، غازات سامة، عدو فاعل، أمّة تموت!!



زمن العنف!!

عندما بدأت المجتمعات البشرية بالتكوّن، كان السلوك الغالب على التجمعات البشرية هو العنف، وكان الإنسان أقرب ما يكون إلى الحيوان. رويداً رويداً، وعلى مدار الملايين من السنين، وعبر الصالحين والأنبياء، وعبر العقل والتهذيب الأخلاقي الذي أراده الله سبحانه وتعالى للبشرية، تغيّرت الحيوانية في الإنسان إلى الإنسانية في الإنسان، أصبح الإنسان رحيماً مع وجود الغلظة في طبعه، وأصبح منتظماً في جماعته رغم وجود التفلّت في طبعه، وأصبح اجتماعياً أنيساً رغم وجود العنف في طبعه، وما كان ذلك التغيير التدريجي ليتم لولا رحمة الله بهذا الكائن الآدمي الذي خلقه من تراب وفضّله على ملائكته العابدين.

بعد كل هذه المراحل في التطور الإنساني نحو الرحمة والآدمية يعود الإنسان اليوم إلى الوحشية والتفلت، ويعود إلى العنف الحيواني وإلى الظلم والأنانية وحب السيطرة.. تماماً كالأسد في الغابة، شريعة القوي، شريعة الظالمين...

والأغلب أن البشرية اليوم بحاجة إلى قضيتين رئيسيتين إزاء هذا التحول نحو الحيوانية البدائية: الاعتراف بواقع الحال، والإعداد للتغيير.

في القضية الأولى، لا بد من النظر إلى الوقائع والأرقام الرهيبة والمخزية، التي تميز السلوك الوحشي الحيواني في الإنسان، وبخاصة سلوك الجريمة، التي تطورت (نوعاً) وازدادت (كماً) نحو ألف ضعف خلال ربع قرن من الزمان (بين ١٩٧٥ـ ٢٠٠٠م)، ففي عام ١٩٧٥ كانت نسبة الجريمة لا تتعدى ٥ جرائم قتل لكل ألف شخص في العالم، أما عام ٢٠٠٠م فقد زاد الرقم إلى ٢٠ جريمة في كل ألف شخص من العالم. أما على مستوى البلاد، ففرنسا حيث برج إيفل والمولان روج، وحيث الدولة الأولى في العالم على مستوى العطورات والسياحة، هذه الدولة تزداد فيها الجريمة ويزداد فيها العنف بربع قرن بنسبة ١٠٠٠٪ مقارنة بزيادة قدرها ٦٠٠٪ في الدنمارك و٣٠٠٪ في السويد.. ومع كل التحفظات، ومع فارق الأرقام، فقد زاد العنف وزادت الجريمة في بلادنا الإسلامية، وفي بلادنا العربية، بأرقام خيالية أيضاً، فنحن من المجتمعات الإنسانية أيضاً، وما الحرب اللبنانية والحرب العراقية الإيرانية والمجازر الصهيونية في فلسطين، وما يحدث في الجزائر وأندونيسيا إلا أمثلة والتفاصيل مخزية!!

إضافة إلى هذا العنف المباشر، هناك العنف ضد المرأة والعنف للحصول على المرأة، العنف ضد الأطفال والعنف لاستخدام الإطفال في الدعارة والعمل الإجباري، العنف ضد الفقراء والعنف في تجنيدهم ضمن الصراعات الإقليمية والمحلية الخاوية من أي معنى إنساني أو تنموي. والأهم من كل ذلك هناك العنف الإرهابي الدولي الذي تمارسه الدول الكبرى على الدول الفقيرة، عنف الإفك العالمي الذي يصنع عبر شركاته وآلته الآثمة أدوات الدمار والفتك كالقنابل المشعة والألغام الأرضية، والأسلحة الإنشطارية والكيماوية والذرية، وحدّث ولا حرج، فالدول العظمى تحولت إلى آلة حيوانية همها القوة، ووسائلها التقنيات القادرة على تدمير العالم دفعة واحدة، بكبسة زر، من أحد الفنانين الذين يحكمون العالم، وأعني بالفنانين كلينتون قائد المايسترو ثم بوش وحليفه بلير المغني الذي يحكم العمال اليوم، ولعمري إنها لظاهرة تشبه العنف أن يتحول المغنون والممثلون في العالم إلى الطبقة الأولى فيه: التي تحكم والتي تسيطر والتي تتحكم بثروات الدنيا ومقدّراتها.

إن العنف بصوره المختلفة وعلى مستوياته المختلفة هو الإعاقة الحقيقية في العالم، وما لم يلتفت الحكماء في العالم إلى وسائل تأهيل هذه الإعاقة، فإن القادم لا يُبشِّر بغير الدمار، حيث ستجد القاتل هو الحاكم، والقوي هو

الحاكم، والمخمور هو الحاكم، والمحتكر هو الحاكم، أما بقية العالم فمن طبقات المحكومين، المسحوقين. . . عندها فقط يعم الفساد في البر والبحر، ويكون ذلك الفساد هو الطوفان الجديد، وتعود الدنيا إلى البداية من جديد!!



أســرار !!

أذكر وأنا في بريطانيا في منتصف السبعينيات كيف تمكنت المافيا العالمية ـ الأميركية من سلب شاه إيران أمواله، وثرواته المسروقة. وأذكر الشاه في برنامج بانوراما الشهير، وهو يتهم أميركا وبريطانيا بالتواطؤ مع أعدائه لإسقاط عرشه.. ثم عاد الشاه من نيويورك إلى مصر وفجأة مات الشاه.

أذكر أيضاً في نهاية الثمانينيات وأنا في نيويورك، أن المحاكم الأميركية كانت تُحاكم أحد الأثرياء العرب، بعدّة تهم منها سرقة لوحات فنية من الفلبين.. وأن المخابرات الأميركية كانت تراقبه عبر حلقة ممغنطة وضعت حول ساعده.

في تلك الأثناء، كانت «زوجته» المرأة الأجمل في أوروبا، المطلقة منه، قد التقت بوزير أوروبي وانغمست معه في قصة حب حمراء أنتجت فاتنة صغيرة.

منذ سنوات قليلة، أشارت الصحف الأوروبية إلى أن

هذا الوزير هو والد «عارضة الأزياء»، وأنه تخلى عنها بسبب دخوله في متاهات قضائية أدت إلى السجن، وهو المرشح السابق لرئاسة الوزراء في البلاد. في هذه الأثناء أصرّت البنت أن تعرف الحقيقة من والدتها، فهي حتى الآن ابنة هذا «الثري». وها هو فحص الـ DNA يُشير إلى أنها ابنة «الوزير»، فماذا تفعل وهي الآن في عمر زهرة؟

قالت «الزوجة»: نعم لقد أحببتُ والدك، وكنتِ الثمرة وبعد أيام خانني والدك وتزوج امرأة أخرى، ولك منه أخوة، ولكن إياك أن تتخلي عن اسم والدك، فهو الثروة والسمعة، ولا بدّ أنك شعرت بأن عمك «الثري» يعاملك كواحد من أبنائه!!

لن أستغرب إذا ما استُخدمت هذه المعلومات أو بعضها في دورة محاكمات قادمة، فالمافيا العالمية تمتلك ملفات دقيقة لكل دقيقة من حياة الأثرياء.

قصة فحوصات الـ DNA مزعجة جداً، وقد حدث أخيراً، أن امرأة اتهمت زوجها بأن الطفلة الصغيرة التي يحنّ عليها هي ابنته، ولم تَنفع الأيمان من الزوج للزوجة بأنه لم يعرف امرأة غيرها.. وأخيراً دخلت العائلة في فحوصات الـ DNA فتبين أن أولاد الزوجة ـ التي اتهمت زوجها زوراً وبهتاناً ـ من رجل آخر!!

عندما كان مقدّم برنامج البانوراما اللندني يسأل الشاه

عن ثروته وأمواله الضخمة، تحدثنا عن حوالى ستة مليارات دولار، وأنكر الشاه طبعاً هذا الرقم، ولم أعد أذكر تماماً بالضبط الرقم الذي تحدثت به المحاكم عن ثروة ثرينا العربي، لكنني متأكد أنه تخلى عن الجزء الأكبر منها ليتخلص من «القيد» الذي يحيط ساعده!!



الطنابير والمزامير

بعض التراث أصبح عبئاً على التراث، وبعض التراث أصبح مادة اختلاف بين الاتجاهات الفقهية والمذهبية إلى حد الفرقة والتناحر، وهذا من مساوىء الفهم الخاطىء للتراث. فمثلاً، قد يؤدي الخلاف على تفصيل شرعي، لا يُقدم ولا يؤخر في حياة الناس ولا في عقيدتهم، إلى التكفير والتفسيق، وإلى تضعيف الآخر والنظر إليه بازدراء، مع أن النتيجة الحاصلة من الخلاف، أكثر ضرراً على المجتمع وعلى الإنسان وعلى تراثه من ذات المادة المختلف عليها. هذه النظرة الضيّقة أفسدت على الناس حياتهم وجعلتهم أشتاتاً، والأولى أن يتعاون الناس على ما اتفقوا عليه ويعذر بعضهم بعضاً على ما اختلفوا فيه.

من القضايا التراثية التي تحولت عبئاً على التراث، قضية الغناء، فابن حزم مثلاً يرى أن الكتاب والسنة لم يحرّما الغناء ولا استعمال المعازف والمزامير والاستماع إليها، آخرون يرون العكس وأن ذلك محرّم في الكتاب والسنة، ويستمر هذا الخلاف إلى آلاف السنين، بل ويُكفر

البعض من استحل الغناء، ولكن كيف يُدار السجال في مثل هذه الأمور؟!

قال ابن حزم: بيع الشطرنج والمزامير والعيدان والمعازف والطنابير حلال كله، وقال أيضاً: عن عبد الله بن زيد بن الأزرق عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل شيء يلهو به الرجل فباطل، إلا رمي الرجل قوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امرأته فإنهن من الحق» قال ابن حزم: ابن الأزرق رجل مجهول. وعن حديث آخر قال ابن حزم: الراوي فلان غير مشهود له بالعدالة، وفلان الراوي مدلّس، وفلان مجهول، وفلان متروك، وفلان ضعيف، والحديث الفلاني ضعيف، والآخر موضوع، مركب، فضيحة، فيه البلاء البيّن والكذب البحت، والوضع اللائح وعظيم الفضائح... قال ابن حزم: وهذا لا شيء.

قال ابن حزم في الرد على مَن قال بحرمة الغناء: روى هاشم بن ناصح عن عمر بن موسى عن مكحول عن عائشة قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه». قال ابن حزم: هاشم وعمر مجهولان، ومكحول لم يلق عائشة. أما حديث: «إن الله نهى عن صوتين ملعونين: صوت نائحة وصوت مغنية» قال ابن حزم: هذا لا شيء (!).

وفي حديث: «اعلم أن المغني أذناه بيد شيطان يرغمه حتى يسكت». قال ابن حزم: حديث ضعيف. وفي

حديث: «من لعب بالميسر والشطرنج ثم قام يصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير». قال ابن حزم: الحديث مرسل ورواته بين ضعيف ومجهول والحديث كذب ولا شيء (!).

ويصل مذهب ابن حزم إلى نهايته في حلال الغناء فيقول: فلم يأت عن الله تعالى ولا عن رسول الله ﷺ تفصيل بتحريم شيء مما ذكرنا صحّ أنه كله حلال مطلق، وهنالك من الفقهاء من يجعل الغناء حرام مطلق... وأن اللهو كله باطل سوى أربعة أشياء وهي: الرمي بالقوس وتأديب الفرس وملاعبة الزوجة وتعليم السباحة.

عاش ابن حزم الأندلسي(*) بين ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م، واضعاً العقل كميزان في قبول أو رفض الأحكام والمعلومات، وقد كان رحمه الله ظاهرياً لا يؤمن بالتأويل، ولهذا اضطهده الحكام والعلماء وحاربوه وحرقوا كتبه، فلم يصل إلينا منها إلا القليل، وهذا القليل كان كافياً لتوضيح فلسفته المبنية على البرهان(**). عندها قال البعض بأن النيل ودجلة والفرات وجيجون أنهار تنبع من الجنة، سخر ابن حزم من هذا، وقال: بل تنبع من الأرض الفلانية

(*) دور العلماء المسلمين في تأصيل الفكر العلمي العالمي: ١٢٦.

(**) (يراجع كتاب التقريب لحد المنطق لابن حزم ـ نشر إحسان عباس ضمن رسائل ابن حزم ج٢ ـ بيروت ١٩٨٣).

والأرض الفلانية. ويرى ابن حزم في نظرية المعرفة الموضحة في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، إن المحطات الأساسية للمعرفة هي: التعرف على الأشياء بالمنطق، ومعرفة التفاصيل بالمساعدة، والبرهان على صحة المعرفة بالدليل، ويبدو أن الفليسوف (كانت) قد أعجب بهذه الفلسفة وسرق معظمها باسمه.

تُرى لماذا يكره الكثيرون ابن حزم؟ أيكون كتاب «طوق الحمامة في الألفة والأُلاف» هو السبب؟ أم يكون السبب هو قوله:

خلوت بها والروح ثالثة لها
وجنح الظلام قد مدّ ما انبلجْ

فتاة عدمت العيش إلاّ بقربها
فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرجْ

في هذا قولان!! والقول الأصحّ عندي، أن علينا أن نحترم رأي الآخر حتى وإن كان مخالفاً لما نعتقد، واحترام الآخر، حتى وإن كان كافراً، هو احترام للذات أيضاً، ومتى احترم الناس الخلاف فقد احترموا عقولهم، والأمة التي لا تحترم عقولها أمة لن تتقدم إلّا بالعمر!!

الشـيطان!!

«لقد صورتني الطبيعة امرأة، ولكن أعمالي فاقت أعمال الرجال، فحكمتُ إمبراطورية نينوس، ولم ير البحر الكبير قبلي الشورى. ولكنني أبصر بعيني أربعة بحار تعترف شواطئها بسلطاتي»!

ـ ما أعجب ما تقولون. . ! امرأة تقود الجنود وتقتحم الحصن؟

ـ أجل يا مولاي. . . ولقد رأيتها بعيني تتقدم فرقة من رجالنا وتطبق على ثغرة في سور قلعة المدينة. ورأيت جنود الفرس يولّون مذعورين، فانتهزت الفرصة وأصدرت الأمر إلى جنودنا الذين يحاصرون القلعة، فاندفعوا وراءها.

ـ وهكذا سقطت «بكتريا» التي استعصت علينا طول هذه المدة؟

ـ أجل يا مولاي. . كان الفضل الأول لهذه الفارسة.

ـ سأراها الآن. . . اذهب أيها القائد، وانظر لماذا أبطأ بها الجنود.

وقام الملك «نينوس» يذرع أرض خيمته نافذ الصبر، وعيناه ترقبان باب الخيمة في لهفة وشوق، بينما وقف الأمراء والقواد يتطلعون ويتهامسون. وكان بينهم «منونيس» حاكم نينوى، وقد وقف وحده بباب الخيمة يبدو عليه القلق الشديد.

وأقبل قائد الجيش بعد قليل، وأنبأ الملك بقدوم الفارسة المنتظرة. ودخلت غادة في زي الفرسان، فتقدمت نحو الملك في شجاعة يشوبها الحياء.. وركعت أمامه، ثم رفعت رأسها الجميل، وقد أحاطت به غدائر شعرها الفاحم. وما كاد «منونيس» يرى وجهها، حتى هتف وقد تولته الدهشة:

ـ سميراميس...!

جلس «نينوس» ملك أشور وبابل، في تلك الليلة، يسمر مع أصحابه بعد أن تم له النصر على جيوش الفرس. وكان قد دعا إليه «منونيس» وأجلسه إلى جواره وأمر بالشراب.

وقال منونيس بعد لحظة:

ـ أرجو ألا تكون حانقاً عليّ يا مولاي.. لقد سارعت إلى تنفيذ ما أمرتني له من الانضمام إلى الجيش الذاهب لإخضاع الفرس. وألحّت سميراميس زوجتي في أن أصطحبها لتشهد المعارك.

ـ لا عليك يا منونيس.. إننا مدينون لهذه البطلة بالنصر الأخير.

ورفع الملك كأسه فشرب نخب سميراميس، ثم قال يسأل صاحبه:

ـ ولكن خبرني... من أي البلاد هي، وابنة من تكون؟

ـ لست أدري في الحق يا مولاي فقد رأيتها وأنا أتفقد أحوال رعاياك في صحراء سوريا، وكانت ترعى الإبل... فشغفني جمالها. وسألت عنها وليَّ أمرها فأنبأني بأنه وجدها وهي صبية صغيرة ضالة في الصحراء، فتبناها.

ـ صبية ضالة في الصحراء، تصبح بعد سنوات زوجة حاكم نينوى؟!.. ترى ماذا ينتهي إليه شأنها بعد ذلك؟.

ـ ولقد سمعت يا مولاي خرافة عجيبة يتناقلها الرعاة في صحراء سوريا.. فإنهم يقولون أنها بنت إحدى الربات، هجرتها بعد ولادتها على صخرة بالصحراء.. فحنت عليها الحمائم، فكانت تغمس منقارها في اللبن وتطير فتسكبه في فم الطفلة الباكية.. وظلت هكذا حتى وجدها ذلك الراعي فتبناها.

وأوغل الليل.. والملك ما زال يشرب ويتحدث مع تابعه منونيس، وكان الحديث كله يدور حول سميراميس.

وشرب الملك كأسه دفعة واحدة ثم التفت فجأة إلى

منونيس، وقال له:

ـ اطمئن فإنني أريدها زوجة لي، لأن هذا الجبين جدير بتاج ملكة.

ـ ولكنها زوجتي يا مولاي!

ـ سأعوضك عنها بما تشاء.

ـ إنني لا أعدل بها يا مولاي كنوز الأرض جميعاً..

ـ ولكنني سأعطيك كنزاً لا تقاس به كنوز الأرض.. سأعطيك ابنتي!

ـ مولاي؟!

ـ أجل سأزوجك ابنتي.. أما سميراميس فستكون زوجة لي.

ولم تمض أيام حتى أصبحت سميراميس زوجة لنينوس، ملك بابل وأشور..

ومضت سنوات.. ثم توفي الملك نينوس، فتربعت سميراميس على العرش من بعده. وتهامس الناس بأن الملك العاشق طلب إليها في إحدى الليالي أن تتمنى عليه ما تشاء، فطلبت أن يتخلى لها عن سلطته خمسة أيام.. فلبى رجاءها، وألبسها خاتم الملك وأجلسها على العرش، وعند ذلك أمرت بحبسه ثم بقتله، ونادت بنفسها ملكة على أشور.. وهكذا بقيت سميراميس رمزاً للوفاء!!

وصية كارلوس!!

يؤكد كارلوس أنه بعد اعتقاله في السودان في آب من العام ١٩٩٤، يعيش في الزنزانة الانفرادية ومنعت عنه الزيارات إطلاقاً ما عدا زيارة محاميته الأسبوعية، ويضيف أن الإنسان يتحول بحكم ظروف الانفراد إلى حيوان اجتماعي، فيواجه ألماً عميقاً يسببه الانقطاع عن الخارج، وانفصام مع المجتمع ومن نتائجه التدميرية:

١ ـ الإحساس بالقذارة وهذا الإحساس يجر الإنسان إلى الانهيار الجسدي والمعنوي.

٢ ـ الشعور بعقدة الاضطهاد ويؤدي ذلك إلى فقدان الإنسان لانتمائه البشري وتحوله إلى لعبة بأيد عدوانية.

٣ ـ الإصابة بالعدوانية الناتجة عن التخلف العقلي يتخللها فترات سوداوية قد تؤدي إلى الانتحار.

٤ ـ موت القيم الإنسانية في الذات البشرية، وبالنسبة إلى العلاقة مع غيره، وهذا الأمر يدفع بالسجين إلى تناقضات ذاتية ليتضامن مع السجناء الآخرين.

٥ ـ الانفصال عن العالم يؤدي إلى ضعف في النظر وتساقط الشعر وحساسية قوية وغيرها من العوارض المرضية، بالإضافة إلى أوضاع نفسية منها حدّة الشخصانية، والانهيار العصبي، والانفصام في الشخصية، وتكون محصلة هذا «التعذيب الأبيض» مناقضة لجميع حقوق الإنسان.

٦ ـ منذ آب ١٩٩٤ وإدارة السجن تمدّد قرارها بعزله انفرادياً والحجة هي الحفاظ على النظام والأمن في المبنى نظراً لقدرة كارلوس على تجييش السجناء لخلق اضطرابات تؤدي إلى الهرب، مع خوف الإدارة من أن تؤمن له مساعدة من الخارج وهذا التصرف الإداري يعتبره كارلوس أنه قرار لعزله تماماً عن العالم.

يوصي كارلوس قائلاً: في حال موتي أطلب من رفاقي ومن المجاهدين والثوريين في العالم كله، أن لا ينتقموا من الشعب الفرنسي بل أن يقتلوا العدو الأمريكي والصهيوني على عدد الأيام التي قضيتها في المعتقل في فرنسا.

محظوظ كارلوس فقد استطاع أن ينقل أحاسيسه إلى العالم. أمّا الآلاف من سجناء الوطن العربي فممنوع عليهم الكلام، ولذلك فقد اختفت ألسنتهم وطالت ألسنة سجانيهم!!

الدعـــارة!!

في أحدث التقارير عن المنظمات الدولية المهتمة بالرعاية الاجتماعية، أن مليون امرأة تتعرض كل يوم لتجارة البغاء الدولية، وأن عدد الغانيات يزداد سنوياً عبر العصابات المتخصصة التي تمتهن خطف النساء والأطفال وإجبارهم وتدريبهم على الممارسات الشاذة.

البغاء هو الصورة الجديدة للعبودية: أيام زمان أقام الأروبيون ثم الأمريكان زراعتهم وصناعتهم ونموهم على سواعد وأجساد ودماء وكرامة الأفارقة. وعندما حلّت الآلة محل العضلات حرر المستعبِدون المستعبَدين السود، ولجأوا فوراً إلى شكل آخر من العبودية المتمثل بتجارة الرقيق الأبيض.

تقول (أولغا) وهي نموذج من المومسات اللواتي تيسر لهن الكلام أمام الكونغرس الأمريكي: «أنا من سيبيريا، أخذت إلى إسرائيل بالخديعة وقوة الإغراء وأرغمت على ممارسة البغاء بعد أن وعدت بالجنة... كان علي أن أعمل ستة أيام في الأسبوع واثنتي عشرة ساعة في اليوم وكان

عليّ أن أقدم الخدمات إلى ٣٢ ـ ٣٥ زبوناً في اليوم...».
هذه واحدة من ضمن شبكة الدعارة العالمية، التي تدير مليون امرأة، وتحول المجتمع الإنساني إلى مجتمع حيواني يفترس القادر فيه الضعيف نحو الهوى والمتعة التي تمر بلحظة وتبقي آلام آلاف الساعات... والمؤلم في هذا الأمر أن القوانين المادية في العديد من دول العالم وبخاصة في أوروبا وفي الأمريكيتين، تطارد المستعبَدين وتشجّع المستعبِدين، وهي تُطور أنظمة اللهو بحيث تصبح تدريجياً مناخاً واقعياً للدعارة بينما تدّعي أنها تحارب هذه الظاهرة التي تكاد تميز المجتمعات وتلوثها بالآثار المباشرة وغير المباشرة لهذه التسهيلات المستترة، ومنها المنتجعات السياحية والكازينوهات والإعلام الذي يستخدم المرأة كسلعة رخيصة مبتذلة، وبخاصة الإعلام المرئي الذي يجتاح فضاء العالم وعقول العالم أيضاً...

هذه الدعارة التي أصبحت ميزة عصرية، تُخلّف حوالى ١٥٠ مليون حالة التهاب وعدوى جنسية سنوياً على المستوى العالمي. مما يعني أن شخصاً واحداً على الأقل يصاب بمرض جنسي من كل أربعة آلاف إنسان يعيش على وجه الأرض. وتتراوح هذه الأمراض من السيلان إلى السفلس والهربس والمتدثرة الرئوية والإيدز. وهي أي الدعارة، تنخر في النفوس والأبدان، وتحولهما تدريجياً إلى نفوس تستسهل الدعارة والسقوط، وإلى أبدان تستبطن

الميكروبات ومعاملات العدوى، مما يُبشر، بمزيد الأسف، بتكوين اجتماعي ساقط، «يُذهب البهاء عن الوجه ويقطع الرزق ويُسخط الرحمن ويسبب الخلود في النار» كما جاء في الأثر النبوي الشريف.

ومن مميزات هذا التكوين الاجتماعي الساقط: استسهال الرذيلة بل وتشريعها تحت مسميات الحرية الفردية، والتقدم، وقوة الشخصية، والحاجة البيولوجية، وأن يفعل الإنسان ما يحلو له وسيلة لاستمتاعه... ومن المؤلم في هذه المسميات أنها هي ذاتها التي تشجعها الأنظمة وتشكو منها في آن معاً، وهي ذاتها التي تقدمها الأنظمة ثم تدفع المليارات لمكافحتها، وخير مثال على هذا التناقض انتشار وباء الإيدز الذي يهدد البشرية جملة وتفصيلاً، والذي يجتاح حصون نصف بالألف على الأقل من كل الستة مليارات إنسان على وجه الأرض(*).

في هذا التكوين الاجتماعي الساقط يُمارس الجنس قبل الزواج كتقليد «تقدمي»، ففي أستراليا يمارس هذا السقوط ٥٨ بالمئة من الذكور و٤٧ بالمئة من الإناث، بينما ترتفع النسبة في نيجيريا إلى ٦٨ بالمئة من الذكور و٤٣

(*) أصبح عدد حاملي الإيدز، حتى كتابة هذه السطور حوالي ٤٢ مليون إنسان أكثر من ٩٠٪ منهم في أفريقيا والبلاد الفقيرة، مع أن المرض نشأ من المعامل الحربية الأمريكية على أغلب الظن!!.

بالمئة من الإناث. وحدّث ولا حرج عن إسرائيل التي تصدر هذا السقوط بأشكاله في العالم تحت المسميات المختلفة والألوان الزاهية المختلفة. ومن المؤسف أننا نقرأ عن نتائج هذا السقوط، ونعرف تمام المعرفة أبعاده، إلّا أن الأنظمة المادية تُساهم في بقائه وتمكينه، فمثل هذه الأنظمة لا ترغب إلاّ في حياة السقوط، رغم الادعاءات الظاهرية، ويكفي أن نعلم أن حوالى ١٧ بالمئة من كل مئة ألف سلفادوري مراهق ينتحرون سنوياً بعد شعورهم بالخيبة وبعد تعرّضهم لمآسي الممارسات الجنسية الساقطة، والنسبة ليست بعيدة عن هذا الرقم الخيالي، في إسرائيل وأمريكا والنمسا وسويسرا واليابان، بل وفي بعض البلاد العربية.

أما بالنسبة لدعارة الأطفال فالكارثة أكبر والطامة أكبر، حيث أشارت أبحاث المؤتمر الدولي لمكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال والناشئة الذي انعقد في سويسرا، أن من بين ١٢ مليوناً من الأطفال والناشئة في ألمانيا يتعرّض حوالى ٣٠٠ ألف للاعتداء الجنسي وأن عدد القاصرات اللائي يُجبرن على البغاء في تايلاند يقدر بحوالى ٨٠٠ ألف وفي الولايات المتحدة الأمريكية حوالى ٣٠٠ ألف!!

مع مثل هذه الأرقام نسمع هذه الأيام، أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية قد أصدرت تقريراً أحمر عن تعاظم هذه المأساة، وترى ضرورة لإصدار قوانين صارمة للحد منها، وبالفعل انطلق في أمريكا بنك جديد

للمعلومات حول البغاء بأشكاله وترأسه (لاروا ليديرير) الأستاذة في جامعة هارفارد، وهدفه الحدّ من البغاء، ظاهرة العولمة الجديدة. . .

تُرى هل يرغب العالم حقاً بالحدّ من الدعارة بأشكالها؟ إذا كان كذلك فلتبدأ الشعوب بالتحول التدريجي من المادية المطلقة إلى الاتزان، ومن أساسياته بناء الأسرة على أساس خُلقي يعتبر الزنا جريمة (وهو الآن مباح، بل وتُشجع عليه الحضارة العولمية)، ولتعتبر الممارسات الشاذة جريمة (وهي الآن من ضمن الحريات الشخصية)، ولتعتبر الإجهاض جريمة (وهو الآن إجراء لتسهيل الدعارة)، ولتعتبر ممارسة الجنس قبل الزواج جريمة. . . إضافة إلى سن القوانين الكفيلة بحماية الأسرة من التفلت. . . وحماية الأسرة من وسائل الإعلام الممهدة للدعارة والداعية لها، وحماية الأسرة من التشرد والبطالة والفقر والتسكع والمخدرات والمسكرات. . . وباختصار تقنين حماية الأسرة من المؤثرات السلبية المؤدية إلى الدعارة، وكأني بهذا التوجه أدعو العالم للعودة إلى الدين وإلى الأخلاق الكريمة وإلى سلطة الأبوين وإلى الالتزام الأخلاقي. . . وسيلة لإعادة المجتمع إلى النقاء الذي يفقده الآن في هيجة العولمة، والآلة والتقدم.

عندما يتذكر العالم مصير سادوم وعامرة وكيف أحرقهما الله بالنار والكبريت وجعل عاليهما سافلهما،

وعندما يتذكر العالم قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء الآية: ١٦]. وعندما يتذكر العالم أن المتعة طاقة لا بد من توجيهها في الحلال... عندها فقط نصبح على أول الطريق للحد من ظاهرة الدعارة، ونحدّ من عدد المصابين بالأمراض الجنسية والنفسية والبدنية، ونحدّ من الانحدار نحو الهاوية...

لقد صُدم العالم بنتائج الثورة الجنسية في الستينات، فأقلع عن بعض ممارساتها الشاذة، ولكنه اتجه في اتجاه آخر لا يقل خطراً عن اتجاه تلك الثورة الجنسية، وهو اتجاه تبرير الرذيلة واعتمادها وسيلة لتقوية الاقتصاد (الوطني)، وذلك عبر الإعلام اللاأخلاقي، وعبر التشريعات اللاأخلاقية التي بررت الدعارة تحت أعذار الحرية والتقدم والسياحة، وعبر هدم الأسرة ونشر المعاني الحيوانية في المجتمع الإنساني.

وإزاء الصدمة لا بد من صحوة، ومن هذا المنطق التاريخي نأمل أن تكون الصحوة باتجاه الإيجاب الأخلاقي لا باتجاه السلبية التي هي الأخرى، بعد الدعارة، أصبحت سمة عولمية طاغية تحت مسميات برّاقة وفعل سام!!

التخلف أولاً!!

كثيراً ما نقرأ أو نسمع في وسائل الإعلام السلطانية، أو الخاصة التابعة لأحد المليارديرية الجدد، على ألسنة المذيعين والمذيعات، الذين يتباهون إما بنعومة الحروف الخارجة من الحاجر المضغوطة بالغنج، وإما بتأتأة متوالية تدليلاً على الأهمية والتركيز... كثيراً ما نقرأ في صحف ومطبوعات نقرأها فلا نجد فيها جديداً وإنما نجد فيها مُجدداً، مُعاداً، ومزداناً بالغنة والتضخيم أو بالفتحة والتكسير، كلمة «أول» أو «الأولى» أو «الأجود» أو «الأعظم» أو «الأفضل»، للتدليل إما على فخامة الأنظمة والقوانين أو على فخامة التنفيذ والتقيد بالنظم «الحضارية»، أو للتدليل على جودة المؤسسات أو الجمعيات أو الوزارات أو الدارات أو المنارات أو العمارات أو المسارات أو «المغارات»، وكل ما فيه ألف وتاء في الصحاح وتاج العروس... كأن نسمع قول المذيع النحرير يصف زيارة المدير إلى الوزير: ليضع معاليه بصورة أفضل القوانين المرعية الإجراء في تطوير الزراعة، أو أن نسمع

المذيعة الدلوعة تصف برنامج الغناء الذي تقدمه محطتها بأنه الأكثر شعبية في العالم، أي الأكثر هزاً للوز والمزّ، وهي عمليات تخصصت بها المحطات الفضائية العربية مؤخراً، أو أن يقال عن مقدم برامج مبتدىء يُجيد التهريج الرخيص بأنه المقدم الأول في الوطن العربي. أو أن نسمع من يقول أن المسؤول الفلاني يرعى أضخم حفل فني في العصر الحديث، أو الوزير الفلاني يدشن أفضل مركز استخبارات في العالم. اللواء الركن يحضر أعظم مناورات في المنطقة... لهذه الأسباب مجتمعة، أجمع المجتمعون في قمة الأرض الثانية في جوهانسبوغ في جنوب أفريقيا، كما أجمع أعضاء فريق تقرير التنمية ٢٠٠٢ في الوطن العربي، أن النمو في العالم العربي هو الأسوأ في العالم، حيث يرى التقرير، بين السطور طبعاً، أن الكذب في المنطقة، وتفخيمه عبر الإعلام الرخيص بكلمات مثل الأجود والأفضل والأكبر، على ما يبدو، هو السبب الرئيسي وراء التخلف والتدهور في العالم العربي...

ينص التقرير على أن «أعلى نسبة أمية في العالم، هي إما في دول الصحراء الأفريقية أو في العالم العربي!!

الوشاح في فوائد النكاح!!

في زمن مليء بالغرائب والعجائب، من تكوين الجيوش لحماية العروش، حتى «الوشاح في فوائد النكاح» لجلال الدين السيوطي. وفي أيام سوداء نعيش فيها تحت بساطير الطغاة، وعلى أحلام «رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب» لليمني و «جوامع اللّذة» للقزويني. وفي ساعات الضيق التي يعزّ فيها الهواء على رئات الكرام، ويحل محله رمل اللئام وقيح المصابين بالإيدز وذات الرئة... ضمن مشهد من العهر العالمي المتنامي، حيث يحكم الفرد العالم، ويتحكم بالعالم أفرادٌ تفوح منهم روائح النفط واليورانيوم المخصب، المطيّبة أحياناً بالصناعات البتروكيماوية التي تحوّل القار إلى غار في أيام الجيش الذي لا يُقهر في بلادنا، الجيش الصهيوني، والجيش الذي لا يُقهر في بلادهم، الجيش الأمريكي. في هذا المشهد الكوني تنعقد قمة الأرض الثانية في جوهانسبورغ، أملاً بتحسين واقع الإنسان ومستقبله على أرض تتحول تدريجياً إلى كارثة.. العلماء في هذه القمة هم النجوم. الخبراء في

البيئة والتنمية يطرحون أفكارهم وأبحاثهم ويخططون للأرض حتى عام ٢٠٥٠، وهو العام الذي تزول فيه الفروقات بين الشمال والجنوب، بين ساكني الخيام وناطحات السحاب، ويُعالج فيه المصابون بالإيدز في سان فرانسيسكو وأوغندا بذات الدواء ويتلقون فيه ذات العناية... هؤلاء العلماء هم طبقة أخرى من طبقات الهيمنة على العالم لأنهم يتحدثون عن الأرض كماء وسماء، متناسين عن قصد طبعاً، لأنهم علماء، أن سبب تعاسة الأرض ذات مليارات السنين، ليس من الماء ولا من السماء، وإنما من الحكام والمتنفذين على شتى المستويات.

هنا يطرأ في البال الحل الأمثل لمشاكل الأرض: حل الجيوش العالمية، وبالأخص الجيوش العربية، التي تعطل طاقات الشباب، وثروات الأجيال فوق الأرض وفي باطن الأرض، وتحويل طاقاتها البشرية والمالية المعطلة عن قصد، للزراعة وإقامة السدود وتصنيع المحاصيل، والإتجار بالفول والتفاح وزيت الزيتون... فهذه الجيوش اليوم، كما تقول مقررات قمة الأرض، من الأسباب الرئيسية لفساد الأرض، ومن الأسباب الرئيسية لتعاسة الأرض، ومن الأسباب الرئيسية لدمار الأرض... لأنها، كما تقول مقررات القمة، تمثل السلطة العليا وبيدها القرار الأخير، والعقل فيها محصور بجنازير الدبابات وبساطير المجرمين!!

شعوب الآيسكريم!!

تشتهر المنطقة العربية، بحسب التاريخ العربي، بحب المصمصة والتنعم، ولذلك اخترع القائد العسكري «المهلبي» تركيبة المهلبية للترفيه عن جنوده، كما اخترع الأندلسيون الآيس كريم انطلاقاً من المزج اللغوي بين «أيس وليس» أي «يكون أو لا يكون»، واستتباعاً لتساؤل المعتمد بن عباد لوزيره كريم: «أيش هذا يا كريم؟» بقصد الاستفسار عن الحلوى المصنوعة من زبدة الزبدة المحلاة بالعسل وما لذ وطاب. قال الرواة: وعندما سمعت ذلك الجارية الإسبانية نقلت عن المعتمد لصاحبتها الفاتنة «عسل» قائلة:

قال سيدي: أيس يا كريم.

قال سيدي: أيس.. كريم.

ونشأ الآيس كريم في تاريخ العرب من التحريف الأندلسي.

حديثاً بعد أن تأسست إسرائيل، وأعلن «موردخاي

فانونو» عن البرنامج النووي الصهيوني في صحراء النقب، عادت العقلية العربية لأيام الأندلس، تفكر بالسلاح البديل، لا سيّما وأن الجنود العرب بحاجة ماسّة للمرطبات في المناخ الصحراوي القاحل، وهم يراقبون مناورات الجيش الإسرائيلي في تجريب صاروخ السهم ٢، القادر على حماية الأجواء الإسرائيلية في حال تهديد الصواريخ العربية للأمن الصهيوني، فكانت «أم علي»(*)، وكانت «البسبوسة»، و «الكنافة النابلسية»، و «النمّورة»، و «خرية الدبة»(**)... تماماً كما كانت المثلوجة في أيام جرير، وكما كان الأيش يا كريم زمن الأندلس، والمهلبية والسكباج في زمن الحجاج!!

(*) من الحلوى المشهورة في العراق والخليج العربي.

(**) خرية الدبة هي ذاتها النمورّة وتسمى هكذا في بلاد الشام.

الملاحق



نص بيان الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين

الحمد لله منزِّل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، والقائل في محكم كتابه: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله، القائل: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري».

أما بعد

فمنذ أن دحى الله جزيرة العرب، وخلق فيها صحراءها، وحفّها ببحارها، لم تدهمها غاشية كهذه الجحافل الصليبية التي انتشرت فيها كالجرد تزحم أرضها وتأكل ثرواتها، وتبيد خضراءها. كل ذلك في وقت تداعت فيه على المسلمين الأمم، كما تداعت الأكلة إلى قصعتها. ويلزمنا حين عظم الخطب، وقل الناصر، أن نقف وإياكم

على مكنون الأحداث الجارية، كما يجب أن نتفق على فصل القضاء فيها.

لا أحد يجادل اليوم في حقائق ثلاث تواترت عليها الشواهد وأطبق عليها المنصفون ونحن نذكرها ليتذكر من يتذكر، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة، وهي:

أولاً: منذ ما يربو عن سبع سنين وأميركا تحتل أراضي الإسلام في أقدس بقاعها، جزيرة العرب، وتنهب خيراتها، وتُملي على حكامها وتذل أهلها، وترعب جيرانها، وتجعل من قواعدها في الجزيرة رأس حربة تقاتل بها شعوب الإسلام المجاورة.

وإذا كان في الماضي من جادل في حقيقة هذا الاحتلال، فقد أطبق على الاعتراف به أهل الجزيرة جميعاً.

ولا أدل عليه من تمادي الأمريكان في العدوان ضد شعب العراق، انطلاقاً من الجزيرة، برغم أن حكامها جميعاً يرفضون استخدام أرضهم لذلك، ولكنهم مغلوبون.

ثانياً: برغم الدمار الكبير الذي حلّ بالشعب العراقي على يدي التحالف الصليبي ـ اليهودي، وبرغم العدد الفظيع من القتلى الذي جاوز المليون، برغم كل ذلك يحاول الأمريكان مرة أخرى معاودة هذه المجازر المروعة، وكأنهم

لم يكتفوا بالحصار الطويل بعد الحرب العنيفة، ولا بالتمزيق والتدمير.

فها هم يأتون اليوم ليبيدوا بقية هذا الشعب وليذلوا جيرانه من المسلمين.

ثالثاً: وإذا كانت أهداف الأمريكان من هذه الحروب دينية واقتصادية، فإنها كذلك تأتي لخدمة دويلة اليهود، ولصرف النظر عن احتلالها لبيت المقدس وقتلها للمسلمين فيه.

ولا أدلّ على ذلك من حرصهم على تدمير العراق، أقوى الدول العربية المجاورة، وسعيهم لتمزيق دول المنطقة جميعاً كالعراق والسعودية ومصر والسودان إلى دويلات ورقية تضمن بفرقتها وضعفها بقاء إسرائيل واستمرار الاحتلال الصليبي الغاشم لأرض الجزيرة.

إن كل تلك الجرائم والبوائق هي من الأمريكان إعلان صريح للحرب على الله ورسوله وعلى المسلمين، وقد أجمع العلماء سلفاً وخلفاً عبر جميع العصور الإسلامية على أن الجهاد فرض عين إذا هدم العدو بلاد المسلمين، وممن نقل ذلك الإمام ابن قدامة في **المغني** والإمام الكسائي في **البدائع** والقرطبي في تفسيره، وشيخ الإسلام في اختياراته، حيث قال: «أما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعاً. فالعدو

الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه».

ونحن بناء على ذلك وامتثالاً لأمر الله نفتي جميع المسلمين بالحكم التالي:

إن حكم قتل الأمريكان وحلفائهم مدنيين وعسكريين، فرض عين على كل مسلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسر فيه، وذلك حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم، وحتى تخرج جيوشهم من كل أرض الإسلام مثلولة الحد، كسيرة الجناح، عاجزة عن تهديد أي مسلم، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ٧٥].

إننا بإذن الله ندعو كل مسلم يؤمن بالله ويرغب في ثواب، إلى امتثال أمر الله بقتل الأمريكان ونهب أموالهم في أي مكان وجدهم فيه، وفي كل وقت أمكنه ذلك كما ندعو علماء المسلمين وقادتهم وشبابهم وجنودهم إلى شن الغارة على جنود الأمريكان، ومن تحالف معهم من أعوان الشيطان.

وأن يشردوا بهم من خلفهم لعلهم يذكرون.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾.

نص كلمة أسامة بن لادن

ها هي أميركا قد أصابها الله سبحانه وتعالى في مقتل من مقاتلها فدمّر أعظم مبانيها، فللّه الحمد والمنّة. وها هي أميركا قد امتلأت رعباً من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، فللّه الحمد والمنّة. وما تذوقه أميركا اليوم هو شيء يسير مما ذقناه منذ عشرات السنين. فإن أمتنا منذ بضعة وثمانين عاماً تذوق هذا الذل وتذوق هذه المهانة، ويُقتل أبناؤها وتُسفك دماؤها ويُعتدى على مقدساتها وتُحكم بغير ما أنزل الله، ولا سامع ولا مجيب. فلمّا أن وفق الله سبحانه وتعالى كوكبة من كواكب الإسلام، طليعة من طلائع الإسلام، فتح الله عليهم فدمروا أميركا تدميراً. أرجو الله سبحانه وتعالى أن يرفع قدْرهم وأن يرزقهم الفردوس الأعلى فإنه ولي ذلك والقادر عليه. فلمّا رد هؤلاء عن أبنائهم المستضعفين وعن إخوانهم وأخواتهم في فلسطين في كثير من بلاد الإسلام، صاح العالم بأسره؛ صاح الكفر وتبعه النفاق.

مليون طفل من الأطفال الأبرياء يُقتلون إلى هذه

اللحظة التي أتحدث فيها، يُقتلون في العراق بلا ذنب جنوه ولا نسمع منكراً ولا نسمع فتوى من الحكام والسلاطين. وفي هذه الأيام تدخل الدبابات والمجنزرات الإسرائيلية لتعبث في أرض فلسطين فساداً في جنين وفي رام الله وفي رفح وفي بيت جالا وغيرها من أرض الإسلام، ولا نسمع من يرفع صوتاً أو يحرك ساكناً. فإذا جاء السيف بعد ثمانين عاماً على أميركا ظهر واشرأب النفاق برأسه يتحسر ويتأسف على هؤلاء القتلة الذين عبثوا بدماء وأعراض ومقدسات المسلمين. فهؤلاء أقل ما يقال فيهم أنهم فسقة اتبعوا الباطل، نصروا الجزار على الضحية، نصروا الظالم على الطفل البريء، فحسبي الله عليهم وأرانا الله سبحانه وتعالى فيهم ما يستحقون.

أقول إن الأمر واضح وجلي، فينبغي على كل مسلم بعد هذا الحدث وبعد أن تحدث كبار المسؤولين في الولايات المتحدة الأميركية ابتداءً برأس الكفر العالمي (جورج) بوش ومن معه وقد خرجوا برجالهم وبخيلهم وقد ألّبوا علينا حتى الدول التي تنتمي إلى الإسلام، على هذه الفئة التي خرجت تقر بدينها إلى الله سبحانه وتعالى تأبى أن تعطي الدنيّة في دينها. خرجوا يريدون أن يحاربوا الإسلام ويلقوا على الناس باسم الإرهاب. شعب في أقصى الأرض في اليابان قُتل منهم مئات الألوف صغاراً وكباراً، فهذه ليست جريمة حرب، هذه مسألة فيها نظر. مليون طفل في

العراق مسألة فيها نظر. أما عندما قُتل منهم بضعة عشر في نيروبي ودار السلام قُصفت أفغانستان وقُصف العراق، ووقف النفاق بأسره خلف رأس الكفر العالمي، خلف أميركا ومن معها.

أقول إن هذه الأحداث قد قسمت العالم بأسره إلى فسطاطين؛ فسطاط الإيمان (الذي) لا نفاق فيه، وفسطاط الكفر أعاذنا الله وإياكم منه. فينبغي على كل مسلم أن يهب لنصرة دينه وقد هبّت رياح الإيمان وهبّت رياح التغيير لإزالة الباطل من جزيرة محمد ﷺ. أما أميركا فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة.

أقسم بالله العظيم، الذي رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أميركا ولا مَن يعيش في أميركا بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين، وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد ﷺ. والله أكبر والعزة للإسلام، والسلام عليكم.

بيان سليمان أبو غيث باسم «القاعدة»

النص الكامل للبيان الذي تلاه سليمان أبو غيث الناطق باسم تنظيم«القاعدة» الذي يرأسه أسامة بن لادن عبر قناة «الجزيرة» الفضائية مساء الثلاثاء الموافق فيه التاسع من تشرين الأول/ أكتوبر٢٠٠١:

«الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١).

والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد،

أوجه هذه الرسالة إلى الأمة الإسلامية بأسرها، فأقول لهم إن الأحزاب اليوم قد تكالبوا على أمة الإسلام والمسلمين، وها هي الحرب الصليبية التي وعد بها

(جورج) بوش قد انطلقت على أرض أفغانستان الإسلامية وعلى هذا الشعب المؤمن بربه، وها نحن نعيش تحت هذا القصف الصليبي الذي يستهدف الأمة بأسرها.

ويجب على الأمة أن تعلم أننا أصحاب قضية عادلة. فها هي الأمة الإسلامية تئن منذ أكثر من ثمانين سنة تحت وطأة العدوان اليهودي الصليبي المشترك. فهذه أرض فلسطين تعيش تحت وطأة الاحتلال اليهودي ويئن أهلها من هذا البطش وهذا التنكيل ولا يتحرك أحد، وها هي أرض الجزيرة العربية تُدنَّس بأقدام هؤلاء الذين جاؤوا ليحتلوا هذه الأراضي، ويغتصبوا هذه المقدسات، وينهبوا هذه الخيرات.

لذلك، يجب أن تعلم الأمة أن الإرهاب الذي تقوم به أميركا وتعلنه، إنما هو نوع من أنواع الخداع. فهل يعقل أن تقوم أميركا وحلفاؤها بهذا البطش وهذا التنكيل وهذا السفك وهذا النهب على مدار هذه السنوات الطويلة ولا يسمى ذلك إرهاباً؟ وعندما يقوم الضحية ليقتص يكون إرهابياً بذلك؟ إن هذا النوع من أنواع الخداع لا يمكن أن يُقبل في أي حال من الأحوال.

ولتعلم أميركا أن الأمة لم تسكت بعد اليوم على ما يجري لها وما يجري على أراضيها. وإن الجهاد في سبيل الله فرض عين على كل مسلم على هذه الأرض ما لم يكن صاحب عذر. قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا

تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

وإن المصالح الأميركية منتشرة في كل مكان وفي أرجاء هذا العالم. وعلى كل مسلم أن يقوم بدوره الحقيقي نصرة لأمته ونصرة لدينه. والإرهاب على الظالمين عقيدة في ديننا وفي شريعتنا. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

ثم أريد أن أعرّج على نقطة مهمة في هذا الحديث، وهي أن ما قام به هؤلاء الشبان الذين دمروا أميركا وشنوا عليها عاصفة الطائرات، إنما هم فعلوا خيراً. فقد نقلوا المعركة إلى قلب أميركا، ولتعلم أميركا أن المعركة لن تخرج بإذن الله سبحانه وتعالى من أراضيها حتى تخرج من أراضينا وحتى توقف دعم اليهود وحتى ترفع الحصار الظالم عن شعب العراق الذي ذهب ضحيته أكثر من مليون طفل.

وعلى الأمريكان أن يعلموا أن عاصفة الطائرات لن تهدأ بإذن الله سبحانه وتعالى، وأن في شباب الأمة ألوفاً يحرصون على الموت كما يحرص الأمريكان على الحياة.

وليعلموا أنهم بغزوهم أرض أفغانستان قد فتحوا صفحة جديدة من العداء ومن الصراع بيننا وبين قوى الكفر.

وإننا معتقدون بإذن الله سبحانه وتعالى بما نملك من قوة مادية وما نملك من قوة معنوية وما نملك من ثقة ويقين بالله سبحانه وتعالى، أننا منتصرون. وأن الأمريكان قد فتحوا على أنفسهم باباً لن يُسَد بأي حال من الأحوال.

وأخيراً، أوجّه خطابي هذا إلى أبناء المسلمين؛ إلى الشباب وإلى الرجال وإلى النساء، أن يتحملوا مسؤوليتهم وأن يعلموا أن أرض أفغانستان ومن عليها من المجاهدين يتعرضون حقيقة لحرب صليبية كاملة، هدفها القضاء على هذه الفئة التي خرجت باسم الله، والتي تقاتل على عقيدة وعلى دين، ويجب على الأمة أن تتحمل مسؤليتها، وإلا فإنه عار.

وأخيراً، أحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفّقنا لهذا الجهاد، والذي وفّقنا لهذه المنازلة وهي معركة فاصلة بين الكفر والإيمان. وأسأل العلي العظيم أن ينصرنا على عدونا وأن يجعل كيدهم في نحرهم وأن يردهم خائبين خاسرين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

نص القرار ١٣٧٣ لمجلس الأمن حول مكافحة الإرهاب

القرار١٣٧٣ (٢٠٠١)

الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته ٣٤٨٥، المعقودة في ٢٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١،

إن مجلس الأمن،

إذ يعيد تأكيد قراريه ١٢٦٩ (١٩٩٩) المؤرَّخ في ١٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٩ و١٣٦٨ (٢٠٠١) المؤرَّخ ١٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١،

وإذ يعيد أيضاً تأكيد إدانته الكاملة للهجمات الإرهابية التي وقعت في نيويورك وواشنطن العاصمة وبنسلفانيا في ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، وإذ يعرب عن تصميمه على منع جميع هذه الأعمال،

وإذ يعيد كذلك تأكيد أن هذه الأعمال، شأنها في ذلك شأن أي عمل إرهابي دولي، تشكل تهديداً للسلام والأمن

الدوليين، وإذ يعيد تأكيد الحق الراسخ للفرد أو الجماعة في الدفاع عن النفس، كما هو معترف به في ميثاق الأمم المتحدة وكما هو مؤكد في القرار ١٣٦٨ (٢٠٠١).

وإذ يعيد تأكيد ضرورة التصدي، بجميع الوسائل، وفقاً لميثاق الأمم المتحدة للتهديدات التي توجهها الأعمال الإرهابية للسلام والأمن الدوليين،

وإذ يعرب عن بالغ القلق إزاء تزايد الأعمال الإرهابية بدافع من التعصب أو التطرف، في مناطق مختلفة من العالم،

وإذ يهيب بجميع الدول العمل معاً على نحو عاجل على منع الأعمال الإرهابية والقضاء عليها، بما في ذلك من خلال التعاون المتزايد والتنفيذ الكامل للاتفاقيات الدولية ذات الصلة بالإرهاب،

وإذ يسلم بضرورة إكمال التعاون الدولي بتدابير إضافية تتخذها الدول لمنع ووقف تمويل أي أعمال إرهابية أو الإعداد لها، في أراضيها بجميع الوسائل القانونية،

وإذ يعيد تأكيد المبدأ الذي أرسته الجمعية العامة في إعلانها الصادر في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٠ (القرار ٢٦٢٥ (د ـ ٢٥) وكرر تأكيده مجلس الأمن في قراره ١١٨٩ (١٩٩٨) المؤرخ في ١٣ آب/ أغسطس ١٩٩٨، ومفاده أنه من واجب كل دولة عضو أن تمتنع عن تنظيم أي

أعمال إرهابية في دولة أخرى أو التحريض عليها أو المساعدة أو المشاركة فيها أو قبول أنشطة منظمة في أراضيها بهدف ارتكاب تلك الأعمال،

وإذ يتصرف بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة،

١ - يقرر أن على جميع الدول:

(أ) منع ووقف تمويل الأعمال الإرهابية.

(ب) تحريم قيام رعايا هذه الدول عمداً، بتوفير الأموال أو جمعها، بأي وسيلة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو في أراضيها، لكي تُستخدم في أعمال إرهابية، أو في حالة معرفة بأنها سوف تُستخدم في أعمال إرهابية.

(ج) القيام من دون تأخير بتجميد الأموال وأي أصول مالية أو موارد اقتصادية لأشخاص يرتكبون أعمالاً إرهابية، أو يحاولون ارتكابها، أو يشاركون في ارتكابها أو يسهّلون ارتكابها؛ أو لكيانات يمتلكها أو يتحكم فيها بصورة مباشرة أو غير مباشرة هؤلاء الأشخاص؛ ولأشخاص وكيانات تعمل لحساب هؤلاء الأشخاص والكيانات، أو بتوجيه منهم، بما في ذلك الأموال المستمدة من الممتلكات التي يمتلكها

هؤلاء الإرهابيون ومن يرتبط بهم من أشخاص وكيانات أو الأموال التي تدرها هذه الممتلكات.

(د) تُحظر على رعايا هذه الدول أو على أي أشخاص أو كيانات داخل أراضيها، إتاحة أي أموال أو أصول مالية أو موارد اقتصادية أو خدمات مالية أو غيرها، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، للأشخاص الذين يرتكبون أعمالاً إرهابية أو يحاولون ارتكابها أو يسهّلون أو يشاركون في ارتكابها، أو للكيانات التي يمتلكها أو يتحكم فيها، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، هؤلاء الأشخاص، أو للأشخاص والكيانات التي تعمل باسم هؤلاء الأشخاص بتوجيه منهم.

٢ - يقرر أيضاً أن على جميع الدول:

(أ) الامتناع عن تقديم أي شكل من أشكال الدعم، الصريح أو الضمني، إلى أن الكيانات أو الأشخاص الضالعين في الأعمال الإرهابية، ويشمل ذلك وضع حد لعملية تجنيد أعضاء الجماعات الإرهابية ومنع تزويد الإرهابيين بالسلاح.

(ب) اتخاذ الخطوات اللازمة لمنع ارتكاب الأعمال الإرهابية ويشمل ذلك الإنذار المبكر للدول

الأخرى عن طريق تبادل المعلومات.

(ج) عدم توفير الملاذ الآمن لمن يعملون الأعمال الإرهابية أو يدبرونها أو يدعمونها أو يرتكبونها، ولمن يوفرون الملاذ الآمن للإرهابيين.

(د) منع من يمولون أو يدبرون أو ييسرون أو يرتكبون الأعمال الإرهابية، من استخدام أراضيها في تنفيذ تلك المآرب ضد دول أخرى أو ضد مواطني تلك الدول.

(هـ) كفالة تقديم أي شخص يشارك في تمويل أعمال إرهابية أو تدبيرها أو الإعداد لها أو ارتكابها أو دعمها، إلى العدالة، وكفالة إدراج الأعمال الإرهابية في القوانين والتشريعات المحلية بوصفها جرائم خطيرة، وكفالة أن تعكس العقوبات على النحو الواجب جسامة تلك الأعمال الإرهابية، وذلك بالإضافة إلى أي تدابير أخرى قد تُتخذ في هذا الصدد.

(و) تزويد كل منها الأخرى بأقصى قدر من المساعدة في ما يتصل بالتحقيقات أو الإجراءات الجنائية المتعلقة بتمويل الأعمال الإرهابية أو دعمها، ويشمل ذلك المساعدة على حصول كل منها على ما لدى الأخرى من أدلة لازمة للإجراءات القانونية.

(ز) منع تحركات الإرهابيين أو الجماعات الإرهابية عن طريق فرض ضوابط فعالة على الحدود وعلى إصدار أوراق إثبات الهوية ووثائق السفر، واتخاذ تدابير لمنع تزويد وتزييف أوراق إثبات ووثائق السفر أو انتحال شخصية حامليها.

٣ - يُطلب من جميع الدول:

(أ) التماس سبل تبادل المعلومات العلمية والتعجيل بها، وبخاصة ما يتعلق منها بأعمال أو تحركات الإرهابيين أو الشبكات الإرهابية، وبوثائق السفر المزوّرة أو المزيّفة؛ والاتجار بالأسلحة أو المتفجرات أو المواد الحساسة؛ وباستخدام الجماعات الإرهابية لتكنولوجيا الاتصالات؛ وبالتهديد الذي يشكّله امتلاك الجماعات الإرهابية لأسلحة الدمار الشامل.

(ب) تبادل المعلومات وفقاً للقوانين الدولية والمحلية والتعاون في الشؤون الإدارية والقضائية لمنع ارتكاب الأعمال الإرهابية.

(ج) التعاون، بصفة خاصة من خلال ترتيبات واتفاقيات ثنائية ومتعددة الأطراف، على منع الاعتداءات الإرهابية وقمعها، واتخاذ إجراءات ضد مرتكبي تلك الأعمال.

(د) الانضمام، في أقرب وقت ممكن، إلى

الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية ذات الصلة بالإرهاب، ومن بينها الاتفاقية الدولية لقمع تمويل الإرهاب المؤرخة في ٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٩.

(هـ) التعاون المتزايد والتنفيذ الكامل للاتفاقيات والبروتوكولات الدولية ذات الصلة بالإرهاب، وقراري مجلس الأمن ١٢٦٩ (١٩٩٩) و١٣٦٨ (٢٠٠١).

(و) اتخاذ التدابير المناسبة طبقاً للأحكام ذات الصلة من القوانين الوطنية والدولية، بما في ذلك المعايير الدولية لحقوق الإنسان، قبل منح مركز اللاجىء بغية ضمان عدم قيام طالبي اللجوء بتخطيط أعمال إرهابية أو تيسيرها أو الاشتراك في ارتكابها.

(ز) كفالة عدم إساءة استعمال مرتكبي الأعمال الإرهابية أو منظميها أو من ييسرها لمركز اللاجئين، وفقاً للقانون الدولي، وكفالة عدم الاعتراف بالادعاءات بوجود بواعث سياسية كأسباب لرفض طلبات تسليم الإرهابيين المشتبه بهم.

٤ ـ يُلاحَظ، مع القلق، الصلة الوثيقة بين الإرهاب الدولي والجريمة المنظمة عبر الوطنية والاتجار غير المشروع

بالمخدرات وغسل الأموال والاتجار غير القانوني بالأسلحة والنقل غير القانوني للمواد النووية والكيميائية والبيولوجية وغيرها من المواد التي يمكن أن تترتب عليها آثار مميتة، ويؤكد في هذا الصدد ضرورة تعزيز تنسيق الجهود على كل من الصعيد الوطني، دون الإقليمي، والإقليمي والدولي تدعيماً للاستجابة العالمية في مواجهة التحدي والتهديد الخطيرين للأمن الدولي.

٥ ـ يعلن أن أعمال وأساليب وممارسات الإرهاب الدولي تتنافى مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها، وأن تمويل الأعمال الإرهابية وتدبيرها والتحريض عليها عن علم، أمور تتنافى أيضاً مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها.

٦ ـ يقرر أن ينشىء وفقاً للمادة ٢٨ من نظامه الداخلي المؤقت، لجنة تابعة لمجلس الأمن تتألف من جميع أعضاء المجلس، لتراقب تنفيذ هذا القرار بمساعدة الخبرات المناسبة، ويطلب من جميع الدول موافاة اللجنة بتقارير عن الخطوات التي اتخذتها تنفيذاً لهذا القرار في موعد لا يتجاوز ٩٠ يوماً من تاريخ اتخاذه، وأن تقوم بذلك في ما بعد وفقاً لجدول زمني تقترحه اللجنة.

٧ ـ يوعز إلى اللجنة أن تقوم بالتشاور مع الأمين العام بتحديد مهامها وتقديم برنامج عمل في غضون ثلاثين

يوماً من اتخاذ هذا القرار، والنظر في ما تحتاج إليه من دعم.

٨ - يعرب عن تصميمه على اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لكفالة تنفيذ هذا القرار بصورة كاملة وفقاً لمسؤولياته المنصوص عليها في الميثاق.

٩ - يقرر أن يبقي المسألة قيد نظره.



الإرهاب الخفي!!

(١)

«أبناء الشيطان» هم المنظمة التي تخفّت خلف تعاليم اليهودية، ونشرت الحقد بين الناس وسيطرت على العديد من مناحي حياتهم بالمال والضلال، وقد وضّح سيدنا المسيح عليه السلام مخاطر هذه المنظمة، ووصفهم بأنهم كنيس الشيطان وقال: يُسمّون أنفسهم يهوداً في حين أنهم حادوا عن الشريعة الصحيحة لنبي الله موسى.

(٢)

اعتقد أبناء الشيطان أن الشيطان هو النور (لوسيفرا باللاتينية) فأطلقوا على أنفسهم اسم النورانيين، وهي التسمية التي لازمتهم حتى الآن.

(٣)

تمادى «النورانيون» بالسيطرة على المجتمعات العالمية بواسطة الفساد والدعارة والمال والرشوة والتهريب والعبودية والتجارة غير المشروعة، حتى أصدر الإمبراطور البيزنطي

جوستيان، وهو من القانونيين أيضاً، في القرن السادس الميلادي (٤٨٣ ـ ٥٦٥ ميلادية) قانون تنظيم التجارة محاولاً الحدّ من هيمنة وانتشار أبناء الشيطان في إمبراطوريته. ولكنه فشل في ذلك، لأنهم كانوا قد أسسوا لأنفسهم علاقات مالية واجتماعية سرّية واسعة مكنتهم من الاستمرار والتأثير.

(٤)

عمل النورانيون، أبناء الشيطان، على السيطرة أولاً على الاقتصاد للدول الأوروبية، واحتكروا الأعمال المصرفية ضمن قاعدة مشهورة لديهم: «دعنا نتولى إصدار النقد في أمة من الأمم والإشراف عليه، ولا يهمنا بعد ذلك من الذي يسن قوانين الأمة».

(٥)

أغرق أبناء الشيطان أُمراء أوروبا وباروناتها بالقروض الضخمة والديون والفوائد، وطرحوا لهم فكرة الحرب الصليبية ضد الشرق كحل واقعي لمشاكلهم الاقتصادية، فكان التمويل لتلك الحروب يهودياً والإعداد لها أوروبياً والغطاء عليها دينياً، لقرنين من الدموية والفساد والغزو والصراع (١٠٩٥ ـ ١٢٧١م).

(٦)

ضرب أبناء الشيطان، بتمويلهم للحروب الصليبية

وتشجيع المغامرين عليها، أكثر من عصفور بحجر واحد: فقد أغرقوا أوروبا بالديون ذات الفوائد العالية، وأضعفوا الكنيسة بعد فشلها في تحقيق شعارات الحرب الصليبية وتحرير بيت المقدس من «الكفار» المسلمين، وأنهكوا الشرق الإسلامي وشغلوه بالخلافات السياسية والأفكار المتضاربة.

(٧)

تنبهت أوروبا بعد انكسارها في الحروب الصليبية، للمؤامرة التي دبّرها أبناء الشيطان، مما ولّد صراعاً علنياً بين الحكومات والشعوب الأوروبية وبين اليهود المرابين، أدّى في نهايته لإجلاء اليهود عن أوروبا وحظر نشاطاتهم الإجرامية، ومن هذه النقطة تحوّلت نشاطات أبناء الشيطان إلى السرّية وإلى الجمعيات الإرهابية التي تُظهر الواجهة الاجتماعية وتبطن الأهداف السياسية والعسكرية.

(٨)

عزلت أوروبا أبناء الشيطان تلافياً لشرورهم في أحياء خاصة سُمّيت (الجيتو)، ثم حاصرت نشاطاتهم واستصدرت بحقهم قوانين المنع والمصادرة، فازدادوا قوة على قوتهم حيث لجأوا إلى وسائل سرية لهدم المجتمعات من داخلها، عبر الفساد المالي والرشوة والدعارة والنساء والعبودية والقضاء على الأخلاق والقيم الدينية وتبني المعتقدات الخرافية والشيطانية، كما لجأوا لإثارة الخلافات بين الأمراء والبارونات والسياسيين، وتمويل الصراعات بينهم،

وتقويتها بكل الوسائل اللاّأخلاقية، تمهيداً لإضعافهم والتحكم بهم..

(٩)

حاول الإسلام في الجزيرة العربية ضمّ اليهود إلى الزمن الإسلامي فرفضوا ذلك، وتآمروا على الدين الجديد، مع علم علمائهم بصدق الدعوة المحمدية، وتحالفوا مع أعدائه من الوثنيين العرب، ثم دسّوا السم للرسول محمد ﷺ في خديعة مشهورة لقتله، ولولا الوحي الذي أخبر النبي بهذه المؤامرة الدنيئة، وهي قتل الضيف، لتمكنوا من وأد الدعوة في مهدها.

(١٠)

تماماً كما فعل النبي محمد ﷺ بأبناء الشيطان في الجزيرة العربية، أصدر الملك إدوارد الأول ملك بريطانيا عام ١٣٧٢م قانوناً يُجرّم اليهود بأفعالهم المشينة وبخاصة الربا والفساد، وعندما رفضوا ذلك القانون أمر بإجلائهم عن بريطانيا، ثم توالت سياسة الإجلاء في بقية أنحاء العالم.

(١١)

انتهج أبناء الشيطان نهجاً سرياً إرهابياً عسكرياً منذ القرن السادس عشر الميلادي، مكونين لأنفسهم محافل سرية، واتخذوا قادة في العالم، حوالي ٣٠٠ قائد، يوجهونهم للعبث بمصائر الأمم والحضارات كيفما يشاءون.

وقد صدرت الأوامر لليهود في كل أنحاء العالم باعتناق الإسلام والمسيحية وبقية الأديان كستار لوجودهم في المجتمعات المختلفة.

(١٢)

أورد كتاب «الحبلة الإسبانية» لمؤلفيه «ولياتقوس» و «سيسيل غيراهيتي» النداء التالي:

إن مسألة معرفة من هم الزعماء الحقيقون لـ (الشركة الاحتكارية الخفية) ومنظمو مخططاتها الرامية إلى السيطرة على العالم وكيف يصل هؤلاء إلى أهدافهم مسألة تفوق ما يطمح إليه هذا الكتاب وسيمكث الموضوع كواحد من أهم الألغاز العالمية التي لم تحل ولم يكتب عنها حرف واحد..

إن الذي سيتمكن من كشف الستار عن هذا اللغز يوماً وإعلانه للعالم لن يكون إلاّ رجلاً رائع الشجاعة قديراً، على اعتبار حياته جديرة بالتضحية في سبيل الإنسانية لأجل تنبيهها إلى ما تبيِّتُه لها جماعة شيطانية ممن نصبوا أنفسهم كهنة لدين خفي يريدون فرضه على العالم (*).

(١٣)

انتقاماً من الملك إدوارد الأول ملك انجلترا الذي طرد اليهود في القرن الرابع عشر، كانت بلاده أول من دفع

(*) وليم كار: اليهود وراء كل جريمة ـ ترجمة خيرالله طلفاح ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت: ١٩٨٢.

الثمن، عندما قرر أبناء الشيطان التخطيط للثورة الإنجليزية وتمويلها، وعبر خطة إرهابية محكمة اشترى أبناء الشيطان القائد الإنجليزي (أليفر كرومويل) وموّلوه بالذهب والسلاح والمرتزقة فأطاح بالعرش البريطاني، بعد أن أشاع الفوضى والإرهاب بالبلاد. كان عراب الثورة من أبناء الشيطان وهو: مناسج بن إسرائيل يساعده فرنانديز كارفاجال المعروف باليهودي العظيم، الذي أصبح فيما بعد المستشار الأول لكرومويل الذي حكم البلاد بعد الثورة بالديكتاتورية والإرهاب، فصفى جميع معارضيه في البرلمان البريطاني وصوت البقية عام ١٦٤٩ لجانبه، بأن الملك قد خان الأمة، فقطع رأسه بالبلطة علناً أمام المصرف اليهودي في ساحة وايتهول في لندن، واستشرى الإرهاب في أوروبا إنطلاقاً من بريطانيا المشتعلة بنار الشيطان...

(١٤)

كان هدف أبناء الشيطان بعد تدمير إنجلترا من الداخل وإشعال الخلاف بين الملك والكنيسة، ثم بين البروتستانت والكاثوليك، ثم بين الفقراء والمرابين... هو إشعال الحروب والصراعات بين بريطانيا وأوروبا، وإقراض بريطانيا حتى تصبح تحت رحمة قروضهم وفوائدها (تماماً كما يفعل بنك النقد الدولي وصندوق النقد بالعالم اليوم وبخاصة بالعرب والعالم الثالث). بعد أن أعدم الملك شارل الأول، هاجم كرومويل إيرلندا وتنامت الفتنة بين الإيرلنديين الكاثوليك وبين

المهاجمين البروتستانت الإنجليز، ثم دخلت إنجلترا الحرب ضد هولندا، ثم دخلت الحرب في المستوطنات الأمريكية، ثم حاربت فرنسا، ثم هاجت البلاد مع الملك أو ضده، ومع كرومويل أو ضده، حتى تحولت بريطانيا إلى مملكة متهاوية.. هكذا وصل أبناء الشيطان إلى مبتغاهم، ورتّبوا القروض المجزية للدولة ثم رتّبوا الحصول على فوائدها بالطرق الإرهابية التي تتناسب مع مخططاتهم، وبالفعل توصلوا إلى تأسيس بنك انجلترا وإصدار العملة البريطانية والسيطرة على مقاليد السلطة المالية، بينما غرقت البلاد بالقروض والديون والضرائب والالتزامات وبالوعود والرهونات.

(١٥)

اقترضت إنجلترا من أبناء الشيطان مبلغ ١,٢٥٠,٠٠٠ جنيهاً للخزانة عام ١٦٩٤، فأصبح هذا القرض مع فوائده عام ١٦٩٨ مبلغ ١٦,٠٠٠,٠٠٠ جنيهاً. أمّا عام ١٨١٥ فأصبح ثمن القرض الإنجليزي ٨٨٥,٠٠٠,٠٠٠ ثم أصبح عام ١٩٤٥ : ٢٢,٥٠٣,٥٣٢,٣٧٢ جنيهاً استرلينياً، وكانت الفائدة عليه (أو ما نسميه في لبنان بـ خدمة الدين) لعام واحد مبلغ ٤٤٥,٤٤٦,٢٤١ جنيهاً إسترلينياً.. فهل أدركنا الآن من هو الإرهابي؟!

(١٦)

عندما اختلف الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب مع أمير الشام معاوية بن أبي سفيان، وأعلنت بينهما

الحرب، توسط كبار الصحابة بينهما وجعلوا أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر حكماً، التي استطاعت أن تقنع المعسكرين المتربصين للحرب، بالعدول عنها إلى التفاهم لمصلحة الأمة. وفي الليل حيث الأسرار والمؤامرات تدخل عبد الله بن سبأ اليهودي، وجعل بعض الإرهابيين من رفاقه في معسكر علي كرم الله وجهه والبعض منهم في معسكر معاوية، وبدأ هؤلاء الدخلاء بقتل من يليهم وهم ينادون من كل طرف: لقد نكث علي، لقد نكث معاوية، فظن كل طرف بأن الطرف الآخر قد بدأ الحرب وخان العهد، واشتبك الناس في مجزرة من أكبر المجازر المدونة في التاريخ الإسلامي وسميت فيما بعد بمعركة الجمل... وأكمل أبناء الشيطان مؤامراتهم في تكوين عشرات الخلايا الإرهابية لضرب الدولة الإسلامية في مراحلها المختلفة، تماماً كما فعلوا في بريطانيا وفي فرنسا وفلسطين... فهل أدركنا الآن من هو الإرهابي؟!

(١٧)

تعاون أبناء الشيطان مع عصابة من المجوس في تأسيس فرقة القرامطة (*) الذين خلعوا الحجر الأسود من الكعبة وأرهبوا العالم الإسلامي لسنوات طويلة... ويعتبر الحشاشون من أشهر المنظمات الإرهابية ذات الصلة بالقوى

(*) راجع رواية «الثائر الأحمر» للمرحوم علي أحمد باكثير.

الخفية، وقد ربطها العديد من المستشرقين، وبخاصة لويس برنارد بالإسلام، وهذا خطأ تاريخي مُميت، فهم من جذور يهودية وأصحاب سلوك يهودي صرف!!

(١٨)

المرابون بزعامة روتشيلد كانوا وراء الثورة الفرنسية بكل مآسيها وحروبها وقتلاها والمظالم التي ارتكبت باسمها. وقد أسس روتشيلد «المنظمة الخفية» (*) التي حكمت وتحكم العالم بموجب بروتوكولات حكماء صهيون، وبموجب وصايا التلمود والأساطير اليهودية، ومنها ضرورة زرع الإرهاب في العالم. قال روتشيلد: (يجب على الذين يرغبون في الحكم أن يلجأوا إلى الدسائس والخداع وتلفيق الحقائق لأن الفضائل الاجتماعية الكبرى كالصدق والاستقامة والأمانة ليست سوى عيوب كبرى في السياسة).

وقال لأتباعه : إن لأصحابنا بصورة طبيعية الحق في اغتصاب أموال أي شخص كان إذا كان ذلك يُؤمِّن لهم المزيد من السيطرة أو إخضاع أو إذلال الشخص المقصود.

(*) ذكر وثائق المنظمة وأسرارها: وليم كار في كتابه «اليهود وراء كل جريمة»: ٨٥ ـ ٩٨، وذكر أنها منقولة ومؤكدة عبر البروفيسور س. نيلوس في كتابه المطبوع في روسيا عام ١٩٠٥ (المفقود): الخطر الصهيوني. راجع أيضاً كتاب «التلمود» لمظفر الدين خان ـ دار النفائس ـ بيروت.

وأضاف حرفياً: (وسوف نسلك في دولتنا التي سننشيدها طريق الغزو التسللي، وبذلك نتجنب فضائح الحروب المكشوفة ونتائجها مستعيضين عنها بطرائق أقل صراحة وأضمن نتائجاً. وذلك كأحكام الإعدام بالجملة الضرورية لممارسة حكم الإرهاب الكفيل بتأمين خضوع الجماهير المطلق لنا))».

(١٩)

يُدير منظمة أبناء الشيطان مجموعة من الحاخامات اليهود، يزعمون بأنهم يملكون السر الإلٰهي النوراني، يكوِّنون المجمع النوراني المكون من ١٣ عضواً تنفيذياً، وهم على رأس مجلس الثلاثة والثلاثين الذي يضع الخطط النهائية للمنظمة. يعتبر رئيس مجلس الثلاثة والثلاثين هو أعلى سلطة في الكون، وتحيط السرّية الكاملة بهذه المنظمة الإرهابية، وقد أورد وليم كار في كتابه «اليهود وراء كل جريمة» أن بعض أسرارها قد افتضح صدفة عندما ضربت صاعقة جواد الفارس الذي كان يحمل الوثائق لمؤتمر روتشيلد حيث نوقشت الخطط العامة للمنظمة (*).

(٢٠)

قررت المنظمة استخدام الكونت دي ميرابو، كبير النبلاء في فرنسا، ليكون حصان طروادة في الثورة

(*) المرجع السابق ص ١٠١.

الفرنسية، عبر صديقه الدوق دورليان الأستاذ الأعظم للمنظمة وابن عم ملك فرنسا. وقد كان ميرابو خطيباً مفوهاً مسموعاً ولكنه كان فاسقاً محباً للنساء والفساد بكل أشكاله، وهي الصفات التي تناسب المنظمة لمثل هذه المهمة. ونتيجة ذلك الانغماس في الفساد أصبح ميرابو مديوناً بمبالغ كبيرة للمنظمة، وأصبح طوع أوامرها لستر نفسه أمام المجتمع الفرنسي. كان على المنظمة أن تقدم ميرابو للحسناء اللعوب اليهودية (مدام هيرس) وهي التي أصبحت بلحظة عين العشيقة التي لا يُرد لها طلب. فيما بعد نُظِّم ميرابو في المنظمة وطلب إليه إيصال الدوق دورليان إلى نفس الدرك الذي وصل إليه هو نفسه ففعل، حتى أصبح الدوق مضطراً للدخول في الممارسات الإرهابية الفاسدة كالتهريب والدعارة لتعويض خساراته وعندما فشل بكل ذلك، استدان مبالغ مالية ضخمة من المنظمة فوقع في شباكها، حتى رهن للمنظمة كل ممتلكاته بما فيها قصره الملكي (الباليه رويال) لضمان ديونه ولبقائه واستمراره. ومن سخريات الأحداث أن المنظمة عهدت لليهودي (دي لالكو) لإدارة قصر الدوق المرهون لها، فحوّله (لالكو) في فترة وجيزة إلى أضخم وأشهر دار للدعارة والتهتك عرفه العالم أنذاك.. وبذلك نجحت المنظمة بتحويل القصر الملكي إلى مركز عالمي لتحطيم المعتقدات الدينية والأخلاقية، وهو الأساس الذي ستعتمد عليه المنظمة في الثورة الفرنسية للقضاء على النبلاء والقانون والدين،

واستبدال ذلك بالمرابين والإرهابيين وأصحاب النزوات والانحراف (*).

هكذا حدث فعلاً فدبّرت المنظمة آلاف المؤامرات ضد الملكة ماري أنطوانيت وزوجها الملك لويس السادس عشر وحاشيتها، ولفّقت لها آلاف الاتهامات بالدعارة والتبذير والرشوة والفساد، حتى قامت الثورة ضدها وقطعت المقصلة الرؤوس الملكية بأمر المنظمة، ثم قطعت رؤوس زعماء الثورة: فيرابو والدوق دورليان ودانتون وروبسبير وآلاف الأسماء الأخرى (**)

يصف المؤرخ الإنكليزي الكابتن (آ ـ رامزي) أيام الثورة الفرنسية وصفاً حساساً في كتابه (حرب دون اسم) كما يلي:

(كانت الثورة الفرنسية ضربة انقضت على جسم مشلول، ذلك أن مخالب الديون كانت قد نشبت في أعماق ذلك الجسم وتبعتها سيطرة المرابين على كل وسائل الإعلام والنشاط السياسي، ولم تلبث هذه المخالب أن نشبت في الصناعة الفرنسية (بطرفيها أرباب العمل والعمال). وبذلك كان المسرح تامّ الإعداد للبدء بالثورة.

(*) المرجع السابق ص ١٠٩.

(**) شهدت فرنسا حالة إرهابية تشبه الخيال بين ٢٧/ ٤، ٢٧/ ٧ من عام ١٧٩٤ قتل الناس فيها بالآلاف وكثر الهرج والمرج وفيها أعدم روبسبير الذي شبهناه بأسامة بن لادن!!

وحين ارتفعت اليد اليسرى لمدبري المؤامرة وهي الثوار أنفسهم بمجموعتهم لتنقض بالخنجر على الجسم الملكي المتداعي، كانت اليد اليمنى، وهي الصيّاد الخلفي العام، قد شلّت هذا الجسم ومنعته عن الحركة.

وهكذا بينما كانت منشورات «بالسامو» التحريضية تستمطر اللعنات على رؤوس الملكية والكنيسة، كان عملاء المؤامرة ينظمون ويدربون الأشخاص الذين تقرر جعلهم زعماء لحكم الإرهاب الذي سيتلو انهيار العهد الملكي. وكان بين هؤلاء الزعماء (روبسبير) الأشهر، و(دانتون) الذي لا يقل عنه شهرة، وكذلك (مارا) وغيرهم..

كان الأشخاص المنتقون للهجوم على الباستيل، لإطلاق سراح السجناء الآخرون المهيأون لخلق الجو الذي سيؤدي إلى قيام حكم إرهابي معد له سلفاً، كان هؤلاء يلتقون في مراكز معينة لتنسيق خططهم. وأشهر تلك المراكز هو دير في باريس اسمه (دير اليعاقبة).

وهكذا رسمت تفاصيل الخطط الدموية بين جدران ذلك المبنى الديني، الذي أعد للعبادة والرحمة لا للقتل والرهبة. وفيه وضعت القوائم بأسماء النبلاء وأنصار العهد القديم الذين يجب تصفيتهم، وقد تقرر فيه أن ينطلق المحرضون وفي أعقابهم بعض المجرمين والمجانين فيعملوا على ذبح الناس وقتلهم واغتصاب أعراضهم، وغيرها من الأعمال الوحشية لينشروا الرعب في أفئدة السكان. وفي

الوقت نفسه يقضي «مانويل»، الذي عُين مدعياً عاماً للكومون، أي حكومة باريس الثورية المقبلة، على جميع الشخصيات المعروفة بولائها للملك.. وعلى هذا فقد تم في نوادي اليعاقبة تدريب الرجال الذين أُعدوا للانطلاق من خلايا المؤامرة المنظمة ودربوا على أيدي خبراء مختصين في تنظيم الإرهاب ليقودوا فيما بعد عمليات الفضائح العلنية بالجملة حين أوعزت لهم القوى الخفية بذلك. وهكذا تحركت المؤامرة خطوة أخرى إلى الأمام في طريقها المحفوف بالويلات والمصائب (*).

(٢١)

بعد سقوط الملكية الفرنسية ظهر نابليون بونابرت كقائد لا يُهزم، فدعمته المنظمة وقوّته مالياً لاجتياح العروش الأوروبية ولغزو مصر والشام وإعطاء الوعد لليهود لإقامة دولتهم في فلسطين، وبعد نجاحه في اجتياح أوروبا وتنصيب إخوته ملوكاً على نابلولي، وهولندا ولوستناليا، قرر نابليون غزو روسيا، ولكنه فوجىء بأن خطوط الاتصال الخلفية لجيوشه قد اضطربت ولم تصله الذخائر والامتدادات. فيما بعد اكتشف نابليون بأن المنظمة الخفية كانت وراء ذلك التخريب، مما أوقع نابليون بأكبر فاجعة عسكرية عرفها التاريخ. بعد انكسار نابليون في معركة واترلو مع بريطانيا تنازل مضطراً عن العرش عام ١٨١٤ وهو يخطط لفضح أبناء

(*) وليم كار: اليهود وراء كل جريمة: ١١٦ ـ ١١٧.

الشيطان، ولكنهم كانوا أكثر شيطانية منه، فذهب نابليون بإجرامه وبقيت المنظمة بإجرامها (*) إلا أنها حققت أكبر ربح سجل في تاريخ الأسهم، وذلك عبر إعلانها الكاذب عن فوز نابليون على (ولنغتون) قائد الجيش البريطاني، مما دفع حَمَلة الأسهم البريطانية لبيع أسهمهم، وقامت المنظمة فوراً بشرائها، ولدى اتضاح حقيقة المعركة، وانتصار بريطانيا على نابليون ارتفعت الأسهم دفعة واحدة، مما وفّر لأبناء الشيطان أرباحاً تشبه الخيال!!

(٢٢)

في الوثيقة ٣٣ لمجلس الشيوخ الأمريكي، الصفحة (٩٨)، يصف وليم كار (**) ما سببه أبناء الشيطان للولايات المتحدة من أضرار اقتصادية وبطالة وضمور تنموي، أدّىٰ إلى الحرب الأمريكية ـ البريطانية عام ١٧٧٥. وأن المنظمة قد اتبعت كل الأساليب المعهودة لديها لإفلاس الحكومة الأمريكية بواسطة ربط العملة الأمريكية بالبنوك التابعة لها. ويبدو أن الحكماء في أمريكا لن يغفروا لروتشيلد مؤامرته التي أدت إلى سبع سنوات عجاف من الحرب الطاحنة، وهذا ما يقوله توماس جيفرسون الذي أصبح لاحقاً رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية:

(*) يعتبر البعض نابليون بطلاً وعبقرياً فذاً، بينما يعتبره البعض الآخر، والمؤلف منهم، من مجرمي الحرب والمحبين للدماء والتوسع!!

(**) مصدر سابق ص ١٣٠.

(إنني مؤمن بأن هذه المؤسسات المصرفية ـ البنوك ـ أشد خطراً على حرياتنا من جيوش غازية. . وقد خلقت بوجودها أيضاً أرستقراطية مالية أصبحت تتحدى بسلطاتها الحكومة، وأرى أنه يجب استرجاع امتياز إصدار النقد من هذه المؤسسات وإعادته إلى الشعب صاحب الحق الأول فيه). .

أما ردّ ناتان روتشيلد من المنظمة فكان كما يلي:

إلى الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون

هناك حلاّن فقط، فإما الموافقة على تجديد الامتياز، أو الرفض، وعندئذ ستجد الولايات المتحدة نفسها أمام حرب مريعة!!

ورد الرئيس الأمريكي كالآتي: لستم إلاّ مجموعة من اللصوص والأفاعي وسوف أعمل على تحطيمكم، بل وأقسم بالله أنني سوف أحطمكم!!

وبالفعل حدثت حرب ١٨١٢ وانتصر أبناء الشيطان. ثم نشبت الحرب الأهلية الأمريكية بين عامي ١٨٦١ ـ ١٨٦٦ وأرادت المنظمة القضاء على الرئيس لينكولن الذي أمر بتحرير العبيد، فأثارت عليه نابليون الثالث (التابع للمنظمة حلاًّ ونسباً)، ولكن الرئيس تمرد على المنظمة وأصدر العملة الوطنية دون الحاجة لبنك إنجلترا التابع لها، ووجه هجوماً شديد اللهجة للمنظمة. . . ولتدارك خطر هذا الرئيس العنيد اغتاله عميل لرئيس المنظمة روتشيلد في ١٤ نيسان ١٨٦٥ وسجلت القضية ضد مجهول، كالعادة.

(٢٣)

منذ الخلاف حول إصدار العملة، الدولار الأمريكي، بين منظمة أبناء الشيطان والحكومات الأمريكية ومقتل الرئيس لينكولن، والشركات المالية متعددة الجنسيات (التابعة لروتشيلد) تحكم البلاد وتتحكم بالانتخابات الأمريكية وبمن يحكم أمريكا!! وقد كونت تلك الشركات منظمة مالية أسمها (نادي الاسم الأول) المغلق، لإدارة الاقتصاد الأمريكي وتوجيه ارتباطاته. وهو النادي الذي موّل الحربين العالميتين الأولى والثانية، فجنى أرباحاً من الحرب الأولى قدرها ٢٣ مليار دولار، ومن الحرب الثانية ٤٥ مليار دولار، والآن أصبح القارىء يُدرك سبب إثارة الحروب والصراعات في العالم ومَن يقف وراءها!!

(٢٤)

لزعزعة الإمبراطورية الروسية، اغتالت المنظمة قيصر روسيا، إسكندر الثاني، عام ١٨٨١، وطالبت بإلغاء القوانين المعادية لليهود (*)، وفسح المجال للبنوك التابعة لها بممارسة نشاطاتها بحرية تامة. وعندما فشلت المنظمة بالحصول على هذه الامتيازات، نشرت الرعب والإرهاب في أرجاء روسيا وحاصرت التجارة الروسية في العالم،

(*) هي قوانين تنظيمية للوجود والنشاط اليهودي في روسيا، سُمِّيت قوانين «مايو» لأنها صدرت في هذا الشهر من عام ١٨٠٢.

وموّلت الثوار الشيوعيين كما وموّلت الحرب اليابانية الروسية التي انتصرت فيها اليابان بفضل دعم المنظمة ومشاركتها الفاعلة في الأحداث، واغتال الإرهابيون من المنظمة وزير التربية الذي أصدر قراراً بتحديد عدد الطلاب اليهود المقبولين في المدارس الروسية، ثم اغتيل وزير الداخلية لأنه أمر بمنع اليهود من العيش إلاّ في الأحياء المخصصة لهم، واغتيل حاكم مقاطعة أوقا عام ١٩٠٣ ثم اغتيل رئيس وزراء روسيا عام ١٩٠٤، واغتيل الغراندوق (سرجيوس) عمّ القيصر. . . . وعمّ الإرهاب أرجاء البلاد فأعلن القيصر إسكندر الثالث صراحة أن أبناء الشيطان هم وراء دمار روسيا. كان لا بد للمنظمة من تشجيع الشيوعيين وتمويلهم للثورة ضد القيصر، والتمكين خصوصاً للمناضل فلاديمير أوليانوف (لينين) لقيادة الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ تحت توجيه المنظمة وبأموالها.

(٢٥)

كان رئيس وزراء بريطانيا أبان الحرب العالمية الأولى، المستر أسكويت، مناوئاً للمنظمة ولخططها لتوريط العالم في حرب طاحنة (*)، فأسقط بواسطة الفضائح الأخلاقية التي

(*) كتب في سجله اليومي:

(تلقيت للتو من هربرت صامويل مذكرة بعنوان (مستقبل فلسطين) وهو يظن أننا نستطيع إسكان ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي أوروبي في ذلك البلد. . وقد بدت لي فكرته هذه كنسخة جديدة من أقاصيص =

ألصقت برجاله عبر ما سُمّي «بالنادي الزجاجي» (*)، الذي أسسته ورعته المنظمة كمركز للعهر، لإيقاع الشخصيات الإنجليزية الشاذة عن خطتها، ولفضحها أمام الإعلام ومجلس العموم. . . وبالفعل استقال أسكويت عام ١٩١٦ في واحدة من هذه الفضائح، وحل محله الثلاثي: ونستون تشيرشل، جورج لويد وبلفور، ليكملوا مراحل الحرب التي استهلكت ثروات وإنجازات أوروبا وأوصلتها إلى حد الإفلاس، وهو الأمر الذي يُناسب المنظمة لا سيما وأنها تخطط في هذا الوقت بالذات لإقامة الكيان الصهيوني في فلسطين. طلبت المنظمة إلى عملائها الماليين مقايضة دخول أمريكا الحرب مع بريطانيا بإقامة الدولة اليهودية في فلسطين، وهكذا حدث ففي ٧/ ٦/ ١٩١٧ وصلت القوات الأمريكية إلى أوروبا، وفي ١٨/ ٧/ ١٩١٧ أُطلق وعد بلفور الذي كتب نصه اللورد روتشيلد رئيس المنظمة في إنجلترا بنفسه.

(٢٦)

وثيقة هامة:

عقد الاجتماع الأول للجنة السياسية للمنظمة الصهيونية

= الحروب الصليبية، وأعترف بنفوري من هذه المقترحات التي تضم مسؤوليات إضافية أخرى إلى مسؤولياتنا).

(*) يذكر القارىء كيف حوّلت المنظمة قصر (الباليه رويال) إلى ماخور يشبه النادي الزجاجي لفضح الشخصيات المعادية للمنظمة والفارق الزمني بينهما ١٢٢ عاماً.

بعد استلام لويد جورج الحكم يوم ٧ شباط/ فبراير ١٩١٧ في لندن. ونترك الوصف الدقيق للكاتب (ل. فراي) الذي ننقل فقرات أخرى من كتابه (مياه تتدفق على الشرق) الصفحة ٥٥:

(عقد الاجتماع الأول للجنة السياسية ـ للمنظمة الصهيونية ـ يوم، ٧ شباط/ فبراير ١٩١٧ في منزل الدكتور (موسى غاستر) في لندن وقد حضر هذا الاجتماع الشخصيات التالية:

- اللورد روتشيلد رئيس الفرع الإنكليزي لمجموعة روتشيلد.
- جيمس دي روتشيلد ابن أدموند دي روتشيلد رئيس الفرع الفرنسي لمجموعة روتشيلد ومؤسس مستعمرات روتشيلد في فلسطين التي أهمها(ريشون لوزيون).
- السير مارك سايكس الذي كان منزله في لندن الواقع في حي (باكينكهام غينس) مركز قيادة الحركة الصهيونية في إنكلترا، ومجهزاً لهذا الغرض بآلات لاسلكية وأجهزة خاصة...
- السير هربرت... أول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين فيما بعد؛ ومنظم الهجرة الصهيونيةً إليها.
- هربرت بنتويتش النائب العام في فلسطين فيما بعد.. أي الرئيس الفعلي للجهاز القضائي والشخص الذي

يضع القوانين لفلسطين ويشرف على تطبيقها.

- هالي ساشر.
- جوزيف كاون.
- حاييم وايزمان.. رأس الصهيونية السياسية الأكبر.
- ناحوم سوكولوف، وهذا هو المشرف على أجهزة الدعاية والذي كتب فيما بعد كتاب (تاريخ الصهيونية)..

كان الموضوع الرئيسي في جدول أعمال هذا الاجتماع لمناقشة المنهج الذي سيستخدم كقاعدة للمفاوضات الرسمية التي ستقرر مصير فلسطين، وأرمينيا، والعراق.. ويضيف السياسي الأمريكي (م. جيفريز) المعلومات التالية، في تعقيبه على هذا الاجتماع، في الصفحة ١٣٩ من مجموعة تقاريره التي رفعها إلى الجهات المسؤولة في الولايات المتحدة:

(أبلغت تفاصيل هذا الاجتماع بالشيفرة إلى فرع المنظمة الصهيونية في أمريكا.. وأصبح الفرع الأمريكي هذا يتدخل منذئذ في الشؤون الداخلية البريطانية ويوجه سياسة حكومة المستر لويد جورج فيما يتعلق بمجال اختصاصه)..

ولكي نصّور بشكل ملموس مدى التغلغل الصهيوني في أجهزة الحكم في إنكلترا في تلك الفترة، ننقل فقرات من

اعترافات اليهودي (صامويل لاندمان)، التي نشرها هو بذاته فيما بعد في كتابه (اليهودية العالمية) الذي طبع في لندن عام ١٩٣٦:

(بعد أن تم الاتفاق بين السير مارك سايكس وحاييم وايزمان وسوكولوف، تقرر إرسال رسالة بالشيفرة إلى القاضي الأمريكي (ل.د. براندس) رئيس لجنة الطوارىء الاحتياطية للصهيونية في نيويورك، لإخباره بأن الحكومة البريطانية توافق على مساعدة اليهود على استعادة فلسطين(!!) مقابل تحالف اليهودية العالمية مع بريطانيا وانضمام الصهيونية في أمريكا إلى جانب الحلفاء ـ ولم تكن أمريكا قد دخلت الحرب آنئذ ـ وتعهّد المنظمة الصهيونية بخلق تيار قوي يؤيد فكرة انضمام الولايات المتحدة إلى الحرب إلى جانب بريطانيا مما يقلب الموقف الأمريكي ـ الحيادي ـ رأساً على عقب)..

(وقد أرسلنا رسالة مماثلة إلى الجنرال (ماك دوناف) قائد عمليات الجيش الإنكليزي، وأصبح الدكتور وايزمان منذئذ على درجة من النفوذ مكنته برسالة بسيطة إلى الجنرال ماك دوناف من حمل هذا على التدخل لدى قيادة الجيش البريطاني، التي يمنع فيها بموجب قانون صارم إعفاء أي شخص في سن العسكرية من أي واجب عسكري.. غير أن هذا لم يمنع الدكتور وايزمان من النجاح في مسعاه والحصول على الشبان الستة الذين أُعفوا من الواجبات

العسكرية لأسباب تتعلق بالمصلحة العليا للوطن)..

أما هذه المصلحة العليا فلم تكن سوى تأسيس المكتب الصهيوني الخاص الملحق بالدكتور وايزمان (!!) وكان هؤلاء الأشخاص الستة: أنا شخصياً وخمسة آخرين بينهم هاري ساشر عضو اللجنة السياسية للمنظمة الصهيونية، وكانت الحكومة الإنجليزية الجديدة ـ حكومة لويد جورج وتشيرشل وبلفور ـ تعتبر المنظمة الصهيونية صديقة وحليفة مما جَعَل مكتبنا يتمتع بسلطة هائلة، منها سلطة إعطاء جوازات سفر لبعض الأشخاص وتأمين انتقالهم وتمويلهم (*).

(*) من كتاب اليهود وراء كل جريمة ـ وليم كار: ١٨٤ ـ ١٨٦.

فهرس المحتويات